

محمد محفوظ

تراجم المؤلفين التونسيين

الجزء الأول



جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى : 1982

الطبعة الثانية : 1994

دار الفکر الإسلامي

ص.ب : 5787/113

بيروت-لبنان

مقّمة

بسم الله الرحمان الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين ،
وعلى اله وأصحابه أجمعين .

وبعد فقد كنت منذ عهد الشباب الباكر مغرما بتتبع تراجم التونسيين ، وإذا عثرت على كتاب في تراجمهم أو مقالة في مجلة أو صحيفة في ترجمة أحدهم فكأنما ظفرت بكنز ، ويتابني الفرح والسرور . وكان من أول الكتب التي طالعتها وأنا يافع في المرحلة الأولى من التعليم الثانوي كتاب (المؤنس) لابن أبي دينار ، وناريخ مقديش (نزهة الأنظار) كما كنت ولوعا بتتبع آثار التونسيين في الأدب والتاريخ والتراجم فطالعت في هذا الطور «زهر الآداب» لإبراهيم الحصري ، و «عنوان الأريب» للشيخ محمد النيفر ، و «المنتخبات التونسية» لحسن حسني عبد الوهاب . ولا داعي للإطالة بسرد أسماء الكتب ، ويكفي منها ما يدل على الإتجاه في المطالعة والإقبال بشوق ولهف عليها وقد كنت لا أهمل أية فرصة للمطالعة بالاستعارة من الأفاضل الأكرمين ، أو غيرها من الوسائل التي تهيات لي حتى أنني أذكر أن الحاج سالم عبد الناظر الكواش (الفرّان) صناعة - وقد مارس هذه الصناعة بتونس العاصمة ، وكوّن مكتبة بها مجموعة من المخطوطات الصالحة ، تلاشى غالبها في قائم حياته ، وأهديت بقيتها بعد وفاته إلى المدرسة الثانوية بطريق العين (مدرسة 15 نوفمبر) - أتذكر أنني قصدته ذات مرة للطلاع على مكتبته واستعارة ما يوافق مبنغاي ، وبعد جلسة تحدّث فيها عن حياته ومعرفته لبعض أعلام تونس المرموقين المشهورين ، وإقبال بعض رجال صفاقس على الاستعارة من مكتبته ، لم تطب نفسه بتلبية رغبتى وبّل ظماء شوقي لصغر سني ، وكان هذا الرجل - رحمه الله - صعب المراس ، ملتوي التفكير .

وقد استمر هذا الاتجاه ينمو كلما تقدمت بي السن واتسع الاطلاع إلى أن دار بخلدي جمع تراجم المؤلفين التونسيين فشرعت في هذا العمل في 27 جويليه 1964 وأنجزت مجموعة من

التراجم رتبته من أول الأمر على حروف المعجم ، ثم جاءت أسباب قطعت مواصلة السير . منها تراكم مشاكل الحياة اليومية ، زيادة عن ظهور بعض المؤلفات والبحوث الجديدة مما دعاني أحياناً إلى الإضافة أو التعديل والتنقيح ، حتى أن بعض التراجم أعدت كتابتها مرتين أو ثلاثاً ، فقلت في نفسي : هذا عمل شاق لا آخر له . وكلما صدر كتاب جديد في تاريخ تونس أو في برامج أعلامها أطلعه ثم أنتقي منه ما أريد من تراجم ومعلومات لها صلة بهذه التراجم . وقلت في نفسي : هذه مشقة أخرى مطالعة وانتقاء وإضافة . متى تنتهي هذه السلسلة المتلاحقة ؟ أما لها من آخر ؟

واعترى عزيبي الضعف ، وساورها اليأس وضؤل نشاطي في التدوين . ثم إن المطالعة والبحث والكتابة مع تعدد المشاريع توزع الجهد ولا تساعد كثيراً على الإنتاج ذي الوجهة المعنية والمادة الغزيرة والحجم الكبير ، وانقطعت عن مواصلة العمل مدة تقرب من ثماني سنوات ثم بدا لي مراجعته ومواصلته حتى يتم وقلت في نفسي أنجزه ولو كان فيه بعض جوانب نقص شعرت بها من أول وهلة لقله ما لدي من مادة ووسائل .

وغرضي من وضع هذا الكتاب هو سهولة الكشف عن تراجم المؤلفين التونسيين فدامي ومحدثين لذا رتبته على حروف المعجم ، أذكر اللقب العائلي . وإن اشتهر المترجم له بنسبه اللدنية فقط اقتصر على هذه النسبة . هذا وأشعر بأن التراجم متفاوتة في الكم والكيف وسبب ذلك أن بعض المترجم لهم لم تتوفر لدي المادة الكافية للإفاضة في ترجمتهم فاجتزأت بما وجدت وقد جالت بخاطري فكرة هي أن تبقى هذه التراجم مذكورة شخصية لي . وبعد التروي قلت في نفسي ، إن إنجاز هذا العمل لا يخلو من فائدة للقاصرين أمثالي . ثم أنه إذا برز للوجود ونمضل الكاتبون الكرام والنقاد يبين ما فيه من جوانب نقص ، كنت أنا أول المستفيدين من هذا البيان فأبدل جهدي لتلافي النقص في ملحق أو في طبعة ثانية إذا يسر الله . وإذا بقي هذا التصنيف قابلاً في زاوية من زوايا البيت أحرم من هذه الفوائد ، ومثل هذا العمل عرضة للتحوير والتنقيح كلما ظهر جديد أو توفرت مواد لم تكن معروفة من قبل .

وقد حاولت في كل ترجمة ذكر ما تيسر لي من آثار المترجم له وعقبت كل ترجمة بذكر مصادرها ومراجعها ولم أهمل ذكر ما وقفت عليه من صحف ومجلات .

وهذا التأليف أشبه شيء بالفهرس وقد سميته (تراجم المؤلفين التونسيين) وترجمت فيه للوافدين على تونس المتوفين بها ، كما ترجمت فيه لعلماء إباضية من جزيرة جربة ، ويلاحظ التامل أن بعضهم من ذوي الثقافة المحدودة وأن إنتاجهم ليس بذي قيمة كبيرة وأن بعضهم من نوابغ الأعلام ذوي المواهب الغزيرة والإنتاج الثري المتشوع الذين كان لهم فضل في إثراء المكتبة العربية الإسلامية ، وقد عجبت من إهمال المؤرخين التونسيين - من غير الإباضية - ترجمتهم والتنويه بهم ولا داعي لهذا غير التعصب المذهبي ، وقد سار في هذا الطريق بعض المعاصرين ، وإخواننا الإباضية لا يبذلون جهداً كبيراً في التعريف بأنفسهم ، وكتبهم مخطوطة محتكرة عندهم لا

يُجدون في نشرها إلا قليلاً منها لا تشعب نهم المتطلع المستشرف للمزيد ، مع أن البعض منها وهو كثير يهتم كل المسلمين والمثقفين بصفة عامة ككتب التفسير والتاريخ والتراجم، ولولا ما قام به بعض المعاصرين من التعريف بأعلامهم كالأستاذين الصادق بن مرزوق وفرحات الجعيري الجريين التونسيين وعلي يحيى معمر النفوسي الليبي لبقى كثير من هؤلاء الأعلام مغموراً في طي الخفاء والكتمان. ولهؤلاء الثلاثة فضل كبير في هذا الميدان وقد اعتمدت عليهم كثيراً في ترجمة أعلام مرموقين من جربة أو من نزلائها المتوفين بها .

هذا والعناية بهم ما زالت محدودة المدى ضيقة النطاق مع أن الكثير منهم جدير بكل تقدير وتنويه وحيداً لو يتفرغ بعض الباحثين من شباب جزيرة جربة لإصدار دراسات خاصة في رسائل بحيث يخصص لكل واحد منهم رسالة أو يقع جمعهم في تأليف خاص يسمى (أعلام جربة) أو نحو ذلك حتى ينتشر ذكركم ويشيع أمرهم ويصبح الجهل بهم أمراً لا يليق بكل مثقف متبع لسير الحركة العلمية والحضارية بوطنه .

وبوذي لو يخصص ملتقى ثقافي باسم أحد أعلام جربة الأجلء كالثلاثي أو سعيد بن تعاريت الأول أو الثاني ، أو من الوافدين عليها المدفونين بها كأبي القاسم البرادي ، والجيطالي ، ويوسف المصعبي وابنه محمد ، لأن الجزيرة أخرجت على مدار القرون أعلاماً لهم مكانتهم لا في المذهب الإباضي فقط بل في التفكير الفلسفي الإسلامي ، وفي التاريخ التونسي . وإذا كان للإمام ابن عرفة ملتقى سنوي في مدين وللشيخ علي النوري ملتقى في صفاقس ولابن أبي الضياف المؤرخ ملتقى في سليانة وللقصادي العالم الرياضي ملتقى في باجة فلماذا لا يكون بجربة ملتقى سنوي باسم البرادي أو الجيطالي أو ابن تعاريت ، أو غيرهم من ذوي الآثار العلمية والتاريخية يبدو أن رواسب الماضي ما زالت تعمل عملها بدون شعور أو قصد ، نرجو أن يقع التدارك في المستقبل القريب بحول الله .

هذا ولا يفوتني أن أشكر كل من قدم لي إعانة كبيرة أو صغيرة كالصديق الشاعر الأستاذ محمد الشعبوني في تاريخ وفيات بعض المعاصرين ، أو تاريخ طبع إنتاجهم أو إعارة إنتاجهم المطبوع ، والصديق الأستاذ الصادق بن مرزوق في ترجمة بعض علماء جزيرة جربة ، والأستاذ عبد الله الزناد في ترجمة الشيخ محمد مخلوف المنستيري ، والأستاذ محمد الحبيب السلامي في ترجمة قرية شيخنا محمد المهبري ، أشكرهم جزيل الشكر وهو غاية ما أمك «والغني بما ملك» كما قال قديماً بديع الزمان الهمذاني ، وجزيلهم الله كل خير وأبقاهم ذخراً للمعرفة، ومن الأمانة العلمية عز وكل فائدة لصاحبها ، علاوة عن خلق الاعتراف بالجميل لذويه ، لا السطو على الفائدة ونسبتها إلى النفس في غير تورع ولا حياء تظاهراً بسعة الاطلاع وتدليساً على القارئ وغمطاً لصاحب الحق والفضل . هذا رأيي وعقيدتي ، مع أنني اکتويت بشواظ من عقوق ولؤم بعض الأفاضل . فقد أعنت بعضهم إعانة متنوعة كبيرة في تأليف له في التاريخ ، من إمداد بوثائق وكتب وترجمة من الفرنسية إلى العربية وترجمة لبعض الأشخاص وعلى ضوء ما أمددته به حور

الكتاب ونقحه بعد أن كان على وشك تقديمه للطبع وكنت أكون شريكاً له في التأليف ، لكنني تكزمت بإعائه تشجيعاً لأخ كريم فاضل ووضعت له فهرس المصادر والمراجع ، ذكرت فيه ما لم يسمع به فضلاً عن أن يراه حتى نوه كاتب مقدمة الكتاب بأنه واسع الاطلاع ، ومع هذا فإن هذا السيد لم يذكرني بكلمة واحدة في المقدمة ، وكأنه أمر يشينه أو ينقص من علمه وفضله ، ولم يتكرم بإهداء نسخة بعد طبع الكتاب كأن أتعابي أقل قيمة من نسخة منه وتأملت من هذا الموقف اللئيم غير المرتقب فكاتبته غاضباً وعائباً ، وانقطعت كل صلة بيني وبينه ما يقرب من ثلاث سنوات ، إذ توفي - رحمه الله وسامحه - في سبتمبر 1978 وراودتني نفسي في أول الأمر ككشف حقيقة الأمر وفضح تدليسه وتليسه ورفع النقاب عن أخلاقه ومبلغ علمه ولدي رسائل بخط يده تثبت بعض ما أذعيت لكنني عدلت عن هذا في إبانه لأنه طاعن في السن فخشيت أن يتقل هذا عليه إذ ربما لا يتحمل الصدمة ومع كل هذا فإن طبعي لم يسرق من طبعه ولا أتحوّل ولا أتغير ، ولا أذعي بأنّي أتيت بما لم يسبقني به أحد ولكنني كشفت الستار عن بعض المغمورين ويسرت السبيل أمام الباحثين .

والله سبحانه هو الموقّق المعين ومسدّد الخطى لسلك الطريق القويم .

محمد محفوظ صفاقس في 19 شوال 1398

الموافق لـ 21 نوفمبر 1978

حرف الألف

آرباش = (انظر: 58- الأندلسي)

1 - آغة (1296 - 1365 هـ) (1876 - 1946 م)

مصطفى بن عباس بن مصطفى آغة. ولد في قصر جدّه ببلدة الكرم من الضواحي الشمالية لمدينة تونس، وكان جدّه مصطفى وزير الحرب في دولة المشير الأول أحمد باشا باي وهو شاعر وأديب.

تعلّم في منزله على عادة الأسر الأرستقراطية في عصره، وتلقّى مبادئ العلوم العربية على أساتذة خواص كمحمد القرطبي، وعثمان بن المكي التوزري. ودرسته على هذين الأستاذين حبيت إليه المطالعة والاستفادة من كتب الأدب، فأقبل بنهم على مطالعة الدواوين الشعرية قديمها وحديثها فتكونت له ملكة أدبية وكان آية في الذكاء صاحب دعابة ونكتة ونقد لاذع...

وقضى شبابه وصدره من كهولته بقصره منعزلاً عن المجتمع باستثناء بعض الأعيان الذين كانوا يزورونه لحضور مجالسه الأدبية كالشيخ أحمد بيرم الحنفي شيخ الإسلام، والأستاذ حسن قلاتي (بالقاف المعقدة) الحامي وحسن حسني عبد الوهاب الباحث المؤرخ، والشيخ محمد باش طبعي والأمير محمد الناصر باي، وغيرهم.

وقد أسس مع بعض أصدقائه «النادي التونسي» الكائن بنهج الكوميسيون بإشراف الأستاذين: عبد العزيز الزاوش، وعلي باش حانية. والملاحظ أن هذا النادي كانت تؤمه الطبقة الأرستقراطية وكانت تجري فيه الأحاديث السياسية، والمناقشات الأدبية وغيرها، وبرز من هذا النادي مشاريع تونسية عديدة كجمعية الآداب التمثيلية التي تأسست عام 1910، وجمعية قدماء الصادقية التي ظهرت عام 1905، وجريدة «التونسي» التي صدرت عام 1907 كما تفرّغ عن هذا النادي «الحزب الإصلاحي» الملاين للاستعمار والذي يرضى بما يلقي إليه الاستعمار من فئات الإصلاحات، فقد قبل إصلاحات 13 جويلية 1922 التي نحوّلت تأسيس المجلس الكبير، والحجرات الاقتصادية، ومجالس الجهات الخمس، ومجالس العمل، وهذا الحزب لا يرى مانعاً في سياسة المشاركة في المسؤوليات مع الفرنسيين.

ونظراً لاختلاف وجهة النظر السياسية بين الحزب الدستوري القديم والحزب الإصلاحي فقد وقع الادعاء على الحزب الأخير بأنه يسعى لمناهضة اللغة العربية من خلال المسرحيات التي تقدمها جمعية «الآداب التمثيلية» المنتمية إليه ، فأسس الحزب القديم لمناهضته جمعية «الشهامة» التي تولّى رئاستها الشيخ عبد العزيز الثعالبي . وكان لهذا التنافس أثره في الحركة المسرحية فشاهدت الجماهير مسرحيات قدمتها فرقنا الحزبين .

وكان المترجم له منتمياً للحزب الإصلاحي متحمساً لمبادئه متحملاً لكل مكروه في سبيلها نوّهت جريدتنا هذا الحزب «البرهان» و «النهضة» بالمترجم له ونشرنا له مقالاته وأشعاره .

وذكر الشيخ الأستاذ محمد الفاضل بن عاشور في كتابه «الحركة الأدبية والفكرية في تونس» عمل المترجم له في الحزب الإصلاحي الذي تمسك بإصلاحات عام 1922 على عهد المقيم العام لوسيان سان ، وكان يرى أنها خير من لا شيء فيقول عنه وعن الحركة الحزبية والسياسية التي أرادها الاستعمار لتفريق الصفوف وإضعاف المقاومة والقضاء عليها « . . . واحتضن مصطفى آغة نادي الحزب ونوّهت به جريدتهم . وكان من شغوفه الذاتي وتساميه الفلسفي واعتداده بحكم العقل والمنطق في كل شيء ما أبعد الشقة بينه وبين الحركة الشعبية ، وعملت جريدة الحزب الإصلاحي على إغاطة الشاذلي خزنة دار في مناصرة مصطفى آغة وتقديمه فكان للمعركة الحزبية السياسية دخل كبير في الميدان الأدبي بالمفاضلة بين الشاعرين ، كما كان بين الوطنيين والإصلاحيين بمصر بين حافظ وشوقي .

. . . واصطبغت قصائد كل من الشاعرين بصبغة ألسلك الذي ارتضاه لنفسه فجاءت قصائد خزنة دار حماسية تفخر بالانتصارات وتثور في وجه الاعتداءات تصدر بمناسبة المواقع الكمالية وحفلات الهلال الأحمر وحوادث التنكر للوطنيين والابتهاج برجوع المبعدين وخروج المساجين ووصف المظاهرات وتشجيع الوفود وانعقاد المجمع السياسية وتفيض كلها حماساً ووثوقاً بانتصار الحق وحسن عاقبة الصدق ويقوم فيها الشعري على وحدة الغرض وتسلسل عناصره وطول النفس وتلافي القصر على طريق الأطناب فكانت قصائده كالخطب لها من الأثر في السامع وقت إنشادها ما لا يستطيع الناقد أن يكشف عنه ما لم يحدد الظروف التي مكنت لها من القبول، على أن النقد المنصرف للفن الصرف لا يستطيع أن يغطي على أسقام في التركيب ، وزحافات في الأوزان ، وابتدال في المعاني وحشو في الألفاظ ، كانت الحرارة الفائضة من تلك القصائد تذيبها فلا يحسها السامعون .

أما قصائد مصطفى آغة فقد كانت بمزل عن هذه المؤثرات لم تشر إلى الحركة الوطنية بكلمة ولا جرى فيها ذكر زعيم ولا لفتة إلى السياسة بل تمحضت إلى النظر الفلسفي والوصف الاجتماعي ، وأقيم هيكلها على تصوير المقامات وتخيل المحاورات بروح فلسفية ساخرة قانطة تنظر إلى البؤس المادي والشقاء العقلي اللذين حفا بحياة الناس كما ينظر المعري في «اللزوميات» . وصوغها واضح جزل التركيب مستكثر من البديع ، مطرد في الوصف

يتمشى مع تنقل الحوار وتسلسل الأحداث والمعاني فتتواصل فيه الأبيات لأنها جملة واحدة حتى يكثر فيها التضمين وربما يتعاصى عليه اتحاد الميزان الشعري مع ما يريد من جزالة وسهولة في التركيب فيتغلب على ذلك بزحاف أو تحنن، وكثيراً ما يقع بسبب ذلك في إهمال القواعد النحوية فيلحن لحناً فاحشاً، على أنه شاعر الحكمة السامية وصاحب الخيال البديع، حقيق بشعره أن يحتل منزلة الاعتبار في مقاييس الآداب العالمية إلا أنه قليل التفنن منسوج على منوال واحد» .

أثرنا نقل كلام الشيخ الفاضل بن عاشور على طوله لأنه فيه تحليل واف لخصائص شعر آغة ومميزاته غير أننا نلاحظ فيما يخص النظر الفلسفي في شعره أنه كان منعزلاً عن المجتمع منطوياً على نفسه فنمت عنده ملكة التأمل العقلي، وأودع شعره هذه التأملات العقلية وهي ليست بنظر فلسفي إلا على ضرب من التجوز. وهو لا يعرف الفلسفة ولا يتقيد بمذهب من مذاهبها ولا بأصولها. على أن هذه التأملات العقلية، وما يسري في أوصال شعره من حوار وقصص جعلته من المجددين في ذلك العصر ولقتت إليه الأنظار بالتقدير أحياناً وبالسخريّة والدعابة أحياناً أخرى، فإن الأديب محمد الصالح المهدي تندر عليه في جريدة «النديم» فإنه دعا التونسيين إلى الاستخفاف بما يكتبه هذا الشاعر من آراء وأفكار والضحك منها. ولو كان لشعره جلال النظر الفلسفي وعمقه لما تجاسر مثل المرحوم محمد الصالح المهدي على الدعوة إلى الاستخفاف بشعره والضحك منه .

ومن الملاحظ أن الخلاف الحزبي بينه وبين الشاذلي خزنة دار لم يحل دون ربط علاقات صداقة بينهما، فكان المترجم له يتصل به في محل سكناه بـ «منوبة» ويقضي معه الأيام والأسابيع في المراجعة والذاكرة. وأهم ما تعلمه من خزنة دار أوزان الشعر والعروض والقوافي، وكان متخصصاً فيها. وكان من الولوعين بشعر خزنة دار ومن المهتمين بترائه الفكري .

والمترجم له ساهم في النشاطات الفكرية الاجتماعية والثقافية ابتداء من النادي التونسي بنهج الكومسيون إلى جمعية الآداب التمثيلية، إلى جوق التمثيل العربي الذي تأسس سنة 1921 واختير ضمن هيئته المسيرة، إلى الاتحاد المسرحي الذي عيّنه سنة 1937 في لجنة فحص الروايات، إلى نشاطه في الجمعية الرشيدية التي تأسست سنة 1934 وكلفه رئيسها المؤسس لها السيد مصطفى صفر برئاسة لجنتها الأدبية التي اضطلعت بدور هام في ميدان تأليف الأغاني وانتقاء ألفاظها وتطهيرها من المعاني المتبدلة ونوازع الانحلال، وألف كثيراً من الأغاني ومن أشهرها قصيدته «هجر الحبيب» كما أنه غذى الإذاعة بمجموعة من أحاديثه الأدبية .

آثاره :

1 ديوان شعر طبع بالمطبعة التونسية سنة 1920/1339 .

2 - بيني وبين المعري: مجموعة أحاديث ألقاها بالإذاعة . هي عبارة عن حوار تتبع فيه «رسالة الغفران» وأبدى نقده لها .

المراجع :

- أدباء تونسيون ، رشيد الذواودي (طبع تونس 1972) ص 9-27.
- الأدب التونسي في القرن الرابع عشر ، زين العابدين السنوسي (ط أولى) 15-3/2 .
- الشعر التونسي المعاصر ، محمد الصالح الجابري (ط تونس 1974) ص 181-206 .
- الحركة الأدبية والفكرية في تونس ، محمد الفاضل بن عاشور ص 145-147 .
- مجمل تاريخ الأدب التونسي ، حسن حسني عبد الوهاب (ط تونس) ص 310-316 .
- الأعلام 245/7 وفيه مصطفى بن محمد بن مصطفى وترجمته أملاها عليه الأستاذ عثمان الكفاك .
- Sadok Zmerli: Figures tunisiennes: les successeurs, pp. 181-188 .

* * *

2 - ابن الأثير (658 هـ / 1280 م)

محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن عبد الرحمان بن أحمد المعروف بابن الأثير القضاعي البليسي ، نزيل تونس ، أبو عبد الله الحافظ المحدث الأديب الكاتب الشاعر المؤرخ صاحب التأليف الكثيرة . أصل والده من أندة⁽¹⁾ .

ولد ببليسية من بلدان شرق الأندلس ، المدينة الجميلة ذات الخصب والهواء المعتدل⁽²⁾ . وكان والد ابن الأثير من أهل العلم ، ديناً تقياً ، قرأ على طائفة من العلماء وأجازوه . قرأ عليه ابنه صاحب الترجمة القرآن بحرف نافع ، وسمع منه أخباراً وأشعاراً ، ووجهه وامتنح حفظة أيام الطلب وناولوه جميع كتبه . قال ابن الأثير في ترجمة والده⁽³⁾: «وكان - رحمه الله - ولا أذكىه - مقبلاً على ما يعنيه ، شديد الانقباض ، بعيداً عن التصنع ، حريصاً على التخلص ، مقدماً في حملة القرآن ، كثير التلاوة له والتهجده به ، صاحب ورع لا يكاد يهمله ، ذاكرة للقراءات مشاركاً لأخذ المسائل ، آخذاً فيما يستحسن من الأدب ، معدلاً عند الحكام ، وكان

(1) مدينة من كور بلنسية (الروض المعطار ص 31) واندة⁽¹⁾ (Ondu) اليوم مدينة صغيرة في مديرية قسطليون وتقع على 20 كيلومتراً غربى قسطليون قاعدة المديرية . وكانت أندة على أيام المسلمين تابعة لكورة بلنسية (د . حسين مؤنس مقدمة الحلة السراء ، ص 14) . وتعرف اسم أندة إلى أيردة عند الغبريني (عنوان الدراية) .

(2) انظر الروض المعطار للمحميري ، تحقيق ليفي بروفنسال ، ص 47 .

(3) التكملة لكتاب الصلة رقم 1441 .

القاضي أبو الحسن بن واجب يستخلفه على الصلاة بمسجد السيدة داخل بلنسية ، قرأت عليه القرآن بقراءة نافع مراراً ، وسمعت منه أخباراً وأشعاراً ، واستظهرت عليه مراراً أيام أخذني على الشيوخ يمتحن بذلك حفظي وناولني جميع كتبه ، وشاركته في أكثر من روى عنه . . . » .

ويتضح من هذا إن ابن الأثير نشأ في وسط علمي ، ووجهه والده لطلب العلم . ومن أشهر أعلام بلنسية بل أعلام الأندلس الذين أخذ عنهم وتخرج بهم في علوم الحديث التي منها معرفة أسماء الرجال وأنسابهم وتواريخهم ، وتخرج به في الكتابة أيضاً الحافظ المحدث الحافل الأديب صاحب الرواية الواسعة والتصانيف أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم الحميري الكلاعي ، لازمه عشرين سنة . ولم يكنف ابن الأثير بالأخذ عن أعلام بلنسية بل جال في بلدان الأندلس للأخذ عن رجالها والرواية عنهم . وفي شيوخه كثرة ذكرهم ابن عبد الملك المراكشي في «الذيل والتكملة» . وتوفي والده في ربيع الأول سنة 21/619 مارس 1222 ولم يحضر جنازته لأنه كان غائباً عن مسقط رأسه في ثغر بطليوس ، فقد جاء في أواخر ترجمته لوالده «وتوفي ببلنسية - وأنا حينئذ بثر بطليوس - عند الظهر يوم الثلاثاء الخامس شهر ربيع الأول سنة 619 ودفن لصلاة العصر من يوم الأربعاء بعده بمقبرة باب بيطالة وهو ابن ثمان وأربعين سنة ، وحضر غسله أبو الحسن بن واجب وجماعته وكانت جنازته مشهودة ، وأثنوا عليه جميلاً نفعه الله بذلك» .

وابن الأثير حريص على الرواية عمن تقدمت سنهم وعلماً إسنادهم حتى بعد استكمال تحصيله وتجاوز طور الشباب ، اتباعاً لتقليد شاع في أوساط المحدثين ، فقد لقي بتونس المقرئ الراوية أبا زكريا يحيى بن محمد بن عبد الرحمان البرقي المهدي مصروفاً عن قضاء المهدي (ت . سنة 1251/647) . وقد اجتمع البرقي في تونس بالحافظ أبي الخطاب عمر بن حسن الكلبي المعروف بابن دحية ، وروى عنه ، وروى عنه عبد المنعم بن عبد الرحيم الخزرجي المعروف بابن الفرس⁽¹⁾ . ويبدو أن ابن الأثير كان عارفاً بمكانته قبل لقائه .

وبعد استكمال تحصيله وإشباع نهمه من لقاء الشيوخ بالقطر الأندلسي رجع إلى مسقط رأسه بلنسية فتولى الكتابة لوالها أبي عبد الله بن أبي حفص عمر بن عبد المؤمن المعروف بالبياسي وقد نشأ هو وأخوه أبو زيد عبد الرحمان في بياسة ، فعرفوا من أجل ذلك بالبياسيين . ولما خرج من بلنسية والتجأ إلى حلفائه القشتاليين خلفه على إمارة بلنسية أخوه أبو زيد عبد الرحمان ، واستمر ابن الأثير على خطته في الكتابة حتى إذا ضيق على هذا الأمير أبو جميل زيان بن أبي الحلمات مدافع بن يوسف بن سعد بن مردنيش في بلنسية التجأ إلى حليفه جاييم أو خاييم الأول ملك أراغون وصحبه كاتبه ابن الأثير ثم رجع ابن الأثير إلى بلنسية عندما رآه يفضل الإقامة في بلاد ملك أراغون وعمل كاتباً لأبي جميل زيان بن مردنيش الوالي الجديد على بلنسية . وكان القطر الأندلسي في هذا العصر مختل الأوضاع تعصف به الحروب

(1) المعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصديقي ص 211 عرضاً في ترجمة عبد الله بن محمد بن أبوب الفهري .

الداخلية والحروب الخارجية من الإسبان بقيادة ملك قشتالة وملك أرغون بحيث أن حركة الاسترداد الإسبانية سجلت انتصارات متعددة واحتلت مدناً عديدة، وكانت الدولة الموحدية في طورها الأخير من الضعف والانحلال، وأفراد بيتها منقسمون على أنفسهم متعطشون إلى السلطة تعطشاً محموداً بدون إقامة وزن للظروف الحرجة والمصلحة العامة، وأمراء الطوائف من الأندلسيين يتحاربون ويستعينون بهذا وذاك من ملوك الأسبان للتغلب على خصومهم ويرضون في مقابل ذلك بأداء إتاوة سنوية وهي نوع من الحماية بعدها الاحتلال في القرصة المؤاتية، ويظهر للمتأمل أن مصير الأندلس تقرر منذ العقود الأولى من القرن السادس الهجري.

وكان شرقي البلاد الأندلسية هدفاً لهجمات ملك أرغون خايم الأول فاستولى على كثير من القلاع حول بلنسية وشُقِر سنة 1236/633 وبني حصن أنيشة قرب بلنسية ليعسكر فيه جنده استعداداً لحصار بلنسية، وقد حاول ابن مردنيش أن يبذل آخر جهوده فاستنفر أهل شاطبة وشقر، فانضموا إلى جند بلنسية، وهاجموا حصن أنيشة في العشرين من ذي الحجة سنة 13/634 أوت 1237 ولكنهم هزموا وقتل في المعركة كثير من الفقهاء والعلماء، ومن بينهم العلامة المحدث أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي شيخ ابن الأثير⁽¹⁾ وهو مقبل غير مدبر يحرض الفارين على القتال.

وكانت هزيمة المسلمين أمام حصن أنيشة دليلاً على قرب سقوط بلنسية فأخذ الناس في الانتقال منها. وفي رمضان سنة 1238/635 هاجم ملك أرغون بلنسية وضرب حولها حصاراً قوياً وأدرك المسلمون فيها أن لا طاقة لهم بصد المحاصرين وعزموا على الاستعانة بسلطان الدولة الحفصية في تونس وعند ذلك أرسل ابن مردنيش وفداً من أهل بلنسية إلى سلطان تونس أبي زكريا يحيى الحفصي وعين كاتبه ابن الأثير من بين أعضاء الوفد في رجب سنة 636/ديسمبر 1238 وطالب الوفد السلطان أبا زكريا الحفصي بنجدهم وأدى ابن الأثير مهمته خير تادية وأنشد بين يدي أبي زكريا الحفصي⁽²⁾ قصيدته السينية الطويلة وعدد أبياتها 67 بيتاً من البحر البسيط طالعها:

أدرك بخيملك خيل الله أندلسا إن السبيل إلى منجاتها درسا

«وفيها من التكلف ما يكاد يصرف قارئها عن الحال المحزن الذي قيلت فيه⁽³⁾». «وهو فيها شاعر مملوء النفس بالعاطفة مغمور الفؤاد بالأسى بين وطن مغلوب، وملك بالرجاء مطلوب، فالمعاني متوفرة، ومجال القول ذو سعة، من أجل ذلك أطال وأجاد ووجد وجوه الكلام مختلفة، فصال وجال لكنه كان فيها الواصف الناقل ينتقل من هذا كله ولم يكن الخائل الذي يملك تلوين هذه الأوصاف المنقولة وترويقها لتروق حيناً وتهول حيناً آخر، فهذا

(1) انظر: صالح الأشر، مقدمة إعتاب الكتاب ص 9.

(2) المرجع السالف ص 10-11.

(3) حسين مؤنس مقدمة «الحلة السيرة» ص 35.

الخطب تفرغ له النفوس وتجزع ، وهو في حاجة إلى من يصوره فيحسن تصويره لا من يسرده فيحسن سرده .

وانك إذ تمس جزعاً وهلعاً عند سماعك هذه القصيدة أو قراءتها فليس شعر الشاعر مبعثه أو مأتاه ولكن ما انطوت عليه الأبيات من تلك الحقائق المتراسة التي أحسن الشاعر جمعها ولم يحسن وصفها⁽¹⁾.

ولكن القصيدة على أي حال حققت الهدف من إنشادها ، وكان لها تأثير في نفس السلطان أبي زكريا فتحتمس وأرسل أسطولاً إلى بلنسية مشحوناً بالسلاح والقوت والمال .

وكان الملك خاتمة الأول قد ضيق الحصار على بلنسية وراقب ميناءها ، وحاول الأسطول الحفصي النزول في موضع جراو قرب بلنسية في 4 محرم 18/636 أوت 1238 فلم يستطع النزول لوجود الجنود النصراري «فأرسل قائد الحملة أبو يحيى بن أبي حفص عمر الهنتاتي المعروف بالشهيد إلى أبي زكريا الحفصي يعلمه بالحال ، واتجه هو بالسفن إلى دانية وهي تابعة لابن مردنيش وأرسي فيها في 12 محرم 26/636 أوت 1238 وترك لأهلها الطعام والسلاح اللذين كان يحملهما أما المال فقد عاد به إذ لم يجد من يتسلمه منه»⁽²⁾.

وكان الحصار محكماً شديداً حول بلنسية ، والقتال ضارياً عنيفاً وأعداد جند النصراري تتزايد يوماً بعد يوم «حتى أصبح معسكر ملك أراغون كأنه مدينة كبيرة ، خف إليها التجار من كل صوب»⁽³⁾.

وفي الوضع المتأزم اليائس استقر رأي زيان بن مردنيش على مفاوضة الأعداء لتسليم مدينة بلنسية ، وتم التسليم في 17 صفر 636 / سبتمبر 1238 وقد اشترك ابن الأتار في المفاوضات وكتب العقد .

وقد وصف ابن الأتار موكب التسليم ، وبعض ما تضمنه اتفاق التسليم وانتقال الناس من بلنسية وخروج ابن مردنيش من قصر الإمارة ، قال : «ثم ملكها الروم ثانية بعد أن حاصرها الطاغية جاقم البرشلوني من يوم الخميس الخامس من شهر رمضان سنة خمس وثلاثين وستمائة إلى يوم الثلاثاء السابع عشر من صفر سنة ست وثلاثين وفي هذا اليوم خرج أبو جميل زيان بن مدافع بن يوسف بن سعد الجذامي من المدينة ، فهو - يومئذ - أميرها في أهل بيته ووجوه

(1) إبراهيم الأبياري ، مقدمة «المقتضب من تحفة القادم» ص. ع. وأثارت هذه القصيدة نقداً ودفاعاً في تونس ، فقد انتقدها بعضهم ورد على هؤلاء المنتقدين إبراهيم بن محمد بن أبي القاسم التجاني (ت في حدود 1262/660) بتأليفه «مؤازرة الوافد ومبارزة الناقد في الانتصار لابن الأتار» ، انظر مقدمة رحلة التجاني للمرحوم حسن حسني عبد الوهاب ص 9 ، 10.

(2) مقدمة الحلة السيرة ص 35.

(3) المرجع السالف .

الطلبة والهند وأقبل الطاغية وقد تزيى بأحسن زي في عظماء قومه من حيث نزل بالرصافة أول هذه النازلة فتلاقيا بالولجة⁽¹⁾ واتفقا على أن يتسلم الطاغية البلد سلماً لعشرين يوماً ينتقل أهله أثناءها بأموالهم وأسبابهم وحضرت ذلك كله وتوليت العقد عن أبي جميل في ذلك وابتدئ بضعفة الناس وسيروا في البحر إلى نواحي دانية، واتصل انتقال سائرهم براً وبحراً وصبيحة يوم الجمعة السابع والعشرين من صفر المذكور كان خروج أبي جميل بأهله من القصر في طائفة يسيرة أقامت معه وعند ذلك استولى عليها الروم⁽²⁾.

وكان حزن المسلمين على سقوط بلنسية عظيماً، وبكى ابن الأتار مسقط رأسه بدمع غزير⁽³⁾ قال من رسالة له: «أما الأوطان المحبب عندها بحكم الشباب، المشيب فيها بمحاسن الأحياب فقد ودعنا معاهدها وداع الأبد، وأخنى عليها الذي أخنى لبد أسلمها الإسلام. وانتظمها الانتثار والاصطلام، حين وقعت أنسرهما الطائفة، وطلعت أنحسها الغائرة فغلب على الجذل الحزن، وذهب مع المسكن السكن (بسيط):».

كزعزع الريح صك الدوخ عاصفها فلم يدع من جنى فيها ولا غصن
واهاً وواهاً يموت الصبر بينهما موت المجاهد بين البخل والجن

أين بلنسية ومغانيا وأغاريد ورقها وأغانيا، وأين حلى رصافتها وجسرهما، ومنزلا عطائها ونصرها، أين أفناؤها تندی غضارة وذاكاؤها تبدو من خضارة، أين جداولها المنساحة وذمائلها، أين جناتها النفاحة وشمائلها، شد ما عطل من قلائد أزها نحرها، وخلعت شعشعانية الضحى بحيرتها وبحرها، فأية حيلة لا حيلة في صرفها مع صرف الزمان، وهل كانت حتى بانث إلا رونق الحق وبشاشة الإيمان، ثم لم يلبث داء عقرها أن دب إلى جزيرة شقر فأمرّ عذبتها النمير وذوى غصنها النضير، وخرست حمائم أدواحها وركدت نواسم أرواحها⁽⁴⁾.

وقد عدّ ابن الأتار المدن الأندلسية التي سقطت بأيدي الأسبان، والتي يتوقع سقوطها «... وتلك البيرة بصدد البوار، ورية في مثل حلقة السوار، ولامرية في المرية وخفقتها على الجوار إلى بنيات لواحق بالأمهات، ونواطق بهاك لأول ناطق بهات».

وذهب ابن مردنيش إلى دانية ومعه ابن الأتار، ثم رأى ابن الأتار الانتقال إلى تونس

(1) الولجة بالاسبانية (Huolga) وهي الرحبة الواسعة التي تستعمل للنزعة واستعمال ابن الأتار لهذا اللفظ هنا يدل على أنه كان جارياً في استعمال الأندلسيين. وقد وجدت رجلات كثيرة قرب مدن أخرى ولكني لم أعثر على ولجة بلنسية (د. حسين مؤنس: تعليق رقم (1) على الحلة السيرة (126/2).

(2) الحلة السيرة 127/2.

(3) مقدمة «إعتاب الكتاب» ص 12.

(4) الرسالة أورد قسماً كبيراً منها الحميري في الروض المعطار ص 52-54. [ص 100 من طبعة احسان عباس].

والاستقرار بها لياسه من الوضع السيئ بالأندلس، ولحسن استقباله بتونس عند زيارته الأولى وتقديره وذيوع صيته⁽¹⁾ وأكرم أبو زكريا الحفصي وفادته وولاه كتابة العلامة، وهي عبارة عن التواقيع التي تضاف إلى المكاتبات السلطانية وترفع إلى السلطان ليضع عليها خاتمة⁽²⁾.

تولّى ابن الأتبار هذه الخطة بعد وفاة أبي عبد الله محمد بن الجلاء البجائي⁽³⁾ سنة 638/1240 صاحب خطة الإنشاء والعلامة.

وكان من المنتظر أن يلاقي النجاح والتوفيق لسابق تجربته في الخدمة بقصر الإمارة ببليسية ولكنه لسوء أخلاقه وعدم احترازه من فلتات لسانه لم ينجح في الاضطلاع بهذه المهمة السامية وأحر وبعد تأخيره وتولية غيره كتابة العلامة لم يتقيد بدقة بما أعطي له من أوامر ولعل ذلك مبعثه الغرور.

قال الزركشي⁽⁴⁾: «ثم أحر لسوء خلقه وإقدامه على التعليم (أي كتابة العلامة) في كتب لم يؤمر بالتعليم فيها».

ومثل هذا التفصي من القيود والسير بما تمليه الشهوة والرغبة، وبعبارة أخرى عدم التقيد بأي رسم من رسوم الإجراءات والأنظمة الديوانية، ومثل هذا ربما نجد له مبرراً إذا كان القائم بهذه الوظيفة غراً عديم التجربة، أما ابن الأتبار ذو التجربة السابقة فلا تفسير لسلوكه إلا الغرور وإذا كان هكذا فما له والاتصال بقصر له نظمه وتقاليده ويتقلد فيه وظيفة أخرى؟

وآل الأمر إلى تأخير السلطان أبي زكريا الحفصي لابن الأتبار عن كتابة العلامة وتقديم

(1) ذهب الغبريني في «عنوان الدرابة» ص 206 إلى أنه نزل بجاية أولاً (بالقطر الجزائري) واستدعاه إلى تونس المستنصر «وقضى رسالة عند ملك أفريقية في حديث طويل، ثم رجع إلى العدة قاصداً استيطانها فتخير سكتي بجاية ثم استدعاه أمير المؤمنين المستنصر إلى حضرته فدخلها...» والذي ذكر غيره أنه نزل تونس في عهد أبي زكريا والد المستنصر وتولى كتابة العلامة له. ثم غضب عليه فاستجار بولي العهد أبي يحيى الذي مات قبل أن تتم المهمة فاستجار بولي العهد الجديد المستنصر وكان ولي العهد يقيم ببجاية والظاهر من سياق الأحداث أن ابن الأتبار دخل بجاية مرتين مرة في عهد أبي زكريا ومرة في عهد المستنصر حين غضب عليه.

(2) مقدمة الحلة السبيرة ص 39.
الأوامر الصادرة من الخليفة يكتب عليها العلامة الكبرى «الحمد لله والشكر لله» في أول الكتاب بعد البسملة والعلامة الصغرى في آخر الكتاب إذا كان الأمر يكبر قدر الخليفة عنه وأول من ابتدع تقسيم العلامة إلى كبرى وصغرى شيخ الدولة أبو سعيد عثمان المعروف بالعود الرطب حوالي سنة 1261/650 في عهد المستنصر (راجع تاريخ الدولتين للزركشي ص 25-26).
والعلامة هي شعار الدولة وصيغتها التي تدرج بها الأوامر السلطانية، وتعتبر مقرراتها نافذة (محمد التركي مقدمة مستودع العلامة لابن الأحمر ص 8).
وصاحب العلامة هو كاتب السر (رئيس ديوان الإنشاء).

(3) تاريخ الدولتين 21.

(4) تاريخ الدولتين 21.

أحمد بن إبراهيم بن عبد الحق الغساني التونسي المولد الأندلسي الأصل⁽¹⁾ وكان يكتب العلامة بالخط المشرقي⁽²⁾ بما نصه : «من الأمير أبي زكريا ابن الشيخ أبي حفص»⁽³⁾ وطلب من ابن الأتبار أن يقتصر على إنشاء الرسائل وكتابتها وأن يدع كتابة العلامة فيها لأحمد بن إبراهيم الغساني فلم يمثل ما أمر به فبقي يكتب العلامة فعوتب في ذلك وروجع فاستشاط غضباً ورمى بالقلم من يده وأنشد متمثلاً بيت المتنبي :

أطلب العز في لظى وذو الذل ولو كان في جنان الخلود
وحمل الخبر إلى السلطان فصرفه عن العمل وأمره بلزوم بيته .

وقد عزا بعض الباحثين⁽⁴⁾ نكته إلى أن سعاية بعض حساد ابن الأتبار من أهل تونس ممن ساءهم أن يروا المهاجرين الأندلسيين يحتلون أرفع المناصب في الدولة الحفصية ويزاحمونهم عليها بما يملكون من ثقافات ومواهب، أي أن هناك نزعة بلدية ضيقة لا تنظر بارتياح إلى تسلم الوافدين الغرباء من الأندلسيين أعلى المناصب وأن في هؤلاء غروراً واعتداداً بأنفسهم وثقافتهم وكونهم أهلها وأحق بها من غيرهم .

وليس هذا صحيحاً من كل وجه لأن ابن الغماز البلنسي ابن بلدة ابن الأتبار وتلميذ أبي الربيع الكلاعي مثل ابن الأتبار تولى قضاء الجماعة بتونس (ما يعادل بعض اختصاصات وزير العدل الآن) مرات وكتابة العلامة الكبرى ، ولم تحدث له مشاكل أو سعايات لأن ابن الغماز كان رجلاً هادئاً عاقلاً رزيناً رضي الأخلاق ، بعيداً عن مزلق فلتات اللسان والغرور والادعاء . وكان محل تقدير من جميع الأوساط ، ولما مات تأسف الناس لفقده فرثوه بقصائد كثيرة جمعت في تأليفين لرجلين .

إن إخفاق ابن الأتبار مردّه إلى حدة طباعه وسوء أخلاقه وغروره وعدم تحرزه من فلتات لسانه ومما يدل على عدم تحرزه من فلتات لسانه وعدم تقديره لما ينجرُّ عنها من نتائج غير سارة ، أنه لما قدم من بلنسية في الأسطول نزل بينزرت وخاطب الوزير ابن أبي الحسين بغرض رسالته ووصف أباه في عنوان مكتوبه «بالمرحوم» ونبّه على ذلك فضحك وقال : «إن أبا لا تعرف حياته من موته لأب خامل» ونمي ذلك إلى الوزير فأسرّها في نفسه وراح يكيد له ، وابن

(1) أنظر مستودع العلامة ص 29.

(2) كان الخط في العصر الحفصي قريباً جداً من الخط المشرقي النسخي إلا في بعض الفروق البسيطة . ومن الوثائق الباقية المكتوبة في أوائل هذا العصر نسخة من الموطأ كتبت في عصر السلطان أبي زكريا الأول ، وعليها خط الشيخ محمد بن عبد الجبار الرعيني السوسي (ولعلها الوثيقة الوحيدة التي بها خطه) للمصادقة على المقابلة والتصحيح ، والنسخة موجودة بالمكتبة الوطنية بتونس ، وأصلها من مكتبة الشيخ علي النوري بصفافس .

(3) تاريخ الدولتين 21.

(4) صالح الأشرر مقدمة «إعتاب الكتاب» ص 14 .
د. حسين مؤنس مقدمة «الحلة السيرة» ص 14 .

الأبّار يؤذي بلسانه ويتهكم في سخرية من لا يروق له «ويبدو أنه⁽¹⁾ كان ممن ينبزون الآخرين بالكلام القارص أو النقد المهين في خفية وتستر حاسبين أن أمرهم لا يفتضح وأمرهم في الحقيقة لا يخفى على أحد، ومن هنا لقبه خصومه بالفأر ويغلب على الظن أن وجهه كان صغيراً نحيلاً، ومن هناك قال فيه أحد خصومه وهو أبو الحسن علي بن شلبون المعافري البلسني [كامل]:

لا تعجبوا لمضرة نالت جميع ع الخلق صادرة من الأبّار
أوليس فأراً خلقه وخليقه والفأر مجبول على الأضرار

وبعد صرف ابن الأبّار عن خطته انتقل إلى بجاية ملاقة ولي العهد أبي يحيى زكريا «وكان في أيام أبيه شاباً مستضعفاً دائم الخوف من إخوته محمد وإبراهيم وعمر وأبي بكر وكلهم ولي بعده» ومن أبناء عمه محمد بن عبد الواحد المعروف باللحيان لعظيم لحيته، ولهذا كان حريصاً على أن يكسب لنفسه أنصاراً يشدون أزره، فسرّه أن يتشفع به ابن الأبّار فكلم أباه في أمره فأعاده إلى الرضا⁽²⁾.

وفي فترة الابتعاد عن الخدمة نظم القصائد الضارعة معترداً وراجياً عفو السلطان أبي زكريا من زلقة:

لمبشري برضاك أن يتحكما لا المال استثنى عليه ولا الدما
ندمي على ما ندد مني دائم وعلامة الأواب أن يتندما

وفي هذه الفترة ألف ابن الأبّار «إعتاب الكتاب» «برسم السلطان أبي زكريا، وتذلل في فاتحته فأسرف في التذلل، وقصّر فيه حكايات كتاب غضب عليهم الملوك والأمراء ثم عفوا عنهم وقبلوا أعتادهم واعتبوهم.

أين هذا من تمثله منشداً:

أطلب العز في لظى وذو الذل ولو كان في جنان الخلود

بل ها هو ذا متضرع ذليل في الدنيا لا في دار الخلود!

إن ابن الأبّار تحمله الحدة وسوء الخلق على عدم الانسجام بين مواقفه وأقواله وما كان أغناه عن التذلل والرکوع لو أحسن ضبط نفسه ولم يكرع من ماء الغرور العكر.

وتوفي السلطان أبو زكريا سنة 1248/647 وتولى بعده أبو عبد الله محمد الملقب بالمستنصر ثاني أولاده وقد رتب جماعة من العلماء والأدباء مجالسته وكثير منهم أندلسيون

(1) مقدمة الحلة السيرة ص 41، مقدمة المقتضب من تحفة القادم ص (ي).

(2) مقدمة الحلة السيرة ص 42.

كاهن عصفور وابن الأتبار وأبي بكر ابن سيد الناس وأبي المطرف بن عميرة وغيرهم .
وابن الأتبار لم يستفد من تجاربه في خدمته الديوانية مع ما فيه من خفة وطيش فألب الأعداء حوله لسلطة لسانه وإذائه به وغروره فلم يقصّر هؤلاء في نسج الدسائس له حتى أودوا بحياته ومنهم الوزير أحمد بن أبي الحسين ، والكاتب أحمد بن إبراهيم الغساني ، هذا زيادة عما في حياة القصر من رسوم تضيق بالفضول والغرور .
وقد تمكن خصوم ابن الأتبار وأضداده وفي مقدمتهم الوزير ابن أبي الحسين من إيغار صدر المستنصر عليه ، فنفاه إلى بجاية سنة 1257/655 .

وفي مدة نفيه ببجاية لقيه أبو الحسن علي بن سعيد الأندلسي وقال بعد أن أشار إلى قصيدته السينية وتوفيقه فيها وإعجاب الناس بها: «إلا أن أخلاقه لم تعنه على الوفاء بأسباب الخدمة، فقلصت عند ذلك النعمة، وآخر من تلك العناية، وارتحل إلى بجاية ، وهو الآن عاطل من الرتب، خال من حلى الأدب مشتغل بالتصنيف في فنونه، مُثَقَّلٌ منه بواجبه ومسئونه ، ولي معه مجالسات أتق من الشباب ، وأبهج من الروض عند نزول السحاب (1) .

وفي هذه الفترة نَقَحَ وزاد في كتابة «التكملة لكتاب الصلة» وأتم كتابه «الحلة السيرة» واستطاع ابن الأتبار أن يسترضي السلطان المستنصر فعاد إلى تونس . ولم تطل مدة إقامته بها حتى قتل .

وذكروا في سبب قتله أنه جرى بالجلس يوماً ذكر مولد الواثق ابن السلطان المستنصر فلما كان من الغد جلب ابن الأتبار بطاقة يعرف فيها بساعة المولد والपालح(2) فلما وقف عليه المستنصر قال : «هذا فضول ودخول فيما لا يعنيه من أمرنا» وأمر بتثقيفه بسقيفة القصبة ، وبعث إلى داره أحمد بن إبراهيم الغساني وبينهما من العداوة ما يكون بين صاحب خطة أخذها أحدهما من الآخر فوجد في تقايده أبياتاً منها :

طغى بنونس خلف سمّوه ظلماً خليفة(3)

وحكى المرادي أن البيت الذي وجد له يقتضي هجاء الخليفة هو قوله :

عق أباه وجفا أمه ولم يقل من عشرة عمه

فلما قرأها السلطان أمر بضربه ضرباً شديداً ثم قتل مرشوقاً بالرماح ، وأخذت كتبه

(1) نفع الطيب 282/4 وينظر اختصار القدرح المعلق 191 .

(2) يبدو أنه كان عارفاً بالتنجيم .

(3) بعد سقوط الخلافة العباسية ببغداد بسنوات تلقب المستنصر الحفصي بلقب الخليفة وأمير المؤمنين وجاءت البيعة من الآفاق . وإذا ثبت هذا البيت فإن ابن الأتبار لا يراه أهلاً للخلافة .

وتقايدته فأحرقت في موضع قتله وكانت خمسة وأربعين تأليفاً وذلك في صبيحة يوم الثلاثاء 21 محرم 658 بمقصورة المحتسب خارج باب ينتجمي⁽¹⁾ ثم ندم السلطان بعد ذلك على قتله .

قال المؤرخ ابن أبي الضياف : «وتركها شنعاء في ملوك الإطلاق»⁽²⁾.

وقيل إن سبب قتله أنه وجد بين كتبه «كتاب في التاريخ» عثر فيه على ما يسيء إلى المستنصر آثار السلطان فقتله⁽³⁾.

وسواء صححت هذه الحكاية أو تلك في سبب قتله أو لم تصح فإنها لا تفقد دلالتها في عدم احتراز ابن الأتبار من فلتات لسانه وبدوات قلمه وإن الذين ربما دسوا بين أوراقه بيتي الشعر السالفين كانوا عارفين بنفسيته وأخلاقه بحيث إذا تعمدوا الكذب والوضع لا يكذبهم ما عرف عنه من صفات وأخلاق .

ويصدق على ابن الأتبار أنه كان «غير عارف بزمانه ولا مقبل على شأنه» لأنه جلب لنفسه عداوة رجال كان في غنى عنها، ولم يكن عارفاً بشهوة ملوك الإطلاق في سفك دم من لا يروق لهم أو يخالفهم في الرأي الخلاف البسيط .

ولا نبرئ المستنصر من جسارته على سفك الدماء وليس ابن الأتبار هو الوحيد الذي قتله بل قتل إبراهيم⁽⁴⁾ اللباني، ودبر اغتيال ابن عصفور الأشيبلي النحوي وقد بالغ المستنصر في شناعة الانتقام فلم يقتصر على الأمر بضرب ابن الأتبار وقتله، بل أحرق شلوه مع كتبه. وما ذنب الكتب حتى تحرق؟ ! نعوذ بالله من غضب يفقد معه صاحبه رشده واتزانه وكان بوسع المستنصر الاحتفاظ بمكتبة ابن الأتبار وضمها إلى مكتبة القصر وتيسير السبيل لمن يريد الاطلاع أو النسخ وهي كتب علمية بعيدة عن السياسة، ولا تدعو إلى الانتفاض أو الثورة أو الخلاف، وبوسعه التخلص من بعض كتب قليلة تسيء إليه ولا تروق له ككتاب التاريخ - على ما قيل - وكان هذا العمل الإجرامي الجنوني من المستنصر سبباً في اتلاف مؤلفات ابن الأتبار بحيث لم يبق منها إلا القليل مما نسخته بعض الآخذين عنه وسمعه منه قبل قتله .

ثناء العلماء عليه :

قال ابن عبد الملك المراكشي : «وكان آخر رجال الأندلس براعة واثقاً وتوسعاً في المعارف وافتناناً، محدثاً مكثراً ضابطاً، عدلاً ثقة، ناقداً يقظاً، ذاكراً للتواريخ على تباين

(1) من أبواب القصة .

(2) الإتحاف، 161/1 (المراجع م.ي.) .

(3) نفع الطيب 349/3.

(4) الصحيح أنه أبو العباس أحمد بن إبراهيم، قتله سنة 659، انظر: [رحلة التجاني، 371].

أغراضها متبحراً في علوم اللسان نحواً ولغة وأدباً، كاتباً بليغاً، شاعراً مفلحاً مجيداً، عني بالتأليف وبحث فيه واعين عليه موفور مادته وحسن التهدي إلى سلوك جادته فصنف فيما كان ينتحله مصنفاً برز في إجادتها، وأعجز عن الوفاء بشكر إفادتها»⁽¹⁾.

وقال عبد الحي الكتاني⁽²⁾: «وهو عندي عدل ابن خلدون وابن الخطيب في الإنشاء وملكة الشعر، ويفوقهما بصناعة الحديث ومعرفة تامّة، ليس للتونسيين من يشاركه ويضارعه فيها، ولفرط اعتناؤه وعظيم اهتباله قال الغبريني في «عنوان الدراية⁽³⁾»: لا يكاد كتاب من الكتب الموضوع في الإسلام إلا وله فيه رواية بعموم أو خصوص».

تلامذته :

روى عنه صهره على بنته أبو الحسن عيسى بن لب، وأبو بكر بن أحمد ابن سيد الناس، وأبو الحسن علي بن إبراهيم بن محمد التجاني التونسي، ومحمد بن أبي القاسم بن رزين التجيبي نزيل تونس، ومحمد بن الجلاب نزيلها، وأبو محمد عبد الله بن عبد الرحمان بن برطلة، وعبد الله بن هارون⁽⁴⁾ الطائي القرطبي نزيل تونس.

وابن الأبار لم ينتصب للتدريس والإسماع في مسجد أو مدرسة، ولعل هؤلاء سمعوا منه في منزله بتونس.

مؤلفاته :

أغلب تأليفه في الحديث أو ما له صلة به كالمعاجم التي ألفها عن بعض مشاهير محدثي الأندلس ولا يكاد المحدث يخلو من العناية بالتاريخ والتراجم. ولعل أول مؤلفاته كانت في الحديث كالمورد المسلسل، والمأخذ الصالح، ثم المعاجم، وتكملة كتاب الصلة الذي ألفه قبل «معجم أصحاب أبي علي الصديقي» للإحالة عليه في هذا الكتاب، وتناوله بالتنقيح والزيادة في تونس وبجاية. ونذكر فيما يلي تأليفه مرتبة على حروف المعجم:

- 1 - حضار المرهج في إحضار المرهج على نحو كتاب أبي منصور الثعالبي. كذا قال ابن عبد الملك المراكشي ولم يبين أي كتاب من كتب الثعالبي نحا منحاه.
- 2 - أربعون حديثاً عن أربعين شيخاً من أربعين مصنفاً لأربعين عالماً من أربعين طريقاً إلى

(1) الدليل والتكملة 258/6.

(2) فهرس الفهارس 99/1.

(3) عنوان الدراية 259.

(4) الدليل والتكملة 257/6.

أربعين تابعاً عن أربعين صاحباً بأربعين اسماً عن أربعين قبيلاً في أربعين باباً . أبدى فيه اقتداره مع ضيق مجاله ، ما عجز عنه الملاحى من ذلك⁽¹⁾.

3 - الاستدراك على أبي محمد القرطبي ما أغفله من روايات الموطأ .

4 - إعتاب الكتاب ، حققه وعلّق عليه وقدم له الدكتور صالح الأشرط وطبع بالمطبعة الهاشمية بدمشق سنة 1960/1380 من مطبوعات مجمع اللغة العربية ، «وتسمية الكتاب توحى بالعرض الذي ألف من أجله وتكشف عن موضوعه ، فالأعتاب مصدر من «أعتب» وتقول «اعتبه» إذا أعطاه العتبي أي الرضى وأزال لومه وأرضاه وإعتاب الكتاب - إذن - إعطاؤهم العتبي بالرضى عنهم والعفو عن زلاتهم وإعادة الحظ والحقوق إليهم ، وبذلك يلخص عنوان الكتاب غرضه وموضوعه . . .

والغاية من تأليف الكتاب أنه أراد أن يضرب للسلطان أبي زكريا الأمثال في حلم الملوك وعفوفهم عن أخطاء كتابهم ، فراح يبحث عن هذه الأمثال في تراجم الكتاب في الشرق والغرب الإسلاميين ويتقصاها ويجمعها ، ويبرز في كل مثل إقالة الذنب ليحث بذلك السلطان على إقالة ذنبه ، ومن هنا كان الكتاب في هيكله العام تراجم مقتضبة لهؤلاء الكتاب وأخطائهم وعفو أسيادهم عنها . ولما كانت إقالة العثرة هي المحور الأساسي في تأليف الكتاب فقد أهمل المؤلف في ترجمة كل كاتب ما ليس له صلة بذلك المحور في حياتهم .

ويمكننا تقسيم الكتاب إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول المقدمة : وفيها استعرض المؤلف موضوع كتابه ويشرح الغرض منه .

القسم الثاني : تراجم الكتاب وعددها خمس وسبعون ترجمة تختلف طولاً وقصراً فبعضها يتسع حتى يشغل أكثر من خمس صفحات . ويضيق بعضها ويقصر فلا يزيد على أسطر قليلة . . .

أما تصنيفه التراجم فقد قسمت إلى قسمين ظاهرين :

أولهما لتراجم الكتاب المشاركة وثانيهما لكتاب المغرب الإسلامي (شمالى إفريقيا والأندلس) وإن لم تكن مراعاة هذا التقسيم دقيقة جداً ذلك أننا نجد في قسم المشاركة أمثال داود القيرواني وعبد الله بن محمد الزجاجي الأندلسي ، كما نجد في القسم الثاني ترجمة لكاتب صلاح الدين .

وتتسلسل التراجم في كل من القسمين تسلسلاً زمنياً . . . وقد أهمل ابن الأثير في كل ترجمة تحديد سني المولد والوفاة ، والحق أن الكتاب يمثّل أسلوباً جديداً في فن التراجم ، أسلوباً موجهاً وجهة خاصة .

(1) الذيل والتكملة 258/6

ويشير ابن الأثير في أغلب الأحيان إلى مصادره التي ينقل منها ، وقد كان أميناً في نقله حتى ليبدو لنا في كتابه جماعة يجمع وينقل ويحاول أن يربط ويضم أطراف ما يجمعه وينقله ويضيف إلى ذلك وهناك إشارات إلى السلطان أبي زكريا وولي عهده أبي يحيى . أما ابن الأثير المؤلف حقاً فلا يظهر إلا في التراجم التي خص بها بعض الكتاب الأندلسيين الذين عرفهم في حياته معرفة شخصية .

والقسم الثالث : خاتمة المؤلف وفيها يعلن ابن الأثير غايته بعد تقديمه الكتاب إلى السلطان أبي زكريا فجميع تلك الأمثلة التي ضربها لعفو الملوك عن زلات كتابهم هي دون عفو السلطان أبي زكريا عن زلته .

ولكتاب «إعتاب الكتاب» قيمة محققة فهي مصدر تاريخي يكشف لنا عن حياة عدد كبير من الكتاب والوزراء في الدول العربية والإسلامية وقد يقدم لنا أحياناً معلومات لا نجدها في مصدر آخر تزيدنا علماً بتلك الشخصيات السياسية التي لعبت أدواراً هامة في تاريخ الحضارة الإسلامية وتثير لنا جانباً من النظم والتقاليد التي كانت متبعة في تنظيم الدواوين وأعمالها في دول العالم الإسلامي . وكتاب «الإعتاب» بذلك كله يأخذ مكانه إلى جانب كتاب «الوزراء والكتاب» للجهشياري و كتاب «الفخري في الآداب السلطانية» لابن الطقطقى و «كتاب الوزراء للصابي»⁽¹⁾ .

وقد مهّد محقق الكتاب ببحث مستفيض عن عصر ابن الأثير وحياته ومؤلفاته ، وتحليل واف لكتاب «إعتاب الكتاب» .

5 - إعصار الهبوب في ذكر الوطن المحبوب . ولعله يتعلق ببلده بنسبية ، وما حاق بها من محن أدت إلى سقوطها بين يدي ملك أراغون ، والملاحظ أن كلمة وطن عند القدامى ليس لها اتساع في المدلول كما في عصرنا بحيث تشمل القطر كله بل إن كلمة «الوطن» عندهم مرادفة لكلمة «مسقط الرأس» .

6 - الانتداب للتنبيه على زهر الآداب .

7 - الإيماء إلى المنجيين من العلماء (أي من أهل الأندلس) .

8 - إيماض البرق في شعراء الشرق .

9 - برنامج رواياته .

10 - كتاب التاريخ ، وكان سبب قتله وإحراق كتبه لما وجد فيه من أمور تسيء إلى المستنصر حسب رواية المقرئ .

(1) الدكتور صالح الأشتر مقدمة إعتاب الكتاب ص 25.

11 - تحفة القادم - عارض به زاد المسافر لأبي بحر صفوان بن إدريس ، كذا قال ابن عبد الملك المراكشي . ولعله جمع مادته بالأندلس وأظهره بتونس . والعنوان يدل على الغرض وظرفه . وهو «كتاب في تراجم الشعراء يضم مائة من الشعراء وأربع من الشاعرات من أهل الأندلس من رجال القرنين الخامس والسادس مع قطع مختارة من أشعارهم⁽¹⁾» .

وقد اختصره أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم البليقي باسم «المقتضب من تحفة القادم» طبع في القاهرة سنة 1957 بتحقيق الأستاذ إبراهيم الأبياري . وهو مختصر سيء الصنيع استغنى البليقي فيه عن معظم النثر ولم يبق منه إلا هيكلًا جافًا يتكون من أسماء وبضعة أشعار⁽²⁾ .

12 .. التكملة لكتاب الصلة ، ألف ابن الأبار هذا الكتاب قبل «معجم أصحاب أبي علي الصديقي» كما يفهم من الإحالة عليه في «المعجم» في مواضع متفرقة . ألفه بإشارة من شيخه أبي الربيع الكلاعي .

قال الدكتور حسين مؤنس «والراجع - على حسب ما استبان لي - أن كتاب «التكملة» كتب على فترات ، ففيه مواد يبدو بوضوح أنها كتبت قبل سنة 1232/630-1233 ، وأخرى كتبت بعد هذا التاريخ ، وقبل هجرة ابن الأبار إلى المغرب ، وثالثة كتبت وهو في بجاية وهذا معقول بالنسبة لكتاب كبير مثل «التكملة» . صحيح أنه يفهم من فاتحة الكتاب كما نشرها محمد بن شنب في «المجلة الأفريقية» (سنة 1918) ص 317 إن الفراغ من كتاب «التكملة» كان في أوائل المحرم سنة 1233/631-34 - لكن في الكتاب مواد كتبت وابن الأبار في تونس أو بجاية مما يدل على أن الأبار فرغ من صورة أولى للكتاب أول محرم سنة 631 ثم عاد إلى الكتاب ووضعه في الصورة التي وصلت إلينا وهو في بجاية للمرة الثانية⁽³⁾ .

وانتهى من تأليفه سنة 646 وهو مطبوع نشر القسم الكبير⁽⁴⁾ فرانسيسكو كوديرا من حرف (ح) إلى نهاية الكتاب في مجلدين في مدريد بين عامي 1888-1889 ونشر القسم الأول الباقي منه محمد بن أبي شنب والفريد بال في الجزائر سنة 1920 ونشره عزت العطار الحسيني في القاهرة سنة 1955 وصدر منه جزءان وفي أثناء طبع الجزء الثاني مات الناشر ، ولم يتم طبع البقية .

والكتاب في تراجم علماء الأندلس مرتب على حروف المعجم حسب الطريقة المغربية ، على خلاف كتاب ابن الفرضي ، و «الصلة» لابن بشكوال ، كما سار على الطريقة المغربية في

(1) مقدمة الحلة السيرة لمحقق الكتاب ص 47.

(2) نفس المرجع ص 49.

(3) مقدمة الحلة السيرة ص 49.

(4) مقدمة «إعتاب الكتاب» ص 21.

الترتيب أبو العباس بن فرتون في كتابه «الذيل على الصلة» ومكمله أبو جعفر بن الزبير في كتابه «صلة الصلة» والطريقة المغربية تتفق مع الطريقة المشرقية إلى الزاي وبعده عند أهل المغرب والأندلس: ط ظ كل م ن ص ض ع غ ف ق س ش ه و ي (1).

وإذا كان كتاب «التكملة» مرتباً على الحروف فإنه قد روعي في هذا الترتيب الطبقات بأن يذكر المتقدم وفاة على سابقه ولو كان في ذلك إخلال بالترتيب المعجمي الدقيق في مراعاة أسماء الآباء والأجداد مع الإسم اي ما يسمى بمراعاة الثواني والثالث ، ولولا الضمائر المسهلة للمراجعة لأضاع الباحث وقتاً كثيراً في البحث عن ترجمة اسم في حرف من الحروف بتتبع الأسماء المشتركة ولم يوف ابن الأثير ومن سبقه بشرط الترتيب على الطبقات «وقد كان من الاتقان في العمل أن بنوا كتبهم على ترتيب الطبقات أن يعمدوا إلى أقدم من باسم أوله حرف الباب موتاً فيصدرون به ويتبعونه مشاركيه في الإسم كما يفعلون في المفاريد ، ثم يفعلون ذلك في الأسماء اسماً اسماً، فلم يفعلوا ذلك بل نجد أول مذكور في الترجمة السابقة متأخر الوفاة عن أول مذكور في الترجمة الثانية بل في الثالثة فصاعداً ، وذلك موجود كثيراً لمن يلتزمه في كتبهم (2).

واعتبر ابن الأثير في الترتيب زمن رواية الرواي عن شيوخه مع وفاة من قبله ومن بعده فيذكره بينهما ، وفيه من الخلل في الترتيب ما فيه لأن الرواي قد يكون زمن الرواية صغير السن ثم يعمر ما شاء الله أن يعمر فلا يكون من ذلك طبقة حسب ترتيب الوفيات. قال ابن عبد الملك المراكشي : «وما وجدت أبا عبد الله بن الأثير يعتبر في التطبيق زمن رواية الرواي عن شيوخه بعد وفاة من قبله ومن بعده فيوسطه بينهما فيجعل الرواي سنة عشرين وخمسمائة مثلاً بين من توفي سنة تسع عشرة وبين من توفي سنة إحدى وعشرين ولعل الرواي سنة عشرين كان طفلاً صغيراً أو ابن خمس عشرة أو عشرين ثم يعمر بعدما شاء الله ويبلغ الثمانين أو التسعين وخمسمائة وستمائة وكيف يسوغ الحكم بأنه من تلك الطبقة على مراعاة ترتيب الوفيات (3).

وسار ابن الأثير ومن سبقه على ذكر الأسماء النادرة في المفاريد وذلك في كل حرف وعلى ذكر الغريب في كل حرف بعد الفراغ من ذكر الأندلسيين ، والغريب - في اصطلاحهم - وهم الطائرثون على الأندلس من غيرها سواء كان أصلهم منها أو من غيرها (4).

ولاحظ الناقد المتلمح ابن عبد الملك المراكشي بأن مصطلحهم في الغريب خارج عن عرف المحدثين والمؤرخين فإن نسبة الرواي إلى بلد والديه ونشأ وقرأ وروى عنه أو فارقه ثم عاد

(1) الذيل والتكملة 9/1 مقدمة الكتاب .

(2) المصدر السالف .

(3) المصدر السالف .

(4) المصدر السالف .

إليه نسبة صادقة بكل اعتبار من هذه الاعتبارات التي ذكرها العلماء ، وقد اشترك في استعمالها المتقدمون والمتأخرون فأما إن كان ناقله بعد مولده فما بعده على تدرج الأحوال إلى غيره فإن المتقدمين راعوا موضع استقراره فهم إنما ينسبونه إلى البلد الذي صار مستقره⁽¹⁾ إلى أن قال : «فعلى هذا كان عمل المتقدمين أئمة المحدثين وتبهم في ذلك المتأخرون ما عدا أبا الوليد بن الفرضي وتابعيه وهلم جرا» .

واضطرب ابن الأثير في خصوص الغرباء فقد عدّ بعضهم أندلسياً استكثاراً أو تعصباً وذكر في الغرباء من لم يدخل الأندلس ، قال ابن عبد الملك المراكشي : «وقد اضطرب عمل أبي عبد الله بن الأثير في هذا اضطراباً ينافي شهير نبله ومعروف تيقظه وتحفظه من متعلقات النقد وأسبابه فجرى في معظم كتابه على اصطلاح أبي الوليد بن الفرضي ومن تبعه وخالفهم في بعضه فذكر في الأندلسيين جماعة من الناقلة إليها عمل المتقدمين المفروغ من تقريره تشبهاً واستكثاراً وإفراطاً في التعصب الذي كان الغالب عليه حتى غلا فيه ويكفيك ما ختم به رسم أبي عبد الله بن عيسى بن المناصف - رحمه الله - بعد أن ذكره في الأندلسيين وذكر من أحواله ما رأى أن يذكره به قال : «مولده بتونس وقيل بالمهدية وهو أصح» . ثم قال : وذكره في الغرباء لا يصلح ضمناً به على العدو⁽²⁾ وحسبك ما احتمل هذا القول من الشهادة على قائله بما لا يليق بأهل الإنصاف من العلماء واستحكام الحسد المذموم ، واحتقار طائفة كبيرة من الجلة العدويين⁽³⁾ .

ومن تشبّع ابن الأثير واستكثاره في الغرباء من لم يعرف دخولهم الأندلس كأبي المعالي الخراساني . «وكم من شاهد على أبي عبد الله بن الأثير بفاضح التشبّع في كتابه كذكره أبا المعالي الخراساني ورواية أبي زيد الفزازي عنه وقوله إنه لا يدري أين لقيه ، فما الذي يسوغ له أفراده برسم في كتابه⁽⁴⁾» .

وذكر ابن الأثير في «التكملة» كثيراً من العباد غير معروفين بالعلم استكثاراً وهم ليسوا من شرط كتابه ولا كتابي سلفيه «ابن الفرضي وابن بشكوال» وكذلك ذكر طائفة كبيرة ليست من شرط كتابه ولا «كتابي الشيوخين أبي الوليد بن الفرضي وأبي القاسم بن بشكوال لأنهم لم يرسموا بغير فنون العلم ، وإن ذكروا بصلاح وخير واجتهاد في العبادة وانقطاع إلى أعمال

(1) الذيل والتكملة 9/1 مقدمة الكتاب.

(2) انظر التكملة لكتاب الصلة 12/2 (ط مصر) والعدوة في اصطلاح الأندلسيين هي أقطار المغرب ، المغرب الأقصى والجزائر وتونس .

(3) الذيل والتكملة ج 1 المقدمة .

(4) ترجمة أبي المعالي الخراساني في السفر الثامن من «الذيل والتكملة» ص 368 رقم 157 وفيما يلي نص كلامه «قال المصنف - عفا الله عنه - هكذا ذكر ابن الأثير هذا الرسم في الغرباء من غير زيادة ولا نقص ولا وجه لذكره فيهم لأنه لم يدخل الأندلس... وإنما ذكره تشبهاً على مألوف عاداته واستكثاراً بما لا يصح له تعليق (1) لمحقق الكتاب الأستاذ محمد بن شريفة .

البر فلذكركهم مجموع آخر يشملهم مع من كان على مثل أحوالهم⁽¹⁾.

وفي «التكملة» أحياناً التكرار وقلب النسب، وبما أخل به أي إخلال أن ذكر ابن أحمد ابن سعيد بن مطرف التجيبي من أهل قلعة أيوب، نزيل مدينة فاس، ويعرف بابن البيراقي، ويكنى أبا عبد الله، روى عن أبي محمد بن عتّاب، وكان من أهل العلم صاحب دفاتر ودواوين نفيسة، حدث عنه أبو حفص عمر بن محمد، وتوفي في حدود الأربعين وخمسمائة عن بعض أصحابنا انتهى إليهم⁽²⁾ ثم قال بعد مائة وتسعة وستين اسماً واثراً من توفي بعد أربع وثمانين ما نصه: «محمد بن أحمد بن مطرف بن سعيد التجيبي يكنى أبا عبد الله، وروى عن ابن عتّاب، أخذ عنه ابنه عمر بن محمد انتهى إليهم⁽³⁾ وهذا هو المذكور قبل لا محالة⁽⁴⁾.

هذه بعض الانتقادات والمآخذ على كتاب «التكملة» التي لاحظها الناقد كاتب التراجم ذي النهج الدقيق ابن عبد الملك المراكشي.

وقد ألم ابن الأثير في مقدمة «التكملة» بما زاده واستدركه على ابن الفرضي وابن بشكوال ومخالفته لهما على الحروف حسب الطريقة المغربية لا المشرقية فقال: «ولم أقتصر على الابتداء من حيث انتهى ابن بشكوال، بل تجاوزته إلى الفرضي، أتولى التقصي وأتوخى الإكمال، وربما أعدت من تخيفاً ذكره وما تعرفها أمره، وخالفتهما في نسق الحروف فجريت على النهج المعروف».

وكتاب التكملة استتمام لما بدأ به أبو الوليد عبد الله بن يوسف الأزدي المعروف بابن الفرضي (1012-962/403-351) من التراجم لعلماء الأندلسيين، وواصل العمل أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال الأنصاري (1182-1100/578-494) ثم استتم ما فاتته في كتاب لم يصل إلينا هو كتاب «ذيل الصلة» ذكره ابن الأثير في «معجم أصحاب أبي علي الصديقي» ثم جاء ابن الأثير فتصدى لاستكمال ما فات سابقه ومواصلة التراجم إلى أيامه⁽⁵⁾.

ثم واصل العمل أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد المعروف بابن فرتون السلمي الفاسي ثم السبتي (1262-1184/660-580) في كتابه «الذيل على صلة ابن بشكوال» وهو مفقود. ثم واصل هذا العمل الجليل أبو جعفر أحمد بن إبراهيم المعروف بابن الزب

(1) الذيل والتكملة ج 1.

(2) التكملة 451/1.

(3) المصدر السالف.

(4) الذيل والتكملة ج 1 المقدمة.

(5) مقدمة الحلة السيرة لمحقق الكتاب ص 50.

(627-709 / 1229-1308) في كتابه «صلة الصلة» ثم واصله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي⁽¹⁾، (634-703/1237-1303) في كتابه «الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة» وهو أسدها منهجاً وأغزرها مادة، وختمه ابن الخطيب بكتابه «عائد الصلة»⁽²⁾.

وهذه الكتب كلها ما عدا الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي تتبع منهجاً واحداً في الترجمة فتذكر الرجل باسمه الكامل وكنيته ونسبته وبلده الذي ولد فيه أو الذي منه أصله والبلد الذي سكنه إن كان قد نزل بلداً آخر ثم شيوخه وما قرأ عليهم، ثم تلامذته ومن أخذ عنه وتختم الترجمة بتاريخ الوفاة ومكانها وتاريخ الميلاد ومكانه إذا تيسر.

وهذه في الحقيقة ليست تراجم بالمعنى المعروف وإنما هي سجلات بالأسماء وتواريخ الميلاد والوفيات والشيوخ فلا تعطي فكرة واضحة عن المترجم له إلا فيما ندر فليس فيها إلا القليل جداً من إشارات إلى حياة الرجل وما وقع له أو صفاته وخصائصه كرجل له صفات وخصائص بل ليس فيها إلا في القليل أيضاً تلك الطرائف والحكايات الصغيرة التي نجد نماذج منها في «تاريخ القضاة» للخشني أو في «رياض النفوس» أو «الإحاطة» لابن الخطيب أو سلسلة الوفيات المشرقية التي بدأت بابن خلكان، ومن ثم فإن قيمتها للتاريخ السياسي والاجتماعي للأندلس بل فائدتها في التعريف بالرجال أنفسهم قليلة، ولكنها على أي حال أكثر فائدة من المواد التي يتضمنها الكثير من كتب علي بن سعيد وكتاب «الخريدة» للعماد الأصفهاني أو «الكتيبة الكامنة» لابن الخطيب، فهذه مجموعة مختارات وليست بتراجم أو مواد ذات قيمة تاريخية وفي هذه الحدود تتساوى كتب ابن الفرضي وابن بشكوال وابن الأبار وابن الزبير في الدقة والاتقان وربما شفى ابن بكشوال على صاحبيه في تراجمه بسبب ملكته التاريخية الواضحة، وابن الأبار على هذا الاعتبار واحد من أعلام مؤرخي العلم بالأندلس ومرجع من المراجع التي لا يستغني عنها مؤرخ خلال القرنين السادس والسابع الهجريين بصفة خاصة⁽³⁾.

13 - كتاب الحلة السيرة ابتداء ابن الأبار تأليف هذا الكتاب في تونس عقب استقراره بها فهو في فاتحته يتحدث عن شعر السلطان أبي زكريا يحيى وولي عهده أبي يحيى، وكانا يقرضان الأبيات منه بين الحين والحين وقد صنفه ابن الأبار تمجيداً لشاعرية السلطان وابنه وتدليلاً على أن قول الشعر من خصال كبار الخلفاء والسلاطين والأمراء، فهذا الكتاب مثل كتاب «إعتاب الكتاب» كتاب مناسبة ولكنها كانت مناسبة سعيدة لأنها أتاحت الفرصة لهذا الحافظ الواعي أن يسجل شيئاً من محفوظه الغزير.

(1) ابن عبد الملك المراكشي وإن تقدمت وفاته على شيخه أبي جعفر بن الزبير لكنه استلزم على كتاب شيخه (صلة الصلة) وتقدمه في مواضع من كتابه «الذيل والتكملة» وبهذا الاعتبار ساغ ذكره بعد شيخه.

(2) مقدمة الحلة السيرة ص 50.

(3) مقدمة الحلة السيرة ص 50-51.

وفي الكتاب إشارة إلى أنه كان ما زال مشغولاً بكتابه سنة 49-1249/646 وهي السنة التي توفي فيها ولي العهد أبو يحيى ، وربما يكون قد أتمه قبل وفاة أبي زكريا ولكن العجلة التي تبدو في الباب الأخير من الكتاب تدل على أنه أتمه بعد هذه السنة بمدة قصيرة ، وفي الغالب أيام إقامته الثانية ببجاية⁽¹⁾.

وهو بدون شك أحسن كتب ابن الأثير وأعظمها فائدة بل هو من عيون ما ألف أهل الأندلس قاطبة ومن المراجع التي لا يستغني عنها من يؤرخ له أو يكتب من أي ناحية من نواحي الحياة فيه .

وقد ذهب بعض المحدثين إلى أن عنوان الكتاب الكامل «الحلة السيرة في شعر الأمراء» ولم نجد هذا في المخطوط ولا عند الموثوق فيهم⁽²⁾ ممن كتبوا عنه ، ولهذا جعلنا عنوان الكتاب «الحلة السيرة» فحسب ، ولو أن إكماله بعبارة «في شعر الأمراء» معقول .

وجدير بالملاحظة أن شعر الكتاب ليس كله لأمرء بل فيه الكثير من شعر الوزراء والكتاب وأصحاب الجاه والعلماء وهذا الشعر كله جيد مما يدل على ملكة ابن الأثير كناقد للشعر عارف بالجميل منه وغير الجيد ولكن أهم من الشعر في الكتاب نثره ، فهو تراجم غاية في الفائدة لعدد كبير من الشخصيات التاريخية في المغرب والأندلس من القرن الأول الهجري إلى القرن السابع مع مادة تاريخية لا بأس بها عن أعلام مشاركة من أهل القرن الأول كان لهم صيت في فتوح المغرب والأندلس .

وفي كل هذه المواد يبدو لنا ابن الأثير مؤرخاً فحلاً واسع الاطلاع نافذ النظر صادق الحكم وإذا استثنينا بعض المواد الأولى التي ينسب فيها ابن الأثير شعراً إلى عبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر وعبد الملك بن مروان ، وبعض أجزاء الباب الأخير الخاص بمن لم يؤثر عنه شعر ، تبين أن مادة التراجم كلها متعادلة من حيث القيمة والغزارة والأصالة ، غنية بكل ما ينفع المؤرخ ولا أذكر أنني قرأت لغير ابن الأثير في الأندلس شيئاً يدل على سعة النظر على هذه الصورة ، فهو متمكن غزير المادة سواء كتب عن خلفاء بني العباس أم أمراء الأندلس وخلفائها أو أمراء الطوائف ومن عاصبرهم ، وهو ليس غزير المادة فحسب ، بل ناقداً لا يمر بخطيء في تاريخ أو اسم إلا استدرك عليه ، وتبدو منه بدوات هنا وهناك تدل على أنه كان بالفعل من أعلم الناس بتاريخ المسلمين السياسي والعلمي والأدبي .

ومن حسن الحظ أن ابن الأثير تخلص من السجع بعد فراغه من فاتحة الكتاب فجاء

(1) مقدمة الحلة السيرة ص 43.

(2) لكن يلاحظ أن ابن عبد الملك المراكشي ذكره في الذيل والتكملة باسم «الحلة السيرة في شعر الأمراء» وهو متقدم الزمان ثقة ثبت .

أسلوبه قوياً رصيناً بليغاً يرتفع إلى أعلى مستويات أساليب العربية الصافية وأسلوبه هذا أشبه أسلوبه في «إعتاب الكتاب»⁽¹⁾.

حقق الكتاب وقدم له معرفاً بآب الأثر وعصره وتأليفه الدكتور حسين مؤنس الباحث المؤرخ المشهور، وطبع بالقاهرة سنة 1963 في جزئين .

14 - خضراء السندس في شعراء الأندلس من أول فتحها إلى آخر عمره .

15 - درر السمط في خبر السبط على طريقة أبي الفرج بن الجوزي (كذا في الذيل والتكملة) قال ابن الأحمر⁽²⁾. لكنه تشتم (منه) رائحة التشيع، وتستطلع منه أنباء الشقاوة إذ تمنعه عن الطعن والتضييع ط . بتحقيق محسن جمال الدين عمار، مط . المعارف بغداد 1974، 14 ص مستل من مجلة البلاغ ع 5 س 4 و 5 (مجلة المورد العراقية ج 2 مجلد 10، ص 451 1981) .

ولعل ابن الأثير في كتابيه «درر السمط» و «معدن اللجين في مرآتي الحسين» أبدى عطفاً لما أصاب أهل البيت من ظلم وتكليل لذلك قال من قال : إنهما تشتم منهما رائحة التشيع وابن الأثير لم يكن شيعياً بالمعنى الاصطلاحي المعروف ، ولا دائناً بمذهب من مذاهب الشيعة من النص الجلي على إمامة علي ، والقول بالرجعة ، ولو كان شيعياً دائماً بما سبق ذكره لاستغل الفرصة خصومه وأضداده للطعن عليه والحط منه والأزدراء به ولكان سبباً في تبرير قتله .

وصلتنا من هذا الكتاب نسخة خطية وحيدة تعود إلى القرن الثاني عشر الهجري ، وكان السيد عامر غديرة قد حققها وترجمها للفرنسية وأعدّها للطبع وقدمها لنيل ديبلوم الدراسات العليا بباريس⁽³⁾.

16 - ديوان شعر على الحروف .

17 - شرح صحيح البخاري - قال ابن عبد الملك المراكشي : « كان قد شرع فيه فعاقه عن إتمامه ما ختم به محتوم حمامه » .

18 - الشفاء في تمييز الثقات من الضعفاء ، مقصور على أهل الأندلس .

19 - فضالة العباب ونفاضة العتاب - في أرجوزة ابن سيدة ومن نحا منحاه في ما أسمك على حروف المعجم .

20 - قصد السبيل في ورد السلسبيل ، في المواعظ والزهد - أربعة مجلدات .

(1) مقدمة الحلة السرياء ص 51 .

(2) في مستودع العلامة ص 28 .

(3) مقدمة «إعتاب الكتاب» ص 23 .

- 21 - قطع الرياض في بديع الأغراض ، مجلدان ضخمان .
- 22 - المأخذ الصالح في حديث معاوية بن صالح في أخباره ورواياته ، وربما كان من أوائل مؤلفاته (ينظر المعجم في أصحاب أبي علي الصديفي ص 186) .
- 23 - مجموع رسائله .
- 24 - مختصر أحكام ابن أبي زمنين .
- 25 -- مظاهرة السعي الجميل ومحاذرة المرعى الويل في معارضة ملقى السبيل⁽¹⁾ لأبي العلاء المعري. قال ابن عبد الملك المراكشي «على حروف المعجم نظم ما ينثر بعد نثر ما ينظم» نشره الدكتور صلاح الدين المنجد ضمن سلسلة «رسائل ونصوص» رقم 3 ط دار الكتاب الجديد بيروت 1963 .
- 26 - معجم أصحاب أبي داود الهاشمي .
- 27 - معجم أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصديفي .

وهو كتاب في تراجم الرواة عن القاضي الشهيد أبي علي الحسين بن محمد بن فيرة الصديفي يعرف بابن سكرة وابن دراج السرقسطي ، فقد في حرب كتندة سنة 1121/514 رتب ابن الأتبار الأسماء فيه على حروف المعجم على طريقة الأندلسيين والمغاربة . وقد سبقه القاضي عياض إلى جمع معجم في شيوخ شيخه أبي علي الصديفي فتممه وزاد عليه ، قال ابن الأتبار في مقدمة هذا الكتاب «وبعد فهؤلاء الرواة عن القاضي أبي علي بن سكرة الصديفي السرقسطي ويعرف بابن دراج ، سموت إلى جمع أسمائهم وأبيات من مكانهم مما أمكن ذكره من أنبائهم مباحياً بهم وبعصرهم ، ومانعياً أبا الفضل عياض في جمع شيوخه وحصرهم ، ولا غرو فتحوه في المعجم الذي صنع نحوت ، وفوز قدمي بإخلاص كرمي رجوت ، ليكون هذا لذلك تنمة وليهون الوقوف عليهم مؤتمن وأيمة ، وهم بين صاحب في الأخذ عنه راغب ، وتلميذ على السماع منه راتب ، ومن شيوخه من شد ، واعتقده في وقته الفذ ، فكتب من روايته ، وخصه بحظ من عنايته ، ذلك لاختصاصه بقرية هي ما هي ، ورتبة في العدالة بلغت التناهي .

«وابن الأتبار في «المعجم» دقيق الدقة كلها دقيق في رسم الأسماء وتواريخ الميلاد وتعدد الشيوخ ، ودقيق أيضاً في المنهج الذي اتبعه فهو يرتب أسماء المترجم لهم على حروف المعجم مع بعض اختلاف قليل مقصود كإيراد اسم أحمد قبل إبراهيم ، وهو بعد أن يفرغ من حرف يحصي عدد من ذكرهم فيه وإذا أهمل حرفاً ينبئه إلى أنه لم يجد فيه «معروفاً من هؤلاء الرواة

(1) وسبقه إلى معارضة كتاب المعري «ملقى السبيل» شيخه أبو الربيع الكلاعي بتأليف أسسه «مفاوضة القلب العليل ومناظرة الأمل الطويل في معارضة ملقى السبيل» ولعبد الله بن هارون الطائي القرطبي نزيل تونس معارضة لكتاب أبي الربيع الكلاعي اسمه «مقارضة الأجر الجزيل ومفاوضة الصبر الجميل» .

ولا مكثراً» أو «ليس في هؤلاء الرواة من أول اسمه دال أو ذال» وعدة المذكورين في الحروف الثلاثة : الجيم والحاء والحاء ثلاثة عشر منهم في «التكملة» تسعة رجال «وعدد التراجم التي في هذا المعجم 315»⁽¹⁾.

وترجم لبعض الغرباء الوافدين على الأندلس كأبي القاسم عبدالرحمان بن محمد بن أحمد النقطي ويعرف بابن الصائغ، دخل الأندلس وله رحلة إلى المشرق، وعمر بن أحمد بن عبد الله بن أحمد التوزري نزيل بجاية، وعلي بن عبد الله بن داود اللمائي المعروف بالمالطي نزيل المهديّة .

ويذكر أحياناً عقب الترجمة حديثاً يرويه عن شيخه أبي علي الصديقي بالإسناد المتصل إلى رسول الله ﷺ، ويبين أبو علي أحياناً ما فيه من علو. ويذكر في الترجمة من روى عن المترجم له والتراجم تختلف طولاً وقصراً، فبعضها لا يتجاوز بضعة أسطر وبعضها في نحو الصفحة والنصف هذا إلى ضبط في الألقاب والأنساب وتفسير معناها إن كان أصلها غير عربي وتحديد مكان البلد الذي ينتمي إليه المترجم له، ولا يهمل ذكر مؤلفات المترجم له .

والكتاب ألفه بلنسية، وربما زاد فيه زيادات بعد خروجه منها على ما يستفاد من ترجمة يعقوب بن حماد الأغماتي من أهل تلمسان وذلك عند الكلام عن سند حديث كأن يقول: « وقد حدثني القاضي أبو الخطاب بن واجب بجامعة بلنسية جبرها الله⁽²⁾ » وهذه الجملة ربما توحى بأنها سقطت بأيدي العدو .

والمعجم نشره فرانثيسكو كوديرا وطبع بمدريد سنة 1886 وأعاد طبعه بالأوفسيت مكتبة المثنى ببغداد بدون تاريخ .

- 27 - معجم أصحاب أبي علي الغساني .
- 28 - معجم أصحاب أبي عمر بن عبد الله .
- 29 - معجم أصحاب أبي عمرو المقرئ .
- 30 - معجم شيوخ أبي الحسين أحمد بن محمد بن السراج .
- 31 - معجم شيوخه .
- 32 - معدن اللجين في مرثي الحسين قال الغبريني⁽³⁾ «ولو لم يكن له من التأليف إلا الكتاب المسمى بكتاب اللجين في مرثي الحسين لكفاه» .

(1) مقدمة الحلة السيرة ص 49.

(2) المعجم ص 322.

(3) عنوان الدراية 261.

33 - المورد المسلسل في حديث الرحمة المسلسل⁽¹⁾.

«وهذا الحديث قد رويته مسلسلاً من طرق مذكورة في غير هذا الموضع، وكلفني من أوجب حقه وأثر وفقه وتخريج أسانيده فيه وجمع طرقه المتصلة فاجتمع لي من ذلك جزء رسمته بالمورد المسلسل في حديث الرحمة المسلسل⁽²⁾. ولعله من أوائل مؤلفاته.

34 - هداية المتعسف في المؤلف والمختلف، مقصور على أهل الأندلس.

35 - الوشي القيسي في اختصار الفحيح القسي والأصل للعماد الكاتب الأصبهان.

وقد خصّ ابن الأبار بتأليف الدكتور المرحوم عبد العزيز عبد المجيد: آبن الأبار حياته وكتبه في 384 ص ط بتطوان 1951.

المصادر والمراجع:

- اتحاف أهل الزمان لابن أبي الضياف 161/1.
- أزهار الرياض للمقري 205/3.
- الأعلام للزركلي 110/7، 209/10.
- اختصار القدر المعلى في التاريخ الحلى لابن سعيد الأندلسي اختصره محمد بن عبد الله بن خليل تحقيق إبراهيم الأبياري (ط القاهرة 1959) ص 191، 197.
- إيضاح المكنون 97/1، 107، 148، 419، 205/2، 235، 236.
- كشف الظنون 372.
- بلاد البربر الشرقية في عصر الحفصيين لروبير برانشفيك (بالفرنسية) 184/2.
- تاريخ آداب اللغة العربية لمرجعي زيدان 84/3، 177.
- تاريخ ابن خلدون 283/6، 285.
- تاريخ الدولتين للزركشي (ط تونس 1289) ص 20، 21، 27.
- تاريخ الفكر الأندلسي تأليف جنثالث بلنثيا، نقله عن الإسبانية حسين مؤنس (ط مصر 1955) ص 274، 280.
- تذكرة الحفاظ للذهبي 1461/4.
- الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي 253/6، 275 (أورد القصيدة السينية كاملة وقطعاً من شعره ونثره وقائمة بأسماء مؤلفاته).
- ذيل مرآة الزمان للقبط اليونيني 173/2.

(1) حديث الرحمة المسلسل هو «الراحمون يرحمهم الرحمان، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» وهو مسلسل بالأولية لأنه أول حديث يسمعه التلميذ من شيخه والشيخ من شيخه وهكذا إلى آخر السند. وللمحدثين غرض تربوي رفيع في البدء بإسماع هذا الحديث.

(2) المعجم في أصحاب أبي علي الصدفي ص 298 أواخر ترجمة القاضي عياض.

- شجرة النور الزكية 195، 196.
- شذرات الذهب 295/5.
- العبر للذهبي 245/5.
- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة بيجاية لأحمد الغبريني تحقيق رابح بونار (ط الجزائر 1970) ص 207.
- الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية لابن القنفذ القسنطيني تحقيق محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي (ط تونس 1966) ص 116، 126، 127 تعليقات المحققين في آخر الكتاب ص 232، 233.
- فهرس الفهارس والإثبات لعبد الحي الكتاني 99/1.
- فهرس معجم شيوخ الدماطي لجورج فاجدا (بالفرنسية) ص 109.
- فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي (ط محمد محيي الدين عبد الحميد) 450/2، 452.
- كشف الظنون 286/1، 372.
- مستودع العلامة ومستبدع العلامة لأبي الوليد بن الأحمر (المط المهدية بتطوان المغرب الأقصى سنة 1964/1384) ص 128.
- معجم المطبوعات 26/1، 27.
- معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة 204/10.
- مقدمة إعتاب الكتاب للدكتور صالح الأشر.
- مقدمة الحلة السيرة للدكتور حسين مؤنس .
- مقدمة المقتضب من تحفة القادم للأستاذ إبراهيم الأبياري .
- نفع الطيب تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد 348/3، 350.
- هدية العارفين لاسماعيل باشا البغدادي 27/2.
- الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي 355/1، 358.
- الوفيات لابن قنفذ ص 50.
- دائرة المعارف الإسلامية (ط جديدة بالفرنسية) 694/2-695.

* * *

3 - الإيبياني⁽¹⁾ (252 - 352 هـ)⁽²⁾ (865 - 964 م)

عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن إسحاق التميمي الأيبياني التونسي، أبو العباس . تفقه

- (1) بكسر الهمزة وتشديد الباء ويقال صوابه تخفيفها وبكسر الباء وفتحها، وفي الضبط شيء من التغيير لأجل النسب، وهو نسبة إلى أبيانه كلمة مركبة من أبة بضم الهمزة وفتح الباء وتشديدها، ويانة وهي قرية صغيرة كانت موجودة بفحص مرناق حذو تونس في الجنوب منها على مسافة عشر كيلومترات تقريباً .
وفي مصر أبيانه التابعة لمركز قسوة وهي مسقط رأس الزعيم المصري سعد زغلول .
- (2) وقيل سنة 361.

بيحيى بن عمر، وأحمد بن أبي سليمان المعروف بابن الصواف، وحمديس القطان، ويحيى بن عبد العزيز، وحماس بن مروان، وغيرهم، وصحب لقمان بن يوسف، وذاكر أبا بكر بن اللثاد وروى عنه الأصبلي، وأبو الحسن اللواتي، وسعيد بن ميمون، وأبو الحسن القاسبي، وابن أبي زيد وغيرهم.

كان من شيوخ أهل العلم وحفاظ مذهب مالك من أهل الخير يميل إلى مذهب الشافعي وكان صالحاً ثقة مأموناً عاقلاً حليماً نبيلاً فصيحاً، جيد الاستنباط. كان أبو محمد عبد الله ابن أبي زيد إذا نزلت به نازلة مشكلة كتب بها يبينها إليه، كان يدرس الواضحة لابن حبيب ولما وصل إلى مصر تلقاه نحو من أربعين فقيهاً لم يكن فيهم أفقه منه.

قال ابن شعبان: ما يزال بالمغرب علم ما دام فيه أبو العباس وقال: من أراد أن ينظر إلى فقيه فلينظر إليه وقال: ما يزال أهل المغرب بخير ما دام بين أظهرهم. وما عدا النيل منذ خمسين سنة أعلم منه.

وكان أبو الحسن القاسبي يقول: ما رأيت بالمشرق ولا بالمغرب مثل أبي العباس، كان يفصل المسائل كما يفصل الجزائر الحاذق اللحم.

وكان يحب المذاكرة في العلم ويقول: دعونا من السماع، ألقوا المسائل!

وكان قليل الفتوى كثير التواضع، وله فراسة لا تكاد تخطئ ويذكر أنه قال لأبي الحسن القاسبي وهو يطلب عليه: والله لتضربن إليك أباط الإبل من أقصى المغرب. فكان كما قال.

كتب إليه أبو العباس أبو الفضل فضل بن نصر الباهي المعروف بابن الريس [كامل]:

ماذا تريك حوادث الأزمان
وأشد ما ألقى وأنضج للحشا
هذا أبو العباس واحد عصره
أنفت به أخلاقه عن وصلنا
إني أتيتك شاكياً ومخبراً
فكتب إليه الأتياني:

دهرك - يا أبا الفضل - ذو تقلاب
فكن جليس بيتك مستوحشاً
بريد العجائب والعجاب
من الناس والأهل حتى الإياب

له ترتيب السماسرة - مخطوط بالمكتبة الوطنية بتونس. نشره مع التعليقات اللازمة في مجلة (العرب) عثمان الكعاك (ينظر تأليفه العلاقات بين تونس وإيران ص 41 (تونس 1974) وطبع بمطبعة العساني ببغداد 1965 ص 3-22 مستل من مجلة كلية الشريعة 1965/11 بأسم

رسالة في السمسرة والسمسار وأحكامه (مجلة المورد م 10 ج 2، 1981 ص 267) [وطبع بدار الغرب الإسلامي، بيروت 1992 بتحقيق محمد العروسي المطوي].

المصادر والمراجع:

- ترتيب المدارك للقاضي عياض، تحقيق أحمد بكير محمود (ط بيروت 1967/1387) 352-347/3.
- الديباج المذهب لابن فرحون 136.
- شجرة النور الزكية 85.
- طبقات الفقهاء لأبي إسحاق الشيرازي، تحقيق الدكتور إحسان عباس (دار الرائد العربي بيروت 1970) ص 160.
- بلاد البربر الشرقية في عهد الزيريين لهادي روجي إدريس (بالفرنسية) 716-715/2.
- الأعلام 166/4 (ط/5).

* * *

4 - الأبي (. . . 827 أو 828 هـ) (1425 أو 1424 م)

محمد بن خلفه⁽¹⁾ بن عمر الوشتاتي⁽²⁾ الأبي⁽³⁾، من نبغاء تلاميذ الإمام ابن عرفة، ليم ابن عرفة على كثرة اجتهاده وإتباعه لنفسه في النظر والمراجعة لإعداد درسه في الفقه فقال: «كيف أنام الليل وأنا بين أسدين، الأبي بفهمه وعقله، والبرزلي بنقله» ويستفاد من هذا أنه ذو عقل تحليلي ناقد، وذو ملكة جيدة في الاستنباط.

سكن مدة طلبه للعلم بتونس في المدرسة الشماعية، والمدرسة التوفيقية المسماة أيضاً بمدرسة الهواء كما يستفاد من كتابته في شرح صحيح مسلم (إكمال إكمال المعلم) 33/6 - 67/7,34 حيث جاء فيه ما نصه: «قلت: كان من حلقة الشيخ (أي ابن عرفة) وأصحابنا الطلبة رجل يسمى عرفة، وكان متطلباً ناسكاً وهو حينئذ كهل، وأنا في سن ما بعد البلوغ يبسير ساكن بمدرسة التوفيق».

- 1) بكسر المعجمة وفتحها ثم لام ساكنة بعدها فاء (نيل الابتهاج نقلاً عن الحافظ ابن حجر) البدر الطالع 169/2.
- 2) نسبة إلى قبيلة وشاتة البربرية الأصل.
- 3) نسبة إلى أبة (بضم الهزة وفتح الباء المشددة) ومعناها السوق في القرطاجنية. قال ياقوت الحموي في «معجم البلدان» 100-99/1: «اسم مدينة باقرية بينها وبين القيروان ثلاثة أيام وهي من ناحية الأربس موصوفة بكثرة الفواكه ونبات الزعفران» وورد ذكرها في «مراسد الاطلاع» 21/1 وفي «تبصير المنتبه» للحافظ ابن حجر «الأبي - بالضم - منسوب إلى أبة من قرى تونس» 21/1 وتعرف الآن بأبة قصور بولاية الكاف.

وبعد استكمال تحصيله بقي مقيماً بتونس ودرس بها وأخذ عنه جماعة من الأعلام كالقاضي عمر القلشاني ، وابن ناجي ، وعبد الرحمان الثعالبي الجزائري .
 وكان فقيهاً نظاراً مشاركاً في عدة علوم ، قال عنه معاصره الحافظ ابن حجر : «عصرينا بالمغرب محمد بن خلف (كذا) الأبي الأصولي ، عالم المغرب بالمعقول» .
 وكان مع وفور عقله وجودة فهمه يحكى عنه من سلامة الفطرة ما يخرج به إلى حد الغفلة .
 تولى التدريس مدة بتونس ، ثم ولي قضاء الجزيرة القبلية سنة 1406/808 في عهد السلطان أبي فارس عبد العزيز بن أحمد الحفصي .

مؤلفاته :

1 - إكمال الإكمال ، وإكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض ، والمعلم بفوائد مسلم للإمام المازري ، والأبني جعل كتابه تكملة لما فات القاضي عياض في شرحه «إكمال المعلم» ولهذا سمي الأبني شرحه «إكمال إكمال المعلم» وهو شرح نفيس على صحيح مسلم ، ضمنه كثيراً من الفوائد والتحقيقات مع زيادات على الشروح المتقدمة عليه وذكر في خطبته أنه ضمنه كتب شراحه الأربعة المازري وعياض والقرطبي والنووي مع زيادات مكملية وتبسيهات ورمز «بالميم» للمازري و «العين» لعياض و «الطاء» للقرطبي و «الذال» لمحبي الدين النووي ولورود أسماء هؤلاء الشارحين كثيراً في شرحه وأشار بلفظ الشيخ لشيخه الإمام ابن عرفة ، ونقل عن شيخه ابن عرفة أنه قال : «ما يشق عليّ شيء في الفهم كما يشق عليّ كلام عياض في بعض مواضع من الإكمال» فأزال تلك الصعوبات .

قال الشيخ صالح بن مهنا القسنطيني⁽¹⁾ : «وشرحه يغني عن شروحهم الأربعة ولا تغني عن شرحه لما فيه من الأبحاث الرائقة ، والتحقيقات الفائقة ، يعلم ذلك من أطلع عليه وكان من أهله وهو خزانة علم ينفق منه الفقير كيف يشاء من نحو وتصريف وأصول وفروع وكلام ومصطلح وميزان .(منطق) وتاريخ ومعان وبيان وحقائق وإشارات ومناقب ورفائق ومواظ وقواعد إلى غير ذلك» .

وقد أهمل الأبني شرح مقدمة صحيح مسلم حتى قال الشيخ محمد بن محمد بن يوسف السنوسي في شرحه المكمل لشرح الأبني المسمى «مكمل إكمال الإكمال» : «رحم الله الشيخ الأبني ونفع به لقد كان من حقه أن يعتني بشرح المقدمة التي احتوت على علوم ومشكل أسماء ولغات تحتاج إلى ضبط وشرح أكثر من اعتناؤه بشرح التراجم لأنها ليست من وضع مسلم

(1) في طوره على رحلة الوتيلاني (ط حجرية ، تونس 1321 هـ) 217-216/3.

ولأنها في غنية عن الشرح غالباً، فتكميل الفائدة بشرح المقدمة كان أولى» .

ومقدمة صحيح مسلم من أقدم ما كتب في علم مصطلح الحديث، وللأئمة عناية بالفقه والعقائد في شرحه مع إهمال الكلام غالباً عن رجال الإسناد، على ما في هذا الأمر من جليل النفع في الصناعة الحديثية، قال العلامة المرحوم محمد زاهد الكوثري: «ولهذا لم يكن شرحه وافياً بالمرام ولا مطبقاً من غلة الباحثين الأوام، إلى أن قام أحمد شبير العثماني الهندي بشرحه في كتاب سماه «فتح الملهم في شرح صحيح مسلم» صدر منه ثلاثة أجزاء من خمسة، وحالت منيته دون إتمام طبعه وهو أحسن شرح لصحيح مسلم» .

والأئمة يتعرض - عندما تعن له المناسبة - إلى أحوال طائفة من العلماء التونسيين، ويجلب أحياناً آراءهم وفتاواهم في بعض المسائل، وما يروى عنهم من حكايات ونكت، كما يتعرض أحياناً لتواريخ بعض النظم كالقضاء والسكة ولذا لا يستغني عنه الدارس للتاريخ التونسي وبالخصوص العصر الحفصي. وقد كنت تتبعت مجلداته السبعة وأخذت منها ما له صلة بالتاريخ، وفي أثناء مذاكرة مع صديق ألف كتاباً في تاريخ تونس العام تحدثنا عن شرح الأئمة على مسلم، وبينت له فائدته للمعتمدين بالتاريخ وما جردته منه، فاشتقت نفسه للاطلاع عليه فأعرتة إياه، وقد أعاد كتابة العصر الحفصي على ضوء ما أمددته به وبغيره من الوثائق، وحلى هوامش كتابه بالنقل عن الأئمة، ولم يشر أدنى إشارة إلى صاحب الفضل، ولما صدر كتابه لم يتكرم بإهداء نسخة، فعجبت من لؤم الرجل وقلة أمانته ونكرانه للجميل فقطعت كل صلة به قبل وفاته بنحو ثلاث سنوات .

طبع الكتاب في 7 م بمطبعة السعادة بمصر سنة 1327 وعلى نفقة السلطان عبد الحفيظ .

2 - تفسير القرآن العظيم، دَوَّن فيه ما سمعه من دروس شيخه ابن عرفة الذي اعتمد على ابن عطية والزمخشري وبقية المفسرين، واعتمد على علماء اللغة والأصول والمنطق مع إبداء رأيه .

منه نسخ عديدة بالمكتبة الوطنية بتونس :

(1) نسخة رقم 10110 أصلها من المكتبة الأحمدية الزيتونية . وهي نسخة تامة على غاية من الجمال والاتقان والضبط . وهي وإن لم تكن مؤرخة جديرة بكل ثقة، نسخها فيما يبدو الشيخ القاضي المفتي محمد بن سلامة (ت 1850) للوزير حسين خوجة (ت 1857/1274) . وهي نسخة كاملة في 239 ورقة

(2) نسخة برقم 10771 أصلها من المكتبة الأحمدية نهايتها : «تم الجزء الأول من تفسير الإمام أبي عبد الله محمد الأئمة» . وهي مؤرخة بآخر شوال 1128 / سبتمبر - أكتوبر 1716 في 236 ورقة .

3) نسخة برقم 21269 غير تامة .

4) نسخة مصورة برقم 93453.

- ثلاث نسخ في المكتبة العامة بالرباط رقم 2030 مبتورة الآخر، رقم 2028 مبتورة الأول .
وهذه النسخ الثلاث أصلها من مكتبة الشيخ عبد الحي الكتاني .
وتوجد منه نسخة مصورة في معهد جامعة الدول العربية ، القاهرة رقم 116 .
3 - شرح المدونة .

المصادر والمراجع :

- الأعلام 349/6 .
- البدر الطالع للشوكاني 169/2 .
- برنامج المكتبة العبدلية 34-33/2 .
- تاريخ الدولتين للزرکشي 107 .
- تاريخ معالم التوحيد في القديم والجديد لمحمد بن الخوجة ، ص 66 ، 77 ، 171 .
- .. تبصير المنتبه 21/1 .
- الحلل السندسية 687-686/3/1 .
- درة المجال 285/2 .
- شجرة النور الزكية ص 244 .
- شرح الزرقاني على المواهب اللدنية 181/1 (نقل عن تبصير المنتبه للحافظ ابن حجر ، وفيه كما في المطبوع من تبصير المنتبه محمد بن خلف وسبق النقل عن نيل الابتهاج «خلفة» وضبطها نقلاً عن ابن حجر) .
- الضوء اللامع للسخاوي 133/11 (قسم الأنساب) .
- عنوان الأريب 115-114/1 .
- الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي 86/4 .
- فهرسة الكتب المخطوطة المحفوظة في خاتمة الجامع الأعظم بالجزائر لمحمد بن أبي شنب ، ص 1-38 .
- كشف الظنون ، 557 ، 1256 .
- .. معجم المطبوعات 363 .
- معجم المؤلفين 287/9 .
- مقالات الكوثري 83-82 .
- .. ملتقى ابن عرفة (ط تونس 1977) ص 68 ، 388-396 (بحث للأستاذ سعد غراب عنوانه : تفسير ابن عرفة ورواياته أو مدخل للدراسة تفسير ابن عرفة الورغمي) .
- نزهة الأنظار لمحمود بن سعيد مقديش 240-239/1 .
- نيل الابتهاج لأحمد بابا التنبكتي بهامش الدياج المذهب ص 287 .
- .. هدية العارفين 184/2 (وفيها تخليط غريب ، محمد بن خلف الألبيري القرطبي ، وقيل خليفة الوثناتي ،

- أبو عبد الله الأتشي المالكي ، أين الأتشي من القرطبي ؟ وليس هناك أندلسي واحد ينسب إلى وشتاتة) .
- أبو عبد الله الأتشي وكتابه الإكمال ، تأليف د . عبد الرحمن عون 512ص (الدار العربية للكتاب ، تونس 1984) وفيه ترجمة مستفيضة للمؤلف .
- توشيح الديباج لبدر الدين القرافي ص 204-250 (دار الغرب الإسلامي بيروت ، 1983) .
- بلاد البربر الشرقية في عصر الحفصيين (بالفرنسية) لروبير برانشفيك 375/2 . ويلاحظ أنه ألف الإكمال في سنة 823 كما ذكره في 360/2 (إكمال الإكمال) .

* * *

5 - الأجدابي⁽¹⁾ (. . . 412 هـ) (. . . 1040 م)

الحسين بن أبي العباس عبد الله بن عبد الرحمان الأجدابي القيرواني ، الفقيه كاتب مناقب جماعة من العلماء الصلحاء .

أخذ ببلده القيروان عن ابن أبي عقبة ، وتميم بن أبي العرب التميمي ، وهو من طبقة ابن أبي زيد ، والقاسبي ، وجبلية بن حمود .

رحل إلى مصر ، والحجاز ، وأخذ عن علمائها .

ومن أخذ عنه بالقيروان ابن سعدون ، وأبو بكر المالكي ، وأبو محمد عبد الحق ، ووالده كان عالماً فاضلاً عارفاً بالتاريخ ، وكان في كل فن واحد وقته مع صحبة الصالحين ، وكان ثقة وتوفي في جمادى الأولى سنة 924/384 ، ودفن بباب سلم⁽²⁾ .

وللمترجم له تأليف في مناقب ربيع القطان ، وإبراهيم السبائي ، وأحمد بن نصر بن زياد الهواري ، وأبي الفضل عباس بن عيسى الممسي .

المصادر والمراجع :

- ترتيب المدارك 621-622/4 .

- شجرة النور الزكية 98 .

(1) أجدابية بفتح الهمة وسكون الجيم وكسر الباء الموحدة وتخفيف الباء المثناة من تحت . مدينة كثيرة النخل والتمور بليبيا (أصل سلفه منها) ومن غربها وجنوبها مدينة أموجلة وهي من أعمالها . ينظر معجم البلدان 122-123/1 .

(2) معالم الإيمان (ط/1) 132/3 .

- معالم الإيمان 212/3.
- وينظر أيضاً عن ترجمة الوالد وابنه بلاد البربر الشرقية في عهد الزيريين (بالفرنسية) 725/2.

* * *

6 - إدريس⁽¹⁾ (كان حياً بعد سنة 1177 هـ) (1764 م)

محمد شهر حمودة بن محمد إدريس الحسني الشريف التونسي ، أبو عبد الله من علماء القراءات .

أخذ عن الشيخ محمد الحرقافي المقرئ الصفاقسي نزيل تونس وتلميذ الشيخ علي النوري وأخذ عن غيره .

وكان مواظباً على القراءة في يومي العطلة الأسبوعية : الخميس والجمعة .
وعنه أخذ القراءات أحمد بن أحمد الشرفي الصفاقسي .

له نظم في أوجه الآن ، ولا سيما إن ركبت مع آمنت أو آمنت ، وذلك على رواية الأزرق عن ورش ، اعتماداً على ما ذكره الشيخ علي النوري في كتابه «غيث النفع» وجعل لهذه الأوجه جدولاً تستخرج منه . وهذا النظم شرحه تلميذه أحمد بن أحمد الشرفي في رسالة «تحفة الأخوان بشرح أوجه الآن» وهذا النظم والجدول المصاحب له في ورقتين صغيرتين منفصلتين عن الشرح المذكور وكلاهما في المكتبة الوطنية بتونس .

* * *

7 - الأذري⁽²⁾ (423 هـ) (1032 م)

الحسين بن عبد الله بن حاتم الأذري ، أبو عبد الله ، نزيل القيروان ، المتكلم الأشعري وتلميذ القاضي أبي بكر بن الطيب الباقلائي .

(1) لم أجد له ترجمة ، وأخذت المعلومات الخاصة به من رسالة «تحفة الأخوان» .
(2) ياقوت الحموي معجم البلدان (ط . مصر) 159/1 ، مارة أذربيجان ، مرتضى الزبيدي ، تاج العروس 119/9 ، وانظر عن أذربيجان ، أمين واصف : معجم الخريطة التاريخية للممالك الإسلامية (ط . مصر 1334) ص 8-6 ، دائرة المعارف الإسلامية (بالفرنسية الطبعة الجديدة 194/1 وما بعدها) .

والأذري بفتح الهمزة في أوله وفتح الذال المعجمة ، نسبة إلى أذربيجان وهو إقليم واسع من مدنه المشهورة تبريز ، وقيل في النسبة إليه أذري (بسكون الذال) لأنه عند النحويين مركب من أذر وبيجان ، فالنسبة إلى الشطر الأول وقيل في النسبة إليه أذري (فتح الهمزة والذال وسكون الراء) وكل قد جاء .

وقد تحرفت نسبته إلى «الأزدي» لدى الكتاب قديماً وحديثاً . ورد ذكره ثلاث مرات في كتاب «تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري» تأليف حافظ دمشق ومؤرخها أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت سنة 1176/571) المرة الأولى جاء نسبه محرفاً إلى «الأزدي» . «وقرأت فيما رواه الشيخ الزاهد أبو محمد عبد القادر بن محمد الصدفى القيرواني المعروف بابن الخياط قال : «أنا الشيخ الفقيه أبو بكر عبد الله بن محمد القرشي القيرواني قال : أنا أبو عبد الله الحسين بن عبد الله بن حاتم الأزدي (كذا) صاحب القاضي الجليل أبي بكر بن الباقلاني⁽¹⁾» .

وفي المرة الثانية جاء نسبه على الوجه الصحيح «الأذري» ونقل المؤلف ترجمته بالإسناد المتصل عن الفقيه أبي عبد الله محمد بن موسى بن عمار الميورقي⁽²⁾ «إلا أنه (أي الباقلاني) خلف من بعده من تلاميذه جماعة كثيرة تفرقوا في البلاد ، أكثرهم بالعراق وخراسان ، ونزل منهم إلى المغرب رجلاً أحدهما أبو عبد الله الأذري - رضي الله عنه - وبه انتفع أهل القيروان ، وترك بها من تلاميذه مبرزين مشاهير جماعة أدركت أكثرهم . وكان رجلاً ذا علم وأدب ، أخبرني بعض شيوخنا عنه - رحمه الله - أنه قال : لي خمسون عاماً متغرباً عن أهلي ووطني ، ولم أكن فيها إلا على كور جمل أو بيت فندق أطلب العلم آخذاً له أو مأخوذاً عني .

وقال لي غيره من شيوخنا : ما قدر أحد من تلاميذه أن يعطيه على تعليمه شيئاً من عرض الدنيا وكان يقول تعليم هذا العلم أوثق أعمالني عندي ، وأخاف أن تدخله داخله إن أخذت عليه أجراً ، ولا أحتسب أجري إلا على الله . ولقد كان يتركها في بيته ونحن جماعة ، ثم يذهب إلى السوق فيشتري غداءه أو عشاءه ، ثم ينصرف به في يده فكنا نقول له : «يا سيدنا الشيخ نحن شباب جماعة كلنا نرغب في قضاء حاجتك ، نسألك بالله العظيم إلا ما تركتنا وقضاء حاجتك في المهم العظيم فكيف في هذا الأمر اليسير؟ ! نسألك بالله العظيم ألا تركتنا وقضاء حاجتك فإن هذا من العار العظيم علينا» .

فكان يقول لنا : «بارك الله فيكم ! ما يخفى علي أنكم تسارعون لهذا الأمر ، ولكن قد علمتم عذري ، وأخاف أن يكون هذا من بعض أجري على تعليمي» .

(1) تبيين كذب المفتري (ط دمشق 1347 هـ) ص 41-42.

(2) في الأصل المايريقي .

وتوفي بالقيروان غريباً ، رحمة الله تعالى عليه ورضوانه .

والمرة الثالثة ورد ذكره في أواخر ترجمة أبي الحسن علي بن داود الداراني الدمشقي المقرئ (ت سنة 1011/402) «وسمعت الشيخ الفقيه الإمام أبا الحسن علي بن المسلم بن محمد بن علي بن الفتح السلمي يحكي عن بعض شيوخه أن أبا الحسن بن داود لما كان يصلي بجامع دمشق تكلم فيه بعض الحشوية⁽¹⁾، فكتب إلى القاضي أبي بكر محمد بن الطيب بن الباقلاني إلى بغداد يعرفه بذلك ويسأله أن يرسل إلى دمشق من أصحابه من يوضح لهم الحق بالحجة ، فبعث القاضي تلميذه أبا عبد الله الحسين بن حاتم الأذري ، فعقد مجلس التذكير في جامع دمشق في حلقة أبي الحسن بن داود ، فذكر التوحيد ، ونزه المعبود ، ونفى عنه التشبيه والتحديد ، فخرج أهل دمشق من مجلسه وهم يقولون : «أحد أحدا» . هذا معنى ما ذكره لي رحمه الله .

وأقام أبو عبد الله الأذري بدمشق ، ثم توجه إلى المغرب فنشر العلم بتلك الناحية ، واستوطن القيروان إلى أن مات رحمه الله⁽²⁾.

ونستفيد من هذا النص أن الأذري كان داعية من الذين يعتمد عليهم القاضي أبو بكر الباقلاني في نشر مذهب الأشعري في العقائد في فترة حاسمة من الصراع النهائي بين المعتزلة والأشعرية وبين غيرها من الفرق المخالفة للأشعرية ، وظروف قدوم الأذري إلى القيروان غامضة غير واضحة ، هل كان يطلب من أهل القيروان أم أنه جاء تطوعاً بإيعاز من شيخه الباقلاني ؟ أسئلة لا نجد عنها جواباً مع العلم بأن مذهب الأشعري كان موجوداً بالقيروان قبل قدوم الأذري ، ومن مثليه أعلام بارزون كأبي الحسن القابسي ، وأبي عمران الفاسي (ولهما رحلة إلى الشرق اتصلا فيها بأبي ذر الهروي تلميذ القاضي الباقلاني ، نزيل مكة) وابن أبي زيد القيرواني .

وقد وقفت على مخطوطة من كتاب «تبيين كذب المفتري» ترجع إلى القرن الثامن الهجري من مكتبة الشيخ علي النوري بصفافس (نقلت إلى المكتبة الوطنية بتونس في صائفة عام 1969) وأصلها من أوقاف المدرسة القليجية بدمشق⁽³⁾ جاء بهامشها بخط ومداد مغايرين للنسخة معلومات مفيدة عن «الأذري» أثرت نقلها بنصها :

(1) الحشوية هم المجسمة كما يستفاد من سياق الكلام .

(2) تبيين كذب المفتري ، ص 216-217.

(3) المدرسة القليجية نسبة لواقفها الأمير سيف الدين أحمد بن علي بن قليج المتوفى سنة 1245/643 ، وكانت من مدارس الحنفية بدمشق ، راجع الدارس في تاريخ المدارس 569/1.

«حاشية: قال أبو محمد عبد الله بن علي بن عبد الله بن علي بن خلف الرشاشي اللخمي في كتابه «اقتباس الأنوار في معرفة أنساب الصحابة ورواة الآثار»⁽¹⁾: الأذري منسوب إلى أذربيجان أبو عبد الله الحسين بن حاتم»⁽²⁾: مؤلف كتاب «اللامع»⁽³⁾ في أصول الفقه، وهو مختصر مفيد في معناه. وكان - رحمه الله - حسن الأخلاق، مليح الدعابة، وكان مولعاً بالحلواء، وكان أصحابه قد علموا ذلك منه فمتى حضر عندهم قدموا له في آخر الطعام الحلواء، وإن أحدهم أغفل ذلك في بعض الأحيان، فلما أخذوا في الانصراف قال الأذري: «أفطر»⁽⁴⁾ عندكم الصائمون، وأكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم نصف الملائكة» فقيل له: إنما هو: وصلت عليكم الملائكة! «فقال: بقي النصف الثاني مع الحلواء».

مات - رحمه الله - بالقيروان سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة»⁽⁵⁾.

ومن تأليفه كتاب في مناقب القاضي أبي بكر الباقلائي ذكره أبو علي السكوني في «عيون المناظرات» تحقيق الأستاذ سعد غراب (ط تونس) ص 246-247، 236-244.

وكان أبو بكر عبد الله بن محمد القرشي القيرواني تلميذ الأذري من أخذ عنه كتاب «اللامع» في أصول الفقه. جاء في «ذيل اللباب» نصه: «علي بن عثمان بن الحسن الربيعي الصقلي قدم قرطبة تاجراً روى عنه أبو علي الغساني كتاب «اللمع» (كذا) في أصول الفقه لأبي عبد الله الحسين بن حاتم الأذري، حدثه عن أبي بكر عبد الله بن محمد القرشي المالكي عن الأذري مؤلفه»⁽⁶⁾.

وكلمة الأذري الواردة في هذا النص قرأها الأستاذ هادي روجي إدريس «الأذري» هكذا بالألف المقصورة غافلاً عن أنها ياء النسبة، وتصحح في نظره إلى الأزدي⁽⁷⁾. وكلمة

(1) المعروف في اسم الكتاب «اقتباس الأنوار والتماس الأزهار» يوجد منه أكثر المجلد الخامس وبعض الرابع مخطوطين في خزانة القرويين بفاس رقم 3031 (الزركلي: الأعلام 10/134) ويوجد الجزء الثالث في المكتبة الوطنية بتونس وأصله من المكتبة الأحمدية الزيتونية ومن الواضح أن نقل ترجمة الأذري من الجزء الأول. أسقط إسم والده اختصاراً.

(3) هذا هو الصواب في اسم تأليفه لا «اللمع» الذي هو من تأليف الأشعري وعنوان تأليف أبي إسحاق الشيرازي في أصول الفقه، وورد ذكر هذا الكتاب في «كشف الظنون» 153/2 مع تحريف في اسم المؤلف وإسم والده، وعدم معرفة تاريخ وفاته، ونسبته فيه «الأذري» ونص ما فيه «اللامع في أصول الفقه» لأبي عبد الله حسن بن جابر الأذري المتوفى سنة . . .

(4) هذا نص حديث صحيح قاله رسول الله (معلم) عندما أفطر عند سعد بن معاذ أو سعد بن عباد، وهو مروى عن عبد الله بن الزبير أخرجه ابن ماجه في سننه، وابن حبان في صحيحه. أنظر: فيض التقدير شرح الجامع الصغير لمحمد عبد الرؤوف المناوي 54/2.

(5) الورقة 24 من المخطوطة المشار إليها.

(6) نقلاً عن ملحق المكتبة الصقلية، ليكالم أماري ص 47.

(7) في أطروحته «بلاد البربر الشرقية في عهد الزييين» (بالفرنسية) 703/2 هامش رقم 82.

«الأزدي» بياء النسبة صحيحة لا تحتاج إلى تصحيح هو عين التصحيف والتحريف .
ومن روى عن الأزدي كتابه «اللامع» عبد الجليل الديباجي القيرواني (كما في الغنية
للقاضي عياض ص 143) .

وتحرف «الأزدي» إلى الأزدي عند ياقوت الحموي⁽¹⁾ في أواخر كلامه عن القيروان «فمن
جملة من ينسب إليها . . . محمد بن أبي بكر عتيق (بن) أبي نصر هبة الله بن علي بن مالك
أبو عبد الله التميمي ، المتكلم الأشعري⁽²⁾ المعروف بابن أبي كدية التميمي القيرواني» درس
علوم الأصول بالقيروان على أبي عبد الله الحسين بن حاتم الأزدي (كذا) صاحب القاضي أبي
بكر الباقلاني وعلي غيره . . . «وكان مقرئ الكلام في النظامية ببغداد وأقام بالعراق إلى أن
مات ، وكان صلماً في الاعتقاد ، ومات ببغداد في ثامن عشر ذي الحجة سنة 512 ، ودفن مع
أبي الحسن الأشعري في تربته بمشرفة الروايا خارج الكرخ» .

وورد نسبة «الأزدي» صحيحاً في كتاب «الغنية» للقاضي عياض ص 143 في ترجمة
القاضي أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن علي بن شيرين .

وفي ترجمة القاضي أبي بكر الباقلاني في «ترتيب المدارك» للقاضي عياض جاء ذكر
«الأزدي مرتين محرّفاً إلى «الأزدي»⁽³⁾ (هكذا بالذال المهملة) ومرة محرّفاً إلى «الأزدي»⁽⁴⁾ .

وفي المقدمة التي كتبها د . أحمد بكير محمود محقق كتاب «ترتيب المدارك» تحرف
الأزدي إلى «الأزدي» . . . «فكان من كبار الأشاعرة النازحين إلى المغرب أبو عبد الله
الحسين بن حاتم الأزدي (كذا) تلميذ القاضي الباقلاني»⁽⁵⁾ .

وجاء في كتاب «المختار من شعر بشار» ص 153 محرّفاً إلى «الأزدي» ويستفاد منه أنه
كان يروي ديوان المتنبي عن ابن جتي .

ولعل من أسباب التحريف شيوع نسبة «الأزدي» في كتب الطبقات والتراجم وندرة نسبة
الأزدي وما هناك من تقارب واشتباه بين الذال والزاي يأتي جهلة النساخ فلا يميزون بينهما .

* * *

- (1) معجم البلدان 195/7 مادة القيروان . ولابن أبي كدية هذا ترجمة في «معرفة القراء الكبار» للذهبي 379/1
وتحرف فيه إسم شيخه «الأزدي» إلى الأزدي وله ترجمة في غاية النهاية لابن الجزري 196-195/2 .
- (2) في الأصل «الشعري» وهو تحريف .
- (3) القاضي عياض: ترتيب المدارك، منشورات مكتبة الحياة، بيروت 1967/1387، تحقيق د . أحمد بكير
محمود ج 4 أواخر ص 586 .
- (4) المصدر السالف ص 589 .
- (5) ص 15 .

8 - الأسدي (481 هـ⁽¹⁾) (1088 م)

محمد بن نعمة الأسدي القيرواني، أبو بكر، العاير. من شيوخه أبو عمران الفاسي وعبد الحق الصقلي وتلمذ زمناً طويلاً على علي بن أبي طالب العاير، ومروان بن علي البوني. هاجر إلى المريّة بالأندلس، وبها توفي. قال ابن بشكوال: «... وسمع الناس منه وأخذ عنه جماعة من شيوخنا وسمعت بعضهم يضغفه». ألف عدة كتب في تعبير المنامات.

المصادر والمراجع:

- الصلة: نشر عزت العطار الحسيني، القاهرة 1955/1374، 571/2.
- بلاد البربر الشرقية في عهد الزيريين (بالفرنسية) 726/2.

* * *

9 - الإسرائيلي (. . . نحو 320 هـ) (933 م).

إسحاق بن سليمان الإسرائيلي، أبو يعقوب، من أهل مصر استوطن القيروان، ولازم إسحاق بن عمران الطبيب البغدادي المسلم النحلة وتلمذ له. وكان في مبدأ أمره كخالاً وخدم بطنه عميد الله المهدي مؤسس الدولة العبيدية، ولم يتزوج، وعاش مائة سنة ونيفاً، وكان طبيياً لسناً عالماً بتقاسيم الكلام، وتفريع المعاني. بعث في طلبه من مصر زيادة الله الأغلبية آخر أمراء الدولة الأغلبية وأرسل له بخمسمائة دينار يتقوى بها على السفر، ولما قدم من مصر وجد زيادة الله بجيوشه في الأربس (قرب الكاف) وذلك سنة 905/293 فرحل إليه، فلما بلغ زيادة الله قدومه أمر بإدخاله عليه، فسلم عليه بالإمرة وفعل ما يجب أن يفعل من الرسوم مع الملوك فرأى زيادة الله قبيل الوقار والغالب عليه اللهو وما يثير الضحك وابتدأه بالكلام ابن خنيس⁽²⁾ اليوناني فقال له:

- تقول إن الملوحة تجلو.

(1) وقيل سنة 482.

(2) في إسمه اضطراب فهو هكذا في بعض المصادر وفي بعضها جنيس وجيش وخنيس.

- قال : نعم !
- وتقول إن الحلاوة تجلو .
- قال نعم !
- قال له : فالحلاوة هي الملوحة ، والملوحة هي الحلاوة .
- قال إسحاق : إن الحلاوة تجلو بلطف وملاءمة والملوحة تجلو بعنف .
- فتمادى ابن خنيس على المكابرة ، وأحب المغالطة ، فلما رأى ذلك منه عدل على مجادلته بنفس أسلوبه لإفحامه وتخجيله .
- فقال له : تقول أنت حي !
- قال : نعم .
- قال إسحاق : والكلب حي .
- قال : نعم .
- قال : فأنت الكلب والكلب أنت .

فضحك زيادة الله ضحكاً شديداً ، وعلم إسحاق بن سليمان أن رغبة زيادة الله في الهزل أكثر من رغبته في الجد .

ولما وصل أبو عبد الله الصنعاني داعي عبيد الله المهدي إلى رقادة أدناه وقرب منزلته وكانت به حصاة في الكلى وكان يعالجه بدواء فيه العقارب المحرقة ، فجلس ذات يوم مع جماعة من كتامة فسألوه عن صنوف من العلل ، فكلما أجابهم لم يفهموا قوله لأنهم من البربر لا يفهمون العربية جيداً ، فقال لهم إسحاق أنتم بقرا وليس معكم من الإنسانية إلا الاسم ! فبلغ الخبر إلى أبي عبد الله ، فلما دخل عليه إسحاق قال له : أتقابل إخواننا المؤمنين من كتامة بما لا يجب ؟ والله الكريم لولا أن عذرك أنك جاهل بحقهم وبقدر ما صار إليهم من معرفة الحق وأهل الحق لأضربن عنقك .

قال إسحاق : فرأيت رجلاً شأنه الجد فيما قصد إليه وليس للهزل عنده شيء .
وكان إسحاق طبيباً فاضلاً بليغاً عالماً مشهوراً بالحدق والمعرفة ، جيد التصنيف ، عالي الهمة .
وكان معاصروه من يهود افريقية ، يجالونه إجلالاً عظيماً حتى أنهم أسندوا إليه رئاستهم الدينية ، وقد ألف لهم كثيراً من الكتب في تفسير شريعتهم ، كما سن لهم تقاليد دينية .
وقد أخذ عنه الطب والفلسفة جماعة من أبناء البلاد منهم الطبيب الشهير أحمد بن الجزائر

القيرواني ، وهو يروي عنه حكايات طريفة في تاريخه .
وقد ترجمت الكثير من مؤلفاته الطبية إلى اللغة اللاتينية ونقل كثير من مؤلفاته إلى اللغة
العبرية . . . وعند وفاته دفن بمقبرة اليهود بمدينة المهديّة .

مؤلفاته :

- 1 - كتاب الاستقسات .
 - 2 - الأوائل .
 - 3 - الأقاويل .
 - 4 - كتاب بستان الحكيم ، في الفلسفة وفيه مسائل من العلم الإلهي .
 - 5 - كتاب البول ، قال عنه ابن جلدجل الطبيب الأندلسي : «إِنَّهُ أَشْبَحَ كِتَابَ أَلْفِهِ مُؤَلَّفَ بَدَأَ فِيهِ جَمِيعَ الْمُتَقَدِّمِينَ» . توجد منه نسخة في الخزنة التيمورية بدار الكتب المصرية رقم 311 طب .
 - 6 - اختصار لكتابه في البول .
 - 7 - كتاب الترياق .
 - 8 - كتاب الحدود والرسوم في المنطق والفلسفة .
 - 9 - كتاب في الحكمة .
 - 10 - كتاب الحميات ، خمس مقالات ، قال عنه ابن أبي أصيبعة : «ولم يوجد في هذا المعنى كتاب أجود منه» .
- وقال الطبيب المصري علي بن رضوان : «إن هذا الكتاب جامع وجمع رجل فاضل وقد عملت بكثير مما فيه فوجدته لا مزيد عليه ، وبالله التوفيق والمعونة» . توجد منه نسخة مخطوطة مكتوبة سنة 1242/639 بمكتبة أحمد الثالث باستانبول رقم 2109 في 225 ورقة .
- 11 - كتاب في الأدوية المفردة والأغذية ، ويقال في الغذاء والدواء . توجد منه نسخة في مجلدين مكتوبة سنة 1310/709 في مكتبة السلطان محمد الفاتح باستانبول رقم 3604 وعنوانها : «أقاويل الأوائل في طبائع الأغذية وقواها» .
 - 12 - كتاب المدخل إلى صناعة الطب .
 - 13 - كتاب المدخل إلى المنطق .

المصادر والمراجع :

- إيضاح المكنون 275/2، 289، 454.
- البيان المغرب لابن عذاري 141/1.
- طبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل الأندلسي، تحقيق فؤاد سيد (القاهرة 1955) ص 86.
- عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة 59-58/3.
- الكامل لابن الأثير 165/8.
- كشف الظنون 1390/2-243/1، 1394، 1404، 1411، 1413، 1414، 1464 (كذا أحصاها في معجم المؤلفين).
- معجم المؤلفين 234/2.
- وركات... 237/1، 239.
- اكتفاء القنوع بما هو مطبوع لإدوارد كرنيليوس فاندريك (القاهرة 1897) ص 217.
- هدية العارفين 199/1.

* * *

10 - ابن أبي الأسود (... - حوالى 256 هـ⁽¹⁾) (... - 870 م)

أحمد بن أبي الأسود القيرواني من كبار علماء النحو واللغة ومن الشعراء المجيدين تخرج بأبي الوليد عبد الملك بن قطن المهري .
له تأليف في النحو وغريب اللغة لم تصلنا أسماؤها أشار إليها الزبيدي بقوله : «وله أوضاع في النحو والغريب ومؤلفات حسان» .

المصادر والمراجع :

- إنباه الرواة للقفطي 32-31/1.
- بغية الرعاة للسيوطي 297/1.
- البلغة في تاريخ أئمة اللغة للفيروز آبادي (صاحب القاموس) 255-254.
- معجم الأدباء لياقوت الحموي 230/2.
- وركات عن الحضارة... 164-163/1.

* * *

(1) لم يذكر الدين ترجموا له تاريخ ميلاده ووفاته واعتمدت على أنه كان حياً بعد سنة 256 على وفاة شيخه المهري في هذا التاريخ .

11 - الأصرم (. . . - حوالي 1172 هـ) (. . . - 1756 م)

أحمد الأصرم ، الأديب الشاعر ، والفقير المشارك في علوم ، رئيس كتاب ديوان الإنشاء . ولد بالقيروان ، ونشأ بها ، وأخذ عن الشيخ عبد الله السوسي السكتاني المغربي أيام إقامته بالقيروان ، ونسبهم في قبائل الفتح من اليمينية (إتحاف أهل الزمان) ، قال محمد بيرم الرابع «صحب الأمير محمدر باي أيام مقامه ببلدته عند تأجج نار الفتنة الشهيرة ، وذهب معه إلى الجزائر وأقام بها ، وتصمير للإشهاد ، وقضى هناك أياماً بالنيابة ، ولما فرّ الأمير محمد الرشيد إلى الجزائر هو وإخوانه كان في صحبتهم» .

قال في «عنوان الأريب» : «حتى كان يحمل الأمير محمد الرشيد على كاهله إذا أعياه المشي ، حتى بلغ منجاته من الجزائر ، فحفظوا ذلك العهد ، وأولوه خير جزاء من بعد ، فافتعد دست الكتابة . . .» إلى أن قال : «ولا يزال الأمراء الحسينيون يرعون لآله عهد أبيهم ، حتى جعلوا رئاسة الكتابة فيهم ، فتداولها خلفهم عن سلفهم» .

توفي في دولة علي باي .

له حاشية على شرح المحلي لجمع الجوامع في أصول الفقه .

المصادر والمراجع :

- إتحاف أهل الزمان عرضاً في ترجمة أخيه محمد ، ولم يذكر تاريخ وفاته .
- الجواهر السنينة في شعراء الدولة الحسينية لمحمد بيرم الرابع ص 257-285 .
- عنوان الأريب 30/2-32 ، ولم يذكر تاريخ وفاته وإنما اقتصر صاحب الجواهر السنينة على أنه مات في أيام علي باي .

* * *

12 - الأصولي (كان حياً سنة 693 هـ) (1293 م)

عبد الرحمان بن محمد الأصولي ، أديب شاعر ، وعالم جليل ، انتفع الناس بعمله لإقراء وتأليفاً .

كان موجوداً في عصر السلطان أبي زكريا يحيى الثاني الحفصي .

له تبيكت الناقد⁽¹⁾ ولعله ألفه ردأ على من انتقد القصيدة السينية لابن الأبار .

المصادر والمراجع :

- رحلة التيجاني 269-378.
- عنوان الأريب 66/1-67.

* * *

13 - أعين بن أعين (. . . 385 هـ) (. . . 995 م)

أعين بن أعين ، كتحال عاش في عصر المعز لدين الله الفاطمي بالقيروان ، وانتقل معه إلى مصر . كان ماهراً في معالجة الرمذ المزمن ، وشفي على يديه خلق كثير من المصابين به مثل الشريف أحمد بن عوانة ، وشيخ المالكية عبد الله بن أبي زيد . قال ابن أبي أصيبعة : « كان طبيباً متميزاً ، وله ذكر جميل ، وحسن معالجة » .

مؤلفاته :

- 1 - كتاب أمراض العين ومداواتها .
- 2 - كناش في الطب .

المصادر والمراجع :

- الأعلام 399/1 (نقلاً عن طبقات الأطباء) .
- طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة 143/3 (ط بيروت) .
- معالم الايمان (ط) 1/83، 191 .
- هدية العارفين 25/1 .
- ورقات . . . 305/1 .

* * *

(1) لم نجد له ترجمة مفصلة ، وفي سنة 693 مدح السلطان أبأ زكربا يحيى الحفصي ، ووصف واقعة يعقوب الهرشي الذي ثار بطرابلس بدعوى المهدوية فقبض عليه مع أتباعه وقتلوا جميعاً .

14 - ابن الأغلب (. . . 283 هـ) (. . . 896 م)

محمد بن زيادة الله بن محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب التميمي أبو العباس ، من بيت إمارة بني الأغلب ، أمراء القيروان ، وكان أبوه زيادة الله قد ولي إمارة إفريقية بعد أخيه أبي إبراهيم أحمد بن محمد ، وكان محمود السيرة ، ذا رأي ونجدة . قال عن هذا الأمير الأب القاضي سليمان بن عمران : « ما ولي لبني الأغلب أعقل من زيادة الله الأصغر » . سناه الأصغر لأنه سمي باسم عم أبيه زيادة الله بن إبراهيم .

وورث عنه ابنه محمد خلال الخير وحسن السلوك ، ولاه ابن عمه إبراهيم الثاني بن أحمد بن محمد بن الأغلب طرابلس ، فكان يشق عليه حسن سيرته ويكره ذلك لأن إبراهيم الثاني كان سكيراً ماجناً جريئاً على سفك الدماء ، ولم يزل إبراهيم الثاني يحقد على محمد هذا ما يؤثر عنه من جميل إلى أن قتله . والسبب الذي دعاه إلى قتله ، مع قدم حسده له ، ثناء الخليفة المعتضد العباسي عليه ، وترشيحه للإمارة بدلاً من إبراهيم . فقد روي أن إبراهيم الثاني توجه رسولاً إلى بغداد ، فكتب إليه يخبره أن بعض من سار إلى بغداد من أهل مدينة تونس شكوا إلى المعتضد صنع إبراهيم ، فقال المعتضد : « عجباً من إبراهيم ما يبلغنا عنه إلا سوء الثناء عليه ، وعامله على طرابلس يبلغنا عنه خلاف ذلك من رفق بمن ولي عليه وإحسان » .

ونقل عن إبراهيم الرقيق أن المعتضد كتب إلى إبراهيم : « إن لم تترك أخلاقك في سفك الدماء فأسلم البلاد إلى ابن عمك محمد بن زيادة الله صاحب طرابلس » .

فثار إبراهيم وهاج وفكر في التخلص منه فخرج إلي طرابلس خفية وتظاهر بأنه يريد الخروج إلى مصر حيلة منه إلى أن ظفر به فقتله وصلبه بغياً وحسداً ، وقتل أولاده ، وعات في أصاغره عيئه المشهور حتى أنه شق جوف بعض نساته عن جنينها وكان بين خروجه ورجوعه خمسة عشر يوماً .

والمترجم له كان عالماً خطيباً أديباً ظريفاً شاعراً حسن السيرة ، مع عشرة لإخوانه ، ولين جانب لأخذانه ، لا ينادم إلا أهل الأدب .

ومن شعره [طويل]:

ومما شجأ قلبي بتوزر أنني تناءيت عن دار الأحبة والقصر
غريباً ، فليت الله لم يخلق النوى ولم يعجر بين بيننا آخر الدهر

مؤلفاته :

1 - تاريخ بني الأغلب .

2 - راحة القلب .

3 - كتاب الزهر .

المصادر والمراجع :

- الأعلام 366/6 .

-- البيان المغرب 129/1 (سنة 283) .

- الحلة السيرة لابن الأبار ، تحقيق د . حسين مؤنس (ط القاهرة سنة 1963) 179/1-181 .

- دراسة عبد الله الطباع عن الحلة السيرة ص 420 .

- معجم المؤلفين 12/10 .

* * *

الإمام الزغواني = برتقيز يوسف بن محمد

15 - الإمام المنزلي (. . . 1248 هـ) (. . . 1832 م)

محمد بن محمد (بفتح الميم) بن فرج ، المعروف بالإمام المنزلي ، نسبة إلى بلدة منزل بوزلفة ، وعقبه موجود بها إلى الآن .

أصل جده من قبيلة بمصر تسمى الحمر (بضم الحاء المهملة وسكون الميم) قدم جده الأعلى من مصر إلى البلاد التونسية ، وجاء إلى منزل بوزلفة آخر المائة السادسة ، فوجد الناس قد فرغوا من بناء البلدة ولما رأوا في هذا الزائر الغريب آثار الفقه والصلاح ولّوه الإمامة والخطابة بجامع البلدة وبقيت إمامة الجامع في عقبه يتوارثونها خلفاً عن سلف حتى أن أسرته اشتهرت بعائلة الإمام ، وهي أسرة معروفة إلى الآن بهذا اللقب في منزل بوزلفة ، وهي من أقدم الأسر العربية هناك .

وكان الشيخ محمد الإمام المنزلي عالماً فاضلاً ، فقيهاً مدرّساً متفنناً في علوم شتى ورعاً زاهداً وهو شيخ الطريقة القادرية وناشرها بالقطر التونسي في القرن الثالث عشر الهجري . وقد أجازته بالطريقة القادرية ابن بلدته الشيخ علي الشايب بن عمر المنزلي بإجازتين وسندين لأنه تلقى الطريقة عن الشيخ محمد بن عبد الكريم السّمّان بالمدينة المنورة ، وأجازته بإسناده فيها ، ثم سافر إلى بغداد وزار مقام الشيخ عبد القادر الجيلاني ، وأجازته بعض أحفاد الشيخ عبد القادر بإسناده في الطريقة ثم رجع الشيخ علي الشايب إلى منزل بوزلفة ، وبنى زاوية للقادرية ، وأجاز الشيخ محمد الإمام بإسناده المذكورين .

ولما توفي شيخه علي الشايب بن عمر تصدر لنشر الطريقة القادرية وجعل له أمير وقته طابعاً يطبع به الإجازات، وكان يجيز من يأتيه من سائر الآفاق.

ومن المعلوم أن الطريقة القادرية تسربت إلى تونس مع الأتراك لاعتقادهم في الشيخ عبد القادر الجيلاني، ولؤسس الدولة الحسينية اعتقاد فيه كبير، وهذه الدولة من بقايا سلالة الأتراك وكان الأمراء الأوّلون منها ينتسبون إلى الطريقة القادرية، وانتسب أخلافهم إلى الطريقة التيجانية، وبقي لها احترام وقداسة ومكانة في القصر وحاشيته حتى بعد الاحتلال الفرنسي برمان. ولذا كان المترلفون إلى القصر وحاشيته ينتسبون إلى الطريقة التيجانية وبعضهم يؤلف في مناقب مؤسسها الشيخ أحمد التيجاني، ومنهم المحدث الأديب أحمد أديب المكي نزيل تونس.

ومن تلامذته في العلم والطريقة أحمد الحرّبي، ومحمد صالح عيسى الكناني، القيروانيان.

مؤلفاته :

- 1 - تخاميس على قضائد عديدة .
- 2 - تخميس على رائية البوصيري في الصلاة على رسول الله ﷺ .
ومطلع رائية البوصيري :
يا رب صل على من سبح الحجر في وسط كفيه وانشق له القمر
- 3 - سعادة الدارين في الصلاة والسلام على سيد الثقلين، تبع فيه الشيخ محمد الجزولي . وهو قدر ثلثي «دلائل الخيرات» قال فيه - بعد الخطبة - «هذا الكتاب جمعت فيه ما فتح الله على قلبي من كفيات الصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين» .
- 4 - منظومة آداب المريدين شرحها الشيخ عبد القادر بن عبد الله المجاوي⁽¹⁾ الجزائري، ط تونس 1314 هـ في 100 ص .
- 5 - منظومة في أحكام الجمعة . ضمن فيها ما حكاه الشيخ خليل في «مختصره» .
- 6 - منظومات في مدح رسول الله ﷺ .
- 7 - منظومات في مدح الشيخ عبد القادر الجيلاني .

(1) في معجم المطبوعات 1291/2 «المجاوي» والتصحيح من كتاب «تعريف الخلف برجال السلف» 449/2-450.

المصادر والمراجع :

- تكميل الصلحاء والأعيان لمحمد بن صالح عيسى الكنانى ، تحقيق محمد العنابي (ط تونس 1970) ص 281-291 وهو آخر المترجم لهم في هذا الكتاب .

* * *

16 - ابن اندراس (674 هـ⁽¹⁾) (1275 م)

محمد بن أحمد بن محمد الأموي ، المعروف بابن اندراس ، أبو القاسم أبو يعقوب ، المرسي الأندلسي ، نزيل تونس . كان متقدماً في علم الطب ، عارفاً بالعربية وأصول الدين ، مشاركاً في غيرها من العلوم وكان حاضر الذهن ومن عاداته إذا سئل عن مسألة من الطب لا يجيب فيها إلا بعد إمعان النظر على طريقة الخذاق وأرباب الدين .

بارح بلده مرسية ومر بالمغرب الأقصى فأقام بطنجة ثم أقام ببجاية في حدود سنة 1262/660 ودرس بها أرجوزة ابن سينا في الطب ، وقانون أبي موسى الجزولي في النحو . ومن قرأ عليه ببجاية أحمد الغبريني صاحب «عنوان الدراية» وأبو بكر بن الفلاس الفقيه الطبيب ، وحضر مجالس من القراءة عليه القاضي الجليل عبد الله بن يعقوب وغيرهم ، قراءة بحث واتقان ، وجودة بيان ، كما قرأ عليه الغبريني جملة من كليات «القانون» لابن سينا بعد قراءة الأرجوزة ، وكانت الأبحاث في كل ذلك جارية على القوانين النظرية والاستدلالات الجليلة .

وفي مدة إقامته ببجاية تولى تطبيب الولاة مع بعض خواص الأطباء ، وسمع به السلطان محمد المستنصر الحفصي فاستدعاه إلى تونس ، فكان من جملة أطبائه وجلسائه .

وفي «الفارسية» عند الكلام عن السلطان أبي يحيى بن أبي زكريا بن إسحاق الحفصي حكاية تدل على صلته بالبيت المالك الحفصي واعتراف سلطان وقته بمهارته في الطب ، مع تحرزه منه لميله إلى ابن اللحياني ، وما هي إلا وسوس ملوك الإطلاق فإن المترجم له كان معروفاً بالديانة «حكى الفقيه الطبيب أبو علي الحسن المراكشي الحكيم ببلدنا (قسنطينة) قال : دخلنا عليه بالمكان وهو رياضُه الذي بظاهر قسنطينة فوجدته بجراحات فاحشة أصابته في قتاله مع رياضُه الذي الواديين ، قال : ويزائه الفقيه الطبيب العالم أبو يعقوب بن اندراس ، وفي المجلس الطبيب

(1) هذا هو الصحيح في تاريخ وفاته كما هو مذكور في مصادر ومراجع ترجمته وهو مضبوط بلسان القلم في «عنوان الدراية» وفي هامش «الذيل والتكملة» وفاته سنة 694 مضبوطة بلسان القلم .

ابن حمزة والد القائد أبي عبد الله بن الحكيم وقد أفرعهم ما رأوا به من الجراحة ، فقال لهم السلطان الأمر قريب فيها فإن سيدي يعقوب بن عمران⁽¹⁾ وعدني أنني أموت على فراش العافية . . .

قال الحكيم: فلما افترق المجلس وجه إليّ وحدي وقال لي بلا شك إن ابن اندراس هو ابن سينا زمانه وابن حمزة أمين دارنا ، فإذا أشار ابن اندراس بشيء فتأمله ، فإني اتهمه بموالائه ابن اللحياني وكان ابن اندراس هذا إذا دخل على السلطان - رحمه الله - قرب له بيده مخدة من مخاد سريره إكراماً للعلم.

مؤلفاته :

- 1 - رجز في الطب نظم فيه بعض الأدوية أتمه ببجاية .
- 2 - نظم في الأدوية المفردة من القانون لابن سينا وكلف تلميذه الغبريني نظم بعض الأدوية على سبيل التعاون فنظم له بعضها ، قال الغبريني : «وما علمت هل استكملها بعد أم لا ؟» .

المصادر والمراجع :

- الأعلام 218/6.
- الذيل والتكملة 64/6.
- عنوان الدراية 101-102.
- الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية لابن القنفذ القسنطيني ص 163.
- معجم المؤلفين 319-318/8.

* * *

17 - الأندلسي (كان حياً سنة 1047 هـ⁽²⁾) (1637 م)

أحمد بن محمد بن عبد العزيز الأندلسي التونسي الحنفي مفتي الحنفية بتونس من رجال القرن الحادي عشر / السابع عشر .

(1) هو البيوسفي الملاري القسنطيني كان من الصلحاء وتروى له كرامات. وفي هذا العصر وقبله بمدة طويلة بدأ الانحطاط الفكري والعلمي وعلا شأن الصلحاء والمتصوفين ورجال التصوف وشاعت الخرافات وصدقت بها العقول .

(2) برنامج المكتبة الصادقية (الغبدلية) 85/3 - 263/4

مؤلفاته :

1 - رسالة في تكفير جاهل الإيمان أولها : «حمداً لمن شرع لعباده الشرائع والأحكام. وقال في الديباجة» قد التمس مني بعض الطلاب تحرير بعض الأدلة في تكفير جاهل صفة الإيمان ليعم بها الانتفاع فأجبت له لذلك». وختمها بعشر تنبيهات مهمة ، قال : «دعاني إليها عموم البلوى بتونس وإن لم يكن لها كبير مناسبة فيما نحن فيه» .
فرغ من تأليفها يوم الجمعة في شوال سنة 1047 في 71 ورقة من القطع المتوسط توجد ضمن مجموع المكتبة الوطنية بتونس .

2 - نهاية المنجلي ودرة المبتدي ، في حل ألفاظ منية المصلي وغنية المهتدي وهو شرح مبسوط علي غنية المصلي للكاشغري وافق الفراغ من تعليقه صبيحة يوم الجمعة في 8 جمادى الأول سنة 1043 وهو مجزأ إلى جزئين في مجلد واحد مشتمل على 226 ورقة من القطع المتوسط يوجد بالمكتبة الوطنية بتونس .

المرجع :

- برنامج المكتبة الصادقية (العبدلية) 263/4-85/3.

* * *

18 - الأندلسي (960 هـ) (1552 م)

علي بن إبراهيم بن أحمد بن غانم الأندلسي ، المعروف بآرياش وهو اسم أطلق عليه بالاسبانية ويسمى أيضاً بالمعجم ، نزيل تونس .

ولد بقرب غرناطة بعد خروج المسلمين من إسبانيا ، ثم خرج منها وتعاطى الجهاد في البحر ضد الاسبان وهو ما يعبر عنه تعبيراً غير صادق بالقرصنة. وتعاطيه للجهاد في البحر كان شأن كثير من الأندلسيين المهاجرين في ذلك العصر وما قاربه بعد خروج المسلمين من الأندلس .

دعي إلى تونس وعهد إليه بالدفاع عنها .

له :

العز والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بآلات الحروب والمدافع، وهو في وصف آلات الحرب على اختلاف أشكالها مع إيضاح ذلك بالرسم . منه نسخة في دار الكتب المصرية وفي

الجزائر وفي فيينا .

المراجع :

- تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان 364/3.
- المنجد في الأدب والعلوم .
- إيضاح المكنون 273/2، 424، 73/1 (في ترجمة الأندلسي علي بن إبراهيم بن أحمد). وكتابه العزّ والمنافع منه نسخة بالمكتبة الوطنية بتونس رقم 440، وحقق الجزء الأول منه سعيد بن عثمان سنة 1974 لنيل درجة الكفاءة في البحث العلمي من قسم اللغة العربية في كلية الآداب بالجامعة التونسية (لم ينشر) .
- إيضاح المكنون 147/2.
- هدية العارفين 21/1 وفيه أنه فرغ منه سنة 1048 وأنه موجود بدار الكتب كوبرلي . المؤرخون التونسيون ص 33 هامش (1).
- وثائق عن الهجرة الأندلسية الأخيرة إلى تونس بقلم عبد المجيد التركي ، حوليات الجامعة التونسية ع 4، 1967، ص 64-67.

* * *

19 - الأوسي (662 هـ) (1264 م)

محمد بن إبراهيم بن أحمد بن أبي العاصي الأنصاري الأوسي البسطي الأندلسي، أبو الجيش، نزيل تونس .
روى بالأندلس عن جماعة، وأخذ بالاسكندرية ومصر ومكة عن أعلام، ثم رجع من رحلته المشرقية فاستوطن تونس إلى أن مات بها يوم الثلاثاء في 21 صفر .
وكان مقدماً في علم النحو حافظاً للآداب، حسن المشاركة في فنون من العلم .

مؤلفاته :

- 1 - رجز في الطب .
- 2 - رجز في القراءات .
- 3 - مصنف في الآداب .
- 4 - مصنف في الوثائق .

المصدر :

- الذيل والتكملة 82/6-83.

* * *

20 - الأومي (1) (1036 هـ) (1646 م)

عبد الله المشهور بعبيد (مصغراً) ابن المنتصر بن أحمد بن عبد الواحد الأومي الصفاقسي العالم بالقراءات ، الفقيه المحقق وهو من شيوخ الشيخ أبي الحسن الكراي الوفائي نسباً وطريقة ، والشيخ المفتي أحمد الحكوموني (ت سنة 1753/1083) المدفون بروضة أبي زمعة البلوي من الجهة الغربية بمدينة القيروان .

كان دتيماً صلباً في الحق عالي الهمة حليماً صبوراً وتروى عنه حكايات في ذلك ، منها أنه كان مرة راكباً على حمار بطيء السير ولما ضجر منه قال : لولا الخوف من يوم القصاص لضربتك بهذا القرطاس ، وشى به بعض الحساد فنفي إلى المهديّة ، ثم نفي مرة أخرى إلى الحامة وتوفي ببلده صفاقس .

مؤلفاته :

- 1 - أبحاث مع محمد بن حسين الفاسي شارح الشاطبية في أوراق يسيرة .
- 2 - ترتيب أجوبة محمد بن سحنون على أسئلة محمد بن سالم على أبواب الفقه ، مع التنبيه في بعض المواضع على أرجح الأقوال في مواطن الخلاف بتشهير أو نحوه بحسب الاستطاعة لا عن كل مسألة. به نقص بعد الخطبة ونقص في آخره وفي عدة مواضع ، توجد نسخة منه بخطه الجميل ضمن مجموع بالمكتبة الوطنية بتونس (من مكتبة الشيخ علي النوري) .
- 3 - فتاوى فقهية ، غير مرتبة بها نقص كثير في أوراقها توجد بالمكتبة الوطنية .
- 4 - فرائد الفوائد في نظم جملة من العقائد نظم من بحر الرجز في 129 بيتاً فرغ منه في

(1) نسبة إلى أومة الكائنة شمالي قرية نقطة غربي صفاقس آثارها باقية إلى الآن والشائع الآن على الألسنة «اللومي» وهذا النسب يوجد أيضاً في أولاد فضة (من بطون قبيلة المثلث) القاطنين بضاحية سيدي منصور الغلام شرقي صفاقس وقد رأيت في رسوم (وثائق) الملكية الراجع تاريخها إلى القرن الماضي وبداية القرن الحالي أن العدول المؤتقين يذكرون الأومي الصفاقسي والأومي الفضي .

المحرّم سنة 1023هـ كما أفصح عن ذلك في آخره :

ووافق الختم لذا النظام بفاخ الأشهر للأعوام
بعد ثلاثة مضت للهجرة من بعد ألف ثم ضعف العشرة
توجد منه نسخة بالمكتبة الوطنية بتونس ، والغالب على الظن أنه بخط قريبه الشيخ علي
الأومي ، وعليه تعليقات وجيزة لتوضيح معاني بعض الألفاظ .

المصادر والمراجع :

- نزهة الأنظار لمحمود بن سعيد مقديش (طبعة حجرية بتونس 1321هـ) 158/2.
- مذكرات خاصة عن مكتبة الشيخ علي النوري لكاتبه (مخطوطة).

* * *

21 - الأومي (1204 هـ) (1789 م)

علي بن علي بن محمد الأومي الصفاقسي ، حسبما وقفت عليه بخط يده في إجازة
الشيخ عبد الله السوسي السكتاني المغربي له ، ووجدت بخط حفيده للبت الشيخ محمود
السيالة ما يلي : إن نسبه متصل بالشيخ عبيد الأومي ، وإن أصلهم الأول من رقاد الأومة
المجاهدين المدفونين بأرض المسعودة وهي جوفي⁽¹⁾ (شمالى) بلد نقطة⁽²⁾ غربى صفاقس وهم
المدفون معهم سيدي أبو عكازين الرقيق⁽³⁾ الذي من ذريته رقاد الحاجب ، ثم سكنوا صفاقس

- (1) الجوف بمعنى الشمال ، لفظة متداولة الاستعمال لدى المغاربة والأندلسيين .
- (2) نقطة بفتح النون والقاف المشددة والطاء قرية على ساحل البحر غربى صفاقس على بعد بضعة كيلومترات من
قرية الشفار والمصطاف ذي الشاطئ الجميل . قامت بدور هام أثناء الحرب الإيطالية الليبية إذ كانت
الإعلانات ترسل منها عن طريق البحر إلى طرابلس والمسافة بين صفاقس وطرابلس عن طريق البحر هي أقصر
مسافة من طريق البر وصفاقس من هذا الطريق (البحري) أقرب إلى طرابلس من تونس وفي هذه الفترة كان
الضباط الأتراك المرسلون إلى ليبيا ينزلون أولاً بصفاقس ثم يتوجهون من نقطة بحراً إلى طرابلس ومنهم أنور
باشا ومصطفى كمال وغيرهما ، وكان رياس السفن من أبناء جزيرة قرنة يحضرون في الموعد المحدد ويؤدون
مهمتهم بنجاح ولا ييؤحون بالسر بعد أدائها ، وفي هذه الفترة لم تبدأ إيطاليا في حصارها لطرابلس بحراً
واختيرت نقطة لهذا الغرض لأنها بعيدة عن رقابة السلط الاستعمارية وفضول جواسيسها .
- (3) هو محمد الرقيق الأدريسى الحسيني الملقب بأبي عكازين من الصالحين من رجال القرن السابع . أنظر نزهة
الأنظار لمحمود مقديش 156/2-158.

بأهلهم واستوطنوها وأخذوا العلوم من علمائها واستحكموها، ثم من علماء تونس ومصر، ثم شاخراً⁽¹⁾ بدروسها في جامع صفاقس والقصر⁽²⁾.

قرأ ببلده صفاقس ثم رحل إلى القيروان وأخذ عن الشيخ عبد الله السوسي السكتاني المغربي قبل انتقاله إلى مدينة تونس، الفقه والتوحيد والفرائض والحديث والأصول والتفسير والحساب والمنطق وأجاز إجازة مؤرخة بأوائل شهر ذي الحجة سنة 1730/1143 برواية الصحاح الستة عن شيخه خاتمة المحدثين بالحجاز أبي محمد عبد الله بن سالم البصري المكي الشافعي عام مجاورته بمكة سنة 1715/1127 عن محمد بن علاء الدين البابلي المصري إلى أن ينتهي إلى طريق المحافظ ابن حجر العسقلاني، كما أجازة برواية «رياض الصالحين» و «الأربعين النووية» و «الموطأ» و «الشفاء» للقاضي عياض و «الجامع الكبير» و «الصغير» للسيوطي و «سيرة ابن إسحاق تهذيب ابن هشام» و «الروض الأنف» للسيهلي، و «شرح النخبة» للمحافظ ابن حجر، وتفسير البغوي المعروف بـ «معالم التنزيل» و «الوسيط» للواحدي وسائر تصانيفه، وتفسير فخر الدين الرازي وتفسير القاضي البيضاوي، وتفسير «البحر المحيط» لأبي حيان الأندلسي وتفسير الجلالين والإحياء للغزالي والتذكرة للقرطبي والحكم لابن عطاء الله.

وإجازة الشيخ عبد الله بن سالم البصري للشيخ عبد الله السوسي السكتاني مؤرخة بالربيع والعشرين من ذي القعدة عام 1710/1122.

كما أجازة الشيخ عبد الله السوسي السكتاني بما تضمنته ثبته في رواية «مختصر» خليل ابن إسحاق، عن الشيخ إبراهيم بن موسى الفيومي المنشاوي المتوفى سنة 1725/1131 عن شيخه محمد الخرشبي بالسند المتصل إلى الشيخ خليل ثم ذكر عقب ذلك سنده في رواية فقه مذهب مالك إلى أن ينتهي إلى الأندلسيين والمغاربة.

وإجازة الشيخ إبراهيم بن موسى الفيومي مؤرخة في ربيع الأول سنة 1719/1131 وفي هذا الثبوت إجازة عامة من الشيخ منصور المنوفي الشافعي.

ثم ارتحل علي الأومي إلى تونس وأخذ عن علماء الزيتونة، ثم ارتحل إلى مصر وجاور بالأزهر خمس سنوات وأقرأ فيه بعض الدروس ومدحه بعض تلامذته المصريين [واقف]:

له ذهن يغوص ببحر علم فيأتي منه بالدر التنظيم
معانيه الضيا ولأجل هذا سرت ألفاظه مثل النسيم
وقال في بلده صفاقس [طويل]:

(1) تعبير عامي معناه، صاروا شيوخاً مدرسين.

(2) جامع قصر الرباط بالناحية الغربية من صفاقس وتلك الجهة كان بها قصر الرباط، انظر تاريخ صفاقس لأبي بكر عبد الكافي في ج 2 ص 21-24 (ط صفاقس سنة 1980).

تزيد على مر الزمان حلاوة صفاقس من راقته بحلو المشارب
 لها في أقاليم البلاد شوارق منزهة أقمارها عن مغارب
 وقال الشيخ محمد البنداري المصري مادحاً له ومثنياً على مجلسه بالأزهر ومتشوقاً إليه
 بعد مبارحته للأزهر [كامل]:

لم أنس أياماً لنا ولياليا سلفت وعيناً بالصريم تصرماً
 إذ نحن لم نخش الرقيب ولم نخف صرم الزمان ولا نبالي اللوما
 والعيش غرض والحواسد نوم عنا وعين البين قد كحلت عمى
 ومناهل عذبت بحسن لوامع وبحافتها الأنس جمع منعماً
 والجالسون بها شموع أزاهر يبدون في أشباح ليل أنجماً
 كنا بهم في صفو عيش وافر حتى رمت أيدي التشتت أسهما
 وتذبلت ورد الغصون وسلكه من بعد ما بالأنس كان منظماً
 والدمع منشور على منشورها والنوم من مر التجافي سيما
 وغدا الكتيب محمد البنداري في لقياً علي الأومي صبا مغرماً
 وبعث له مع الشعر رسالة ثرية طويلة .

وللمترجم له ثبت⁽¹⁾ جمع فيه إجازات شيوخ الأزهر له يامضئاتهم وأختامهم وبعضها
 مؤرخ بعام (1756/1167) وأخذ الإجازات مؤذن بانتهاء مدة الدراسة وإذا كانت مدة مجاورته
 بالأزهر خمس سنوات فإننا نستنبط أنه التحق به حوالي سنة (1751/1154).

وهذه أسماء شيوخه الأزهريين وما قرأه عليهم وما أجازوه به وتاريخ الإجازة ان ذكرها المميز :

1 - قرأ علي الشيخ محمد بن أحمد الرشيد المالك المنظومة الجزرية في التجويد وشرحها
 لشيخ الإسلام القاضي زكريا الأنصاري مرتين، ومن الشاطبية وقف حمزة وهشام علي
 الهمز، وشرحه للعلامة المرادي المعروف بابن أم قاسم، وكذلك رسالة لشيخه
 الرشيد المذكور في نفس الموضوع وقرأ عليه أيضاً ضبط الخراز «في رسم القرآن»
 ورسالة محمد بن قاسم بن إسماعيل البقري⁽²⁾ في أصول القراءات السبع⁽³⁾، كل ذلك

(1) الثبت (بفتح التاء المثناة وفتح الباء الموحدة المسفولة من بعدها) الفهرس الذي يجمع فيه المحدث مروياته
 وأشياخه كأنما أخذ من الحجة لأن أسانيد وشيوخه حجة، وقد ذكره كثير من المحدثين وقيل أنه من
 اصطلاحات المحدثين. مرتضى الزبيدي، تاج العروس 534/1.

(2) هو الشناوي الشافعي الأزهرى المقرئ الصوفي (1108-1111/1609-1699) معجم المؤلفين 136/1.

(3) اسمها «القواعد المقررة والفوائد المحررة» وتعرف بالفوائد البقرية في بيان مذهب كل واحد من القراء السبعة
 على انفراد .

بضبط وإتقان وأجازه في القراءات بالسند المتصل عن شيخه أحمد البقري إلى أن ينتهي إلى أبي عمرو عثمان الداني الأندلسي صاحب «التيسير» من طريق ابن الجزري وتاريخ الإجازة يوم الاثنين الخامس من شعبان سنة 1167 وفي آخرها مصادقة المميز بخطه وبدون ختم .

2 - وقرأ على الشيخ محمد البليدي الحسني الأندلسي ، التونسي ثم المصري⁽¹⁾ (المتوفى سنة 1763/1176) ما تيسر من صحيح البخاري والجامع الصغير للسيوطي والشمائل للترمذي والأربعين النووية والهمزية للبوصيري ، ومختصر البخاري لابن أبي حمزة ، ومختصر خليل ، وشرح كبري السنوسي وأجازه وإجازة وجيزة بخطه وبختمه . وأجازه مرة ثانية برواية العقيدة الكبرى للسنوسي وشرحها بالسند المتصل إلى تلامذة المؤلف عن شيخه عبد القادر بن عبد الواحد بن أحمد بن محمد بن يعقوب وهي إجازة عامة له ولغيره جاء فيها النص على إبتداء قراءة الكتاب وختمه «هذا وقد من علينا بقراءة العقيدة الكبرى وشرحها قراءة وتحقيق يؤمها الطالبون . . . وذلك بشهر شوال في ثلاث وستين ومائة وألف ثم الامتنان بالختم فكان ربيعاً في ربيع الثاني عام أربع وستين»⁽²⁾ . وصادق على الإجازة بخطه وختمه .

3 - وأجازه إجازة مطلقة الشيخ سالم بن محمد النفراوي⁽³⁾ المالكي الضرير المتوفى سنة 1755/1168 .

4 - ولازم مدة الشيخ محمد بن سالم الحفناوي⁽⁴⁾ الشافعي الخلوّتي (المتوفى سنة 1767/1181) وقرأ عليه ما تيسر من العلوم وأجازه بما تضمنه كتاب «الجواهر الغوالي في ذكر الأسانيد العوالي» من الكتب الثقلية والعقلية على ما أجازه به مؤلفه الشيخ محمد بن محمد بن محمد بن أحمد البديري الدميّاطي المعروف بابن الميت وبالبرهان الشامي⁽⁵⁾ (المتوفى سنة 1728/1140) ، كما أجازه في أثناء ذلك إجازة عامة بسائر ما يجوز له روايته من

(1) كان عالماً بالعربية والتفسير والقراءات والفقّه المالكي وله فيها مؤلفات .

(2) (كذا) والصواب عام أربعة وستين .

(3) كان مشهوراً بمعرفة فروع المذهب مع استحضار غريب ترجمته في شجرة النور الزكية 338 ، معجم المؤلفين 202/4 (سالم بن أحمد) .

(4) كذا بخطه في هذه الإجازة ويقال الحفني نسبة إلى حفني بفتح الحاء كسكرى من أعمال بلبيس شرقي مصر وهو شيخ مرتضى الزبيدي الذي قال عند كلامه عن الحفني «ومنها شيخنا بل شيخ الدنيا جميعاً وهو الشيخ الإمام المحدث الولي العالم أبو عبد الله محمد بن سالم الشريف القرشي رئيس الجامع الأزهر والمحل المبارك الزاهي الأنور ، وشيخ العلماء بعد شيخنا الشيخ عبد الله العالم الشبراوي الشافعي ، رحمه الله تعالى» . تاج العروس 182/6

(5) كان محدثاً مسنداً صولياً له مؤلفات في الحديث . ترجمته في الأعلام 295/7 ، فهرس الفهارس 154-155 ، معجم المؤلفين 164-165 .

معقول ومنقول والإجازة بخط المميز وختمه ومؤرخة بالتاسع والعشرين من شعبان سنة 1167 وهي موجودة في أول كتاب «الجواهر الغوالي في ذكر الأسانيد العوالي» في وجه الورقة التي بها عنوان الكتاب وهو مدرج ضمن ثبوت الإجازات وهذا الكتاب يشتمل على ثلاث وأربعين ورقة⁽¹⁾ قياس كل ورقة 15,2 x 20,5 مسطرتها 25 سطرًا فرغ منه مؤلفه في شهر ربيع الأول سنة 1137 والنسخة بخط مشرقي نسخي أتمها الناسخ في شعبان 1167.

- 5 - وقرأ على الشيخ علي بن أحمد الصعيدي العدوي⁽²⁾ (المتوفى سنة 1189/1175) العقائد النسفية بشرح سعد الدين الفتازاني وأجازه برواية صحيح البخاري بسنده كما أجازه بأسانيد في الفقه وبقية الصحاح وغيرها والأصول والمعاني وغير ذلك من العلوم . والأجزة بخط الشيخ علي الصعيدي العدوي من غير ختم ولا تاريخ .
- 6 - وسمع من الشيخ حسن بن علي بن أحمد المدابغي⁽³⁾ (المتوفى سنة 1764/1177) صحيح البخاري وغيره بالسند المتصل كما أجازه عامة في التفسير والحديث والأصول .

والإجازة بخط المميز وختمه مؤرخة بيوم الثلاثاء 20 شعبان 1167.

- 7 - وأخذ عن الشيخ أحمد بن عبد النعم الدمهوري الملقب بالمذاهبي لعلمه بالمذاهب الأربعة والعالم الرياضي وشيخ الأزهر فيما بعد⁽⁴⁾ (المتوفى سنة 1192/1778) شرحه على منظومة درة التوحيد وشرحه على السمرقندية في الاستعارات وشرحه على السلم في المنطق، وشرح عبد السلام اللقاني على جوهرة التوحيد، وشرح الخبيصي على التهذيب في المنطق وسلم المنار في علم الزيج ورفائق الحقائق في حساب الدرج والدقائق في علم حساب الزيج، والبداية في الحكمة وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك وشرح دلائل الخيرات، وغير ذلك من الكتب .

وأجازه بها وبغيرها من الكتب إجازة عامة بخطه وختمه في 21 شعبان 1167.

- 8 - وقرأ على الشيخ حسين بن محمد المحلي الشافعي (المتوفى سنة 1170/1757) الفرائض

(1) قال عبد الحي الكتاني في فهرس الفهارس 1/154 «في نحو ستة كراريس وهو عندي بأخوه إجازة مؤلفه للشمس محمد بن سالم الحفني» .

(2) كان عالمًا محققًا له هوامش عديدة عامة كتب في مصطلح الحديث والفقه والمنطق ترجمته في الاعلام 15/5، سلك الدرر 206/3، شجرة النور الزكية 341-342، معجم المؤلفين 7/29-30 .

(3) عرف بالمدابغي لسكناه بحارة المدابغ بمصر، وكان أحد الممرين المشهورين بعلو الإسناد له مؤلفات في القراءات والحديث والفقه. والاعلام 2/223، تاج العروس 8/2، 8/6، معجم المؤلفين 248.

(4) ترجمته في الاعلام 1/58؛ معجم المؤلفين 1/303.

والحساب والجبر والمقابلة، ولازمه في دراسة الكتب في هذه العلوم كشرح منية الحساب لابن غازي ومقدمة القلصادي وبعض كتب ابن الهائم كالنزهة، والوسيلة، وبعض مؤلفات المجيز، كشرح الجدول وشرح المنظومة الشناوية.

وأجازه بجميع ما تلقاه منه وبغيره وبجميع ما رواه وقرأه رواية ودراية، وما تلقاه عن أشياخه مشافهة وإجازة، والإجازة بخط المجيز وختمه بتاريخ عام 1167.

وقبل الإجازة، كتب له شيخه المحلي رسالته المسماة «بالدر اللطيف في بيان أقسام الحديث الضعيف» التي فرغ من كتابتها في شعبان 1167 وهي رسالة صغيرة في ست ورقات تندرج ضمن الإجازة العامة.

9 - وأجازه برواية صحيح البخاري سليمان العزيزي الشافعي الشهير بالزيات بأسانيده عن مشايخه وبيقمة مروياته من السنن وغيرها إجازة عامة مصادقاً عليها بختمه من غير تاريخ وهي آخر ما وجد بهذا الثبوت من الإجازات، وحبذا لو يتوفق بعض الباحثين لنشره مصوراً مع تعليقات لأن له قيمة فنية لوجود خطوط العلماء به، وبعض هذه الخطوط نادر الوجود، ولما له من قيمة في تاريخ العلم والدراسات أواخر القرن الثاني عشر الهجري.

ويبدو أن بعض مشايخه لم يجزه ولم يدرج إجازتهم في هذا الثبوت لأن تلميذه الشيخ محمود مقديش⁽¹⁾ ذكر من بين مشايخه الأزهرين علي بن الخضر العمروسي⁽²⁾ شارح مختصر خليل والعالم الرياضي حسن الجبرتي والد المؤرخ عبد الرحمان.

ولما امتلأ وطابه وأشبع نهمه من المعرفة رجع إلى بلده مصحوباً بمكتبة نفيسة استعان بها على بث العلوم وتحقيقها فكان في دروسه الفقهية واللغوية وغيرها يستحضر ما يمكن استحضاره من المصادر المهمة بحيث أنه كان لا يقرأ إلا بتحقيق واطلاع ولما رجع لبلده انتصب للتدريس بجامعة الكبير وأقرأ العلوم الشرعية واللغوية والرياضية وتخرج به جماعة كالشيخ محمود بن سعيد مقديش الذي شاركه في شيوخه التونسيين والمصريين، والطبيب الشرفي، وعبد الرحمان بكار، ومحمد الزواري ومحمد المصمودي، والشعراء الثلاثة: إبراهيم الخراط وعلي ديب وعلي الغراب وابنه أحمد.

وقد أثنى محمود مقديش على مكانته العلمية، وتنوع معارفه بقوله: «كان - رحمه الله - إماماً، في المعمول والمنقول، حاملاً من العلوم الشرعية الأصول وفروعها، والأحاديث وعلومها والتفاسير وفنونها، وطرق القراءات والتجويد وجوهرها والعلوم الأدبية العربية ظاهرها ومكنونها، ومن علوم الرياضة منطقاً وحساباً وهندسة ومساحة وهيئة وميقات بكنوزها ومن

(1) نزهة الأنظار 197/2-198.

(2) (ت سنة 1760/1173) كان فقيهاً متكلماً، له مؤلفات أخرى عدا شرحه لمختصر خليل.

دقائق الحكمة* مفتاح كنوزها⁽¹⁾.

واستمر مثابراً بجهد على التدريس والإفادة إلى أن لحق بربه في جمادى الأولى سنة 1789/1204.

وكان - رحمه الله - عفيفاً دنيئاً بعيداً عن مواطن الشبهات ، مائلاً إلى العزلة ، غير راغب في تولي المناصب مثل القضاء ، قال الشيخ محمود مقديش : « وكان - رحمه الله - ذا همة وعفة وصيانة قد سدّ أبواب الطمع عن جميع الخلق في متاع الدنيا وارتفع عن المناصب كلها ، طلبه أهل بلده في تولي القضاء فأبى ، فكتبوا فيه وثيقة بأنه اللائق بنا فأبطل جميع ما عملوه فولّوا الشيخ كمون.

ولما احتفى من القضاء ألزمه التدريس في الجامع الأعظم فأسغفهم وجعلوا له مرتباً يستعين به من المجابي المخزنية فأبى أن يقبله فلقبه شيخنا بوعصيدة⁽²⁾ وقال «مالك امتنعت من المرتب وهو إعانة؟». فقال : «هو من المجابي وأكثرها ظلم، وكل لحم نبت من حرام فالنار أولى به»⁽³⁾. فبأسطه وقال له : «خذته فحماً واجعله تحت القدر» فقال : «هو استعانة والاستعانة لا تكون إلا بالله وما أذن الله فيه» فجعلوا له من الجزية فرضيه ، وكذا جعل له شيء من زكاة الحبوب يقناته هو ورياله وكان صابراً على الشدائد حتى وسّع الله عليه بالكفاف ، وكان مائلاً إلى الخمول جداً ولا يصلي إماماً إلا في مسجد مهجور احتساباً فسألناه عن ذلك فقال : «الإحياء بيت من بيوت الله هجره الناس لقله ما يعود عليهم فيه من الدنيا». ولا يعرف للأمرء أباً ولو للشفاعة لأن الزمان قد فسد ، وبطل عند أهله شفاعت الشافعين فوقوف⁽⁴⁾ العالم على أبوابهم لا فائدة فيه فلذا نبذهم ظهرياً ، وجعلهم نسياً منسياً ، والتحدث بهم شيئاً فرياً .

وكان أولاً قد تحمل بعض الشهادات ، فلما كثر⁽⁵⁾ طغيان العامة على بعض المنتصين لعمل الشهادة أعرض عن ذلك تعففاً وتكرماً . . . وكان ممن سلم⁽⁶⁾ المسلمون من لسانه ويده ، كثير الانجماع في بيته لا يخرج إلا لدرس يقرؤه أو لزيارة الصالحين والأقرين⁽⁷⁾.

(1) زهة الأنظار 197/2 198.

(2) هو رمضان بوعصيدة من تلامذة الشيخ علي النوري (ت بعد سنة 1757/1170) كان مقرناً مفسراً واعظاً أديباً شاعراً كفيف البصر. أنظر زهة الأنظار 170-169/2، شجرة النور الزكية 346-347.

(3) يشير إلى الحديث الشريف: كل لحم -وفي رواية كل جسد- نبت من سحت فالنار أولى به. رواه أبو نعيم الأصبهاني في «حلية الأولياء» 31/1 عن أبي بكر الصديق ، والطبراني في الكبير ، وفي سند الحديث عبد الواحد بن واصل ، وأورده الذهبي في «الضعفاء» وقال : ضعفه الأزدي ، وعبد الرحمان بن زيد ، قال البخاري والنسائي : متروك ، انظر فيض القدير للمناوي 17/5-18.

(4) في الأصل بوقوف .

(5) في الأصل طغنى .

(6) في الأصل من أسلم .

(7) زهة الأنظار 198/2.

ولما ختم كتاب تلخيص المفتاح في البلاغة لجلال الدين القزويني بشرح السعد التفتازاني نظم بهذه المناسبة تلميذه علي الغراب قصيدة - حسب العادة المتبعة في ذلك العصر وبعده - أثنى فيها على مواهبه العلمية وعلى خصاله وأخلاقه فقال: [كامل].

خذ من فنون العلم كل عويص
سيعلم يعلي قدر كل رخيص⁽¹⁾
قدراً وأشرفها على التخصيص
إذ كان إيضاحاً لها وملخصاً

ومنها:

لكن إذا ما كنت آخذه على
أعني أبا الحسن علي من غدا
هو من بمضمار البلاغة قد حوى
أما العلوم فإنه لرميمها
وملخص المعنى إذا أبدى الخفا
ومتى أراد الوصل معنى معرض
جمع الفضائل كلها فإكرم به
ما عيب شيء منه إلا أنه
فدؤو الفضائل حين يذكر فضله
لا نخير فيمن راح ينكر فضله
بيت العفاف منزه ذو همة
لا زال من بحر الجزالة والهدى
وفي علوم الدين والدنيا اغتدى
وكفاه في الدارين ما من شأنه

مؤلفاته :

له مؤلفات انفرادية بذكرها حفيده للبت الشيخ محمود السبالة وهي :

- (1) القصيدة في ديوان علي الغراب، تحقيق محمد الهادي المطوي وعمر بن سالم (ط الدار التونسية للنشر) (1973) 153-156 والأبيات الخاصة بمدح الشيخ علي الأومي في ص 154-155 وقد اعتمدت على الديوان في رواية الأبيات، وفي تفسير بعض الألفاظ من صنع المحققين في الهامش؛ والقصيدة مثبتة أيضاً في نزهة الأنظار 199/2-200.
- (2) تزيين التاج بصفائح الذهب.
- (3) في الديوان ص 154 «اللومي» وفي نزهة الأنظار 199/2 «الأومي».
- (4) التقريرص: التنكيت بالكلام والقرص باللسان.
- (5) هو التقريرص قلب الشاعر سينها صاداً للقافية.

- 1 - تقييد وجيز على مقامات الحريري ينتهي بشرح المقامة الرابعة والعشرين ، وهو بخطه على الراجح عندي بعد المقارنة بنماذج من خطه في 12 ورقة من القطع الربعي ، والنسخة خالية من ذكر اسم المؤلف . وتوجد نسخة أخرى في 10 ورقات ناقصة من آخرها والنسختان موجودتان بالمكتبة الوطنية في تونس .
- 2 - رسائل في التجويد .
- 3 - رسائل في التوحيد .
- 4 - رسائل في الفقه .
- 5 - رسائل في الحساب والهيئة .
- 6 - حاشية على رجز أبي مرقع⁽¹⁾ في الفلك .
- 7 - شرح على فرائد الفوائد في نظم جملة من العقائد من نظم قريبه عبيد بن المنتصر الأومي ، بخط يده ، وهو عبارة عن تعليقات وجيزة لتوضيح معاني بعض الألفاظ ، يوجد بالمكتبة الوطنية .

المصادر والمراجع :

- ثبت الشيخ عبد الله السوسي السكتاني وفيه إجازته بخطه للشيخ علي الأومي ، وهو بخط الشيخ علي الأومي مخطوط في المكتبة الوطنية بتونس .
- ثبت في إجازات الشيخ الأزهرين لعلي الأومي ، مخطوط في المكتبة الوطنية .
- شجرة النور الزكية 634 .
- نزهة الأنظار [423/2-429 من طبعة دار الغرب الإسلامي تحقيق علي الزواري ومحمد محفوظ . بيروت 1988] . ورقة مسودة بخط الشيخ محمود السيالة محفوظة الآن في المكتبة الوطنية في تراث محمود السيالة .
- مذكرات خاصة عن مكتبة الشيخ علي النوري لكاتبه (مخطوطة) .

* * *

(1) أبو مرقع هو أبو محمد عبد الحق بن علي البطوي ، وسمي أبا مرقع لأنه لا يفارق المرقع في أسفاره غالباً كما جرت به عادة أهل البوادي بذلك ولا شك أن نظمه - رحمه الله - طويلاً جداً مع قلة مسأله وكثرة التكرار فيه (مقدمة الممتع في شرح المقنع نظم أبي مرقع) ، تأليف محمد بن سعيد الميرغني السوسي المتوفى سنة 1679/1090 وهو شرحه الكبير على نظمه المقنع المختصر من رجز أبي مرقع .

حرف الباء

22 - الباجي (. . . 1024 هـ) (. . . 1605 م)

محمد التواتي الباجي أبو عبد الله .

له : الخبر عن معرفة عجائب البشر وهو مجموعة حكايات توجد في المتحف البريطاني .

المرجع :

- تاريخ آداب اللغة العربية لمرجي زيدان 304/3 .

* * *

23 - الباجي (حوالي 1105⁽¹⁾ - حوالي 1184 هـ) (1693 - 1771 م)

محمد الصغير بن يوسف الباجي كاورغلي⁽²⁾ أقام بباجة معظم حياته ، وعاصر أربعة من البايات الأولين وكان صبايحيا .

حضر ثورة علي باشا الأول عن عمه حسين بن علي باي مؤسس دولة البايات واستيلائه على مقاليد السلطة ، التي انتهت بقتله . وشاهد دخول الجيش الجزائري إلى تونس وقد وصف كل ذلك في كتابه المشرع الملكي ، ولما عادت السلم ، واستقرت الأوضاع قفل راجعاً إلى باجة فانقطع للدرس وتخلّى عن وظيفته ، وكان عالماً . تحريراً موقراً عند الأمراء والعامّة .

تأليفه :

1 - التكميل المشفي للخليل ، يوجد بالمكتبة الوطنية بتونس .

(1) قلّدت في تاريخ المولد والوفاة الأستاذ أحمد عبد السلام .

(2) من كان أبوه تركياً وأمه من أبناء البلاد .

2 - المشرع الملكي في سلطنة أولاد علي تركي . دون في هذا الكتاب ما شاهده من أحداث ، وتناول الكتاب تاريخ الفترة الممتدة من سنة 1705 إلى سنة 1771 ، وقد عاصر المؤلف أحداثاً مليئة بالاضطرابات والانتفاضات . إذ إن الفترة التي عاشها وقعت فيها ثورة علي باشا على عمه و[تم] استيلائه على الحكم ، وحكى تفاصيل الثورة وتقلب علي باشا بين الهزيمة والنصر ، وما ارتكبه من مظالم ونهب وتكبر لمن عاونه في ساعه الخرج من رؤساء القبائل ، ثم القضاء على دولة علي باشا باستيلاء ابني علي بن حسين باي علي الملك بمعاونة جيش الجزائريين .

وهذا الكتاب نقله إلى الفرنسية محمد الأصرم (ت سنة 1925/1343) وفيكتور سار (Victor Serres) طبع بتونس سنة 1900 ولم يتحر المترجمان في ترجمتها غاية التحري . ومن غرائب الأشياء إثر نقل الكتاب قل وجود نسخ من الأصل العربي ، ويقال إن جميع نسخه أبيدت عمداً .

والكتاب في مجلد من القطع الكبير ، 3 نسخ بالمكتبة الوطنية بتونس .

المراجع:

- فهرس مخطوطات المكتبة الأحمدية لعبد الحفيظ منصور (ط بيروت) ص 400-401.
- محمد البشروش مجلة الباحث عدد 4 السلسلة الجديدة ، رجب 1363 جويلية 1944 ص 6.
- مصطفى زيس مجلة الباحث عدد 88 السلسلة الجديدة ، رجب 1366 ماي 1947 .
- المؤرخون التونسيون . . . (بالفرنسية) الأستاذ أحمد عبد السلام ص 243-251.

* * *

24 - ابن باديس (398 - 454 هـ) (1008 - 1062 م)

العز بن باديس بن منصور الزيري الصنهاجي ، من أشهر أمراء الدولة الزيرية الصنهاجية بافريقية . ولد بالمنصورية (قرب القيروان) وتولى الإمارة بعد وفاة أبيه سنة 1016/406 ونشأ نشأة علمية صالحة بين علماء المالكية فانطبع في ذهنه منذ صغره نعض مذهب الفاطميين الباطني الإسماعيلي إلى أن جرفه التيار الشعبي للإيقاع بصنائع الفاطميين وأتباع مذهبهم وإعلان الانفصال عن الخلافة الفاطمية وإعلان التبعية للخلافة العباسية ، فديرت الدولة الفاطمية الوسيلة المجرمة لتأديبه بإرسال فلتاء أعراب الصعيد من بني هلال وسليم الذين أتوا على الأخضر واليابس ، وخزبوا معالم الحضارة والعمران ، وارتكبوا من الفظائع ما تكفلت كتب التاريخ بتفصيله ، ولا مزية لهؤلاء الأعراب إلا أنهم أشاعوا اللسان العربي على نطاق

واسع بالبلاد حتى أن القبائل البربرية تعربت . يعزى للمعز بن باديس تأليف «عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب» نسبة له بروكلمان⁽¹⁾، وهو تأليف في صفة الحبر والأقلام والخط ، يوجد بدار الكتب المصرية ومكتبة غوطا بألمانيا .

ونسب له البغدادي⁽²⁾ منظومة سينية تسمى «النفحات القدسية في تراجم مشايخ الصوفية» ويرد هذا أن المعز لم يعرف بعطفه على الصوفية ، والصحيح أن النفحات القدسية من نظم أبي علي حسن بن أبي القاسم بن باديس القسنطيني⁽³⁾ (ت سنة 1385/787) نظمها بعد اتصاله بالحافظ صلاح الدين العلائي في القدس وإعارته له كتاب «روض المناظر في مناقب الشيخ عبد القادر» كما صرح بذلك في خطبة «النفحات الأنسية» ولح له في «النفحات القدسية» ونظم القصيدة بعد مبارحته للقدس الشريف ورحلته إلى مصر .

المراجع :

- الأعلام 186/6.
- جرجي زيدان تاريخ آداب اللغة العربية 133/3.
- مرآة التاريخ التونسي ، فصل بقلم عثمان الكماك منشور «بتقويم تونس» تونس 1946 مطبعة الإرادة ص 54.
- معجم المؤلفين 308/12.
- تاريخ آداب اللغة العربية 33/4.

* * *

25 - البارودي (نحو 1199 هـ⁽⁴⁾) (1784 م)

حسين البارودي الحنفي التونسي أبو عبد الله ، تولى خطة الإفتاء ، له رسالة رد بها على رسالة لطف الله الأزميري فيمن أفسد الركعتين الأخيرتين ، ورد عليه لطف الله برسالة ، وأعاد البارودي الرد عليه برسالة أخرى . وهذه الرسالة توجد ضمن مجموع المكتبة الوطنية - ولطف الله الأزميري من علماء تركيا ، زار تونس وأقام بها مدة ، واتصل بعلمائها وكانت له معهم مجالس

-
- (1) الملحق 473/1.
 - (2) هدية العارفين 165/2.
 - (3) تولى قضاء الجماعة بتونس في سنة 778 هـ بعد وفاة أبي العباس أحمد بن محمد بن قاسم بن محمد بن حيدرة (تاريخ الدولتين ص94) وقسنطينة كانت تابعة للبلاد التونسية في العصر الحفصي وجعل وفاته في هذه السنة ابن قنفل في «الوفيات» وهو شيخه وابن بلدته وفي تاريخ الدولتين ص96 وفاته سنة 781 وابن قنفل أعرف بهذا من غيره .
 - (4) في هذا التاريخ توفي الشيخ عبد اللطيف الطوير ، شاعر القيروان وباش مفتيها والمترجم له معاصر له ، أنظر عنوان الأريب 41/2.

مذاكرة ومناظرة ، واقترح على بعضهم تأليف رسائل ، وألف هو رسائل وردوداً على غيره .

المراجع :

- برنامج المكتبة الصادقية (العدلية) 136/4 .
- الأعلام 70-269/7 (ط/5) - هدية - العارفين 465/2 .

* * *

26 - البارودي (1304 هـ) (1887 م)

محمد بن أحمد البارودي الحنفي التونسي ، كان الإمام الأول بجامعة باردو (حيث يوجد قصر البايات بضواحي تونس وهو مقر مجلس الأمة الآن) ، من علماء القراءات فقيه .

توفي في 27 شعبان / 22 ماي .

له «تعليم القاري» كتاب في قواعد التجويد ، فرغ منه يوم السبت على الساعة الحادية عشرة في 25⁽¹⁾ جمادى الأولى 1293/19 جوان 1876 ثم طبعه بالمطبعة التونسية الرسمية في آخر رجب سنة 1294/1 أوت 1878 في 48ص من القطع الصغير . قال في أوله : «قد وجدت أحكام التجويد متفرقة في كتب عديدة فأردت جمع ما تفرق منها في كتاب رتبته على مقدمة وخمسة عشر باباً وخاتمة ، فالمقدمة فيما يجب على القارئ أن يعلمه ، والخاتمة في تحسين الصوت بالقرآن» . وهو كتاب مفيد للمبتدئين . وعلى ظهر نسخة مخطوطة منه تقيظ لكبير أهل الشورى المالكية الشيخ محمد الشاذلي بن صالح (ت 1308/1890) .

المراجع :

- برنامج المكتبة العدلية 138-139/1 ، 263/2 .
- معجم المطبوعات 513 .
- معجم المؤلفين 243/8 .
- هدية العارفين 385/2 .
- محمد بن الخوجة : المجلة الزيتونية ، م 4 ، فيفري 41 رقم 49 .
- J. Quemeneur, Publications de l'Imprimerie Officielle tunisienne, in revue Ibla, No. 98, p. 164, No. 55.

* * *

(1) في برنامج المكتبة العدلية : 15 جمادى الأولى .

27 - البارودي (. . . - 1216 هـ) (. . . - 1801 م)

محمد ابن الشيخ المفتي حسين البارودي ، الفقيه المجرد . أخذ العلم عن والده وحمودة بن محمود ، ومحمد الدرناوي ، وأحمد السويسي إمام النحو في عصره ، وأتقن التجويد عن والده وحمودة إدريس .

درس بالشماعية نيابة عن والده في حياته ، واستقلالا بعد وفاته ، وولي خطة الإفتاء .

توفي ضحى يوم الثلاثاء 16 ربيع الأول 28/1216 جويلية 1881 .

له رسالة في مسائل الحيطان قرظها له محمد بيرم الثاني .

المصدر :

- إتخاف أهل الزمان 40/7 .

* * *

28 - الباروني (من رجال القرن العاشر هـ) (16 م)

محمد بن زكربا الباروني⁽¹⁾ الحبري الأباضي .

مؤلفاته :

1 - نسبة الدين طبعة حجرية بقسنطينة سنة 1301 هـ .

2 - طبقات الأباضية .

3 - رسالة في حملة النصارى على جربة سنة 1574/916 ملحقه بكتاب «مؤنس الأحبة» .

المرجع :

- نظام العزابة عند الأباضية الوهية في جربة ، للأستاذ فرحات الجمعييري (ط تونس 1975) ص 345 .

* * *

(1) أسرة الباروني أصلها من جبل نفوسة (بليبيا) وهي موجودة به إلى الآن ، ومنها العالم الزعيم سليمان باشا الباروني ، وهاجر فرع منها إلى جربة . ومن الملاحظ أن كثيراً من أسر جبل نفوسة هاجرت إلى جربة كالباروني والشتاخي ، والجادوي ومثل هذه الأسر موجودة إلى الآن في المكنين . ويمكن للملاحظ معرفة الأصل بتتبع القسمات البشرية فالأمموزج الحبري يميل غالباً إلى القصر مثل أمموزج وادي ميزاب ، والجبالية يميلون إلى الطول وقوة البنية ، وبعض الأسر الجربية هاجرت إلى نفوسة .

29 - البجائي (. . . نحو 689 هـ) (1282 - 1291 م)

عبد الوهاب بن يوسف بن عبد القادر البجائي أبو محمد ، نزيل تونس ، الفقيه المتفتن ، له علم بأصول الفقه ، وأصول الدين (علم الكلام) ومعرفة بالحكمة (الفلسفة) وبراعة في المنطق خصوصاً على طريقة المتأخرين ، ولم يكن في وقته أعلم منه «بكشف الأسرار» الذي وضعه الخونجي في علم المنطق ، وهو أعلم به من واضعه .

رحل إلى بلاد المشرق وأخذ عن أعلام ، وسمع جملة من كتب الحديث سمع عليه ابن رشيد كتاب «التلقيين» في الفقه المالكي للقاضي عبد الوهاب و «معالم أصول الفقه» للفخر الرازي ، و «الموطأ» برواية يحيى بن يحيى الليثي الأندلسي وكانت له معه محاورات .

تولى قضاء عدة بلدان بتونس كتوزر وقفصة وغيرهما . قال الغبريني : «وكان مع هذا غير موفى الحظ ، وإنما حظّه أن يكون له التقدم على أكابر وقته وأفاضل أهل عصره ولكن الحظوظ لا تجري على العقول» .

له اختصار شرح ابن التلمساني لمعالم فخر الدين الرازي في أصول الفقه .

المصادر والمراجع :

- عنوان الدراية ص204.
- محمد الحبيب بن الحوجة : الحياة الثقافية بأفريقية صدر الدولة الحفصية النشرة العلمية للكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين السنة الرابعة العدد 4 ، 1976-77 ص 65-66.

* * *

30 - البجائي (كان حياً حوالي 848 هـ) (1442 م)

علي بن الشيخ الفقيه الصوفي عبد الرحمان البجائي ، من أعلام الصوفية ، اتصل بالشيخ الصوفي أبي المواهب فتح الله الخوارزمي الشهير بالعجمي نزيل تونس⁽¹⁾ .

له شرح لرسالة الشيخ عبد العزيز المهدي المسماة «محجة القاصدين وحجة الوافدين المقيدة عن الشيخ عبد العزيز المهدي» .

(1) توفي بتونس في شوال 1442/847 ودفن بزاويتته التي توفي بها قرب جبل الجلود . إتخاف أهل الزمان 88/1 ، تاريخ الدولتين 125 ، الضوء اللامع 127/6 ، وربما كان تأليف هذا الشرح قبل وفاة فتح الله العجمي بنحو عامين .

شرح هذه الرسالة ورتبها بأمر من شيخه فتح الله العجمي وأتم الشرح في حياة شيخه المذكور .

بخزانتني نسخة من هذا الشرح نسخها عبد العزيز بن أبي بكر بن محمد بن يس المغربي المصمودي الجزولي ، وتمت مقابلتها في محرم 1154 هـ وأفادني صديقنا الشيخ الأستاذ محمد الصادق بسيس - رحمه الله - أن بمكتبة العلامة الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور نسخة منه وقد استعار النسختين وقابل بينهما ، وقد حدثني أنه يعدّ دراسة مطولة عن الشيخ عبد العزيز المهدي وقد بقيت نسختي عنده ما يقرب من خمس سنوات ، وأرجعها قبل وفاته بنحو أربعة أشهر .

* * *

31 - البجائي (كان حياً سنة 1025 هـ) (1616 م)

أبو القاسم⁽¹⁾ بن محمد البجائي التونسي ، من فقهاء الحنفية ومحدثيهم بتونس . كان خطيباً بجامع الخطبة خارج باب الجزيرة ، ولما بعثت السلطنة العثمانية⁽²⁾ عليا الجزائري قاضياً بتونس طلب فقيهيْن لمصاحبتِه ومذاكرته ، فأرسل إليه صاحب الترجمة والشيخ محمد براو⁽³⁾ فكان يفضل المترجم له على رفيقه ، وكان من جملة الآخذين على الشيخ أحمد أفندي التركي عند وروده إلى تونس .

(1) بخط يده بلقاسم ، وهو الشائع على الأكنسة إلى الآن (بالقاف المعقدة) وهو سائغ في العربية كما في بلحارث عوضاً عن ابن الحارث .

(2) لما فتح الأتراك تونس كانوا يرسلون من بلادهم قاضياً حنفياً إلى تونس يقع تبديله في كل ثلاث سنوات بقاضٍ تركي جديد ، واتبعت الدولة العثمانية هذا الأسلوب في أقطار العالم العربي الأخرى التي فتحتها . وأول قاضٍ تركي بتونس هو حسين أفندي ، عيّنه سنان باشا بعد الفتح ، ولما تولى القضاء علي أفندي الجزائري من أبناء الترك بالجزائر طلب نائباً مالكيّاً ، ووقع اختياره على الشيخ ساسي نوبنة ومن ذلك التاريخ أحدثت خطة نائب مالكي وأول من تولى خطة قاضٍ حنفي بالحاضرة الشيخ محمد قارة خوجة المعروف بهرناز النحدر من أصل تركي والمقتول سنة 1663/1084 على أنهم لم يجعلوها قاعدة مطردة إلا ابتداء من عهد علي باشا الأول فإنه أنف أن تكون ولاية قاضي الحاضرة بغير اختياره وتعلل بأن أغلب سكان البلاد من العرب ولا يحسنون اللغة التركية فهم لا يفهمون ما يقوله القاضي التركي ولا هو بدوره يفهم ما يقولون ولا هو عليم بأخلاقهم وأحوالهم ، ومعرفة ذلك من شروط القاضي فعند ذلك فوّض له الباب العالي اختيار القاضي من علماء الحنفية بتونس ، فكان أول قاضي حنفي تولى القضاء باختيار الباي هو الشيخ أحمد الطرودي سنة 1647/1157 ثم الحق به قاضي على المذهب المالكي وأول من تولى قضاء المذهب المالكي بالاستقلال هو الشيخ محمد سعادة المنستيري .

- محمد بن الخوجة: المجلة الزيتونية م 3 ج 5 ماي 1939 ص 34-35.

- ذيل بشائر أهل الإيمان (ط/1) 74-75-78.

(3) كان إمام النحو في زمانه وكان موجوداً في أيام يوسف داي ، ذيل بشائر أهل الإيمان [ص 91] ص 167 من طبعة الدار العربية للكتاب بتحقيق الطاهر المعموري تونس د.ت. . .

مؤلفاته :

- 1 - شرح على الخرجية في العروض .
- 2 - شرح مختصر على شواهد شذور الذهب لابن هشام .
- 3 - شرح مطول على شواهد⁽¹⁾ شذور الذهب منه نسختان بالمكتبة الوطنية بتونس .
- 4 - شرح شواهد القطر . منه نسخة بالمكتبة الوطنية .

المصادر والمراجع :

- ذيل بشائر أهل الإيمان لحسين خوجة [ص 197 رقم 69 من طبعة الطاهر المعموري] .
- فهرس مخطوطات المكتبة الأحمدية ص 287-288.

* * *

ابن البراء = التنوخي

32 - البراذعي (. . . نحو 400 هـ⁽²⁾) (1010 م)

خلف بن أبي القاسم الأزدي ، المعروف بالبراذعي ، أبو سعيد وأبو القاسم ، من كبار فقهاء المالكية بالقيروان .

أخذ عن ابن أبي زيد ، والقاسبي ، وأبي بكر هبة الله بن أبي عقبة ، وعنه صحح المدونة وهو صححها عن جبلة بن حمود الصدي عن الإمام سحنون .

وقد نqm عليه فقهاء القيروان صلته بملوك العبيديين ، وكانت تأتيه هداياهم ، وألف كتاباً في تصحيح نسبهم ، وزادت النqمة عليه امتداداً عندما وجدوا بخطه الثناء على بني عبيد متمثلاً ببيت الخطيئة⁽³⁾ .

(1) وجدت في آخر مجموع في النحو بخط الشيخ أبي الحسن الكراي ، ما نصه : «يقول عبد الله أقل عبيده بلقاسم بن محمد البجائي ، هذا آخر هذا الشرح المبارك ، وهو ثاني شرح لي على الشواهد ، وهذا أطول من الأول وأكثر إبحاً وقد فرغت من تأليفه أوائل شؤال عام خمسة وعشرين وألف» .

بعده بسطور «انتهى من كتاب نسخ بخط مؤلفه وجامعه... وكان الفراغ منه يوم الجمعة أواخر صفر عام ستة وثلاثين بعد الألف» .

(2) تاريخ وفاته غير معروف كما أنه لا يعرف هل مات بصقلية أو بالقيروان ، قال القاضي عياض : «ولم يبلغني وقت وفاته» وذكره بعد الليدي وطبقته فهو من رجال الطبقة الثامنة .

(3) ديوانه ص 30.

أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا وأفتى فقهاء القيروان بطرح كتبه وعدم قراءتها ورفضوا في «التهذيب» لاشتهار مسأله وإزاء هذه المضايقة والمقاومة من فقهاء القيروان ، وسقوط منزلته اضطر إلى الهجرة إلى صقلية وحصلت له حظوة عند أميرها وهناك ألف بعض كتبه وانكب الناس في صقلية على دراسة كتابه «التهذيب» .

ومن الطبيعي أن يتصدى فقهاء القيروان إلى مقاومة البرازعي لصلته بالعبديين وقبوله عطاياهم وثنائه عليهم وتأليفه كتاباً في تصحيح نسبهم ، إذ أن العبديين اضطهدوا فقهاء المالكية محاولين حملهم على اعتناق مذهبهم الخبيث بالسجن والضرب والقتل وسد أبواب الرزق ، وآل الأمر إلى اشتباك دموي ومساهمة في حمل السلاح في عهد ثورة أبي يزيد الخارجي ، اضطرب بعدها العبديون إلى التخفيف من اضطهادهم وظلمهم وغطرستهم .

مؤلفاته :

- 1 - اختصار الواضحة . أصل الكتاب لعبد الملك بن حبيب الأندلسي ت سنة 846/232 وكتابه يعتبر من أمهات المذهب .
 - 2 - التمهيد لمسائل المدونة ، أغار فيه على اختصار ابن أبي زيد وزياداته ، وقيل أنه لم يزد فيه أكثر من الصدر .
 - 3 - التهذيب في اختصار المدونة ، اتبع فيه طريقة اختصار ابن أبي زيد إلا أنه ساقه على نسق المدونة ، وحذف زيادات ابن أبي زيد .
- وفي نسخة عتيقة من التهذيب من أحباس خزانة قسنطينة أو الجزائر ذكر البرازعي في أولها أنه روى المدونة عن أبي بكر محمد بن أبي عقبة ، عن جبلة بن حمود ، عن سحنون ، وأنه فرغ من تأليفه سنة 372 اثنتين وسبعين وثلاثمائة .
- وآلف عبد الحق محمد بن هارون الصقلي⁽¹⁾ كتاباً انتقد فيه أشياء على البرازعي من أجل عدم اتباع ألفاظ المدونة ، وما تسبب فيه الاختصار من إحالة الألفاظ عن معناها الأصلي ، ودافع عنه القاضي عياض بأنه كان متبعاً لنقل ابن أبي زيد .
- وكان على هذا الكتاب المعول عند المغاربة والأندلسيين . قال الشيخ الحجوي⁽²⁾ : «وقد حصل الإقبال عليه شرقاً وغرباً دراسة وشرحاً وتعليقاً واختصاراً من أئمة المالكية بالأندلس

(1) توفي بالاسكندرية سنة 1074/466 .

(2) الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي 45/4 .

والمغرب وتركوا به المدونة ومختصراتها وشغل دوراً مهماً قبل ظهور مختصر ابن الحاجب الفرعي» .

واشتهر هذا التأليف في حياته وقدره حتى أعداؤه توجد منه ثلاث نسخ بالمكتبة الوطنية، ويوجد بمكتبة القرويين بفاس وهو مطبوع باسم المدونة .

4 - كتاب الشرح والتمامات لمسائل المدونة جلب في كلام المتأخرين من الشيوخ .

5 - كتاب تصحيح نسب بني عبيد⁽¹⁾ .

المصادر والمراجع :

- الأعلام 360-359/2، وفيه : «ثم رحل إلى أصبهان فكان يدرس فيها الأدب إلى أن توفي ، نقلاً عن معالم الإيمان 184/3.والصحيح أن الذي رحل إلى أصبهان ودرس فيها الأدب إلى أن توفي هناك هو الذكي المازري محمد بن أبي الفرج في حكاية وردت عرضاً في ترجمة البراذعي (معالم الإيمان 187/3) .
- الأعلام 84/10 .
- برنامج العبدلية 286-285/4 .
- ترتيب المدارك 709/708/4 .
- الديباج 113-112 .
- شجرة النور الزكية 105.(رقم 270) .
- الفكر السامي 45-44/4 .
- معالم الإيمان 189-184/3 .
- معجم المؤلفين 102/4 (ذكر أنه قدم من دمشق وهو غير صحيح) .
- بروكلمان 178/1، والملاحق 302/1 .
- بلاد البربر الشرقية في عهد الزييين (بالفرنسية) 722/2 .
- هدية العارفين 8-347/1 .

* * *

(1) دون إثبات نسب بني عبيد بالبيت النبوي خرط القتاد لأن العارفين بهم طعنوا في هذا النسب الدعي اللصيق من أول يوم ، ولأن السرية والتموض اللتين عاش فيها أمتهم قبل الظهور وتأسيس الدولة تلقي ظلاً كثيفاً مظلماً على صحة هذا الانتساب مهما حاول المتحمسون الناعون على أهل السنة السير في ركاب هوى السلطة الحاكمة ، وفي أهل السنة من يردعه دينه وعقله عن مدهانة السلطة وتزييف الحق ، والعداوة المذهبية لا تحمل ذوي الدين والعقل على الطعن في النسب بدون حجة معقولة مقبولة . وكلام ابن خلدون في إثبات نسبهم لا يثبت أمام الفحص والامتحان ، ومن أجل ذلك اتهم بما اتهم مما لا نوافق عليه . والكلام طويل الدليل له مقام آخر .

33 - البرادي (كان حياً حوالي 810 هـ) (1407 م)

أبو الفضل وأبو القاسم بن إبراهيم البرادي (بالباء الموحدة المسفولة والراء المشددة) الدمري (بفتح الدال المهملة والميم المشددة) العالم الإباضي .

ولد بدمر من الجنوب التونسي المعروف اليوم بجبل الحواية ، وهناك نشأ وتلقى على مشايخ بلده مبادئ العلوم ، ثم انتقل إلى جزيرة جربة ولازم علامة زمانه الشيخ أبا البقاء يعيش بن موسى الزواغي الجربي مدة ، ثم ارتحل إلى يفرن بجبل نفوسة وتلمذ على الإمام الكبير أبي ساكن عامر بن علي الشماخي (ت سنة 1390/792) وواصل هناك دراسته حتى أصبح عالماً من الأعلام وإماماً من الأئمة ثم رجع إلى جبل دمر ، ولم يستقر به طويلاً وانتقل إلى جربة وفيها تصدى للتدريس والتأليف والفتوى والفصل في مشاكل الناس ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وطاب له المقام بجربة وتزوج هناك ، وأنجب أولاداً عاش بعضهم بجربة ، وانتقل آخرون إلى جبل نفوسة ، وأشهر أولاده هو أبو محمد عبد الله الذي اشتهر بجربة واشتهر بالخصوص في علم الأصول على قول الشماخي ، ويظهر أن المترجم له كان شديد التعلق بشيخه يعيش الزواغي الجربي فلم يطق الابتعاد عنه فانتصب للتدريس قريباً منه لذلك نلاحظ أن الجامع الذي يحمل اسمه الموجود بحومة (حارة) جعيرة قرب وادي الزيب لا تفصل بينه وبين جامع الشيخ يعيش مسافة كبيرة بل هما في حومة (حارة) واحدة .

تخرّج عليه جماعة منهم أبو زكريا يحيى بن أفلح الجربي ، وأبناؤه منهم أبو محمد عبد الله الذي أصبح من أعلام عصره . قال الشماخي في «السير» : «حدثني بعض طلبته قال كنت بتونس أقرأ بحضرة مجلس الحسين فوقعت مسألة فتكلمت فيها بما حضرني وكان الشيخ يتوقف فيها فقال : من أين أخذتها ؟

فقلت : من الشيخ أبي محمد البرادي .

فقال لأهل المجلس : ما رأيت أعلم من البرادي .

وكان المترجم له يشارك في حل المشاكل الاجتماعية لأنه كان يحضر الاجتماعات يشرف عليها أسن الجماعة وهو الشيخ علي بن يامون فيكون المترجم - حينئذ - عضواً من أعضاء مجلس العزابة .

وأدى فريضة الحج في سنة 1373/775 ولقي إباضية عمان بمكة المكرمة وطلب منهم أن يرسلوا له كتاب «كشف الغمة» في التاريخ ، كما ذكر ذلك في المقدمة التي وضعها لهذا الكتاب إذ جاء فيها «ثم إن هذا الكتاب الذي هو كشف الغمة من تأليف المتأخرين من أصحابنا من أهل عمان ، بعثنا فيه إليهم من مكة - شرفها الله تعالى - سنة 775 وقد تعلقت به قلوبنا» .

مؤلفاته :

1 - الجواهر المنتقاة فيما أُخِلَّ به صاحب الطبقات . وهو استدراك وتكملة لكتاب «طبقات المشايخ» للدرجيني تناول تاريخ إباضية الشمال الأفريقي طبع بالقاهرة سنة 1302/1885 طبعة حجرية كثيرة التحريف في 329 ص من القطع المتوسط .

بعد المقدمة يأتي فصل في السيرة النبوية ، ثم تأتي الطبقة الأولى ، والكتاب مقسم إلى طبقتين ، الطبقة الأولى في تاريخ صدر الإسلام من وجهة النظر الإباضية ، وفيها تراجم أشخاص مشهورين أهمل ذكرهم الدرجيني والطبقة الثانية زاد فيها معلومات عن كتاب الدرجيني (تراجم مختصرة) وينتهي الكتاب بذكر قائمة في أسماء كتب الإباضية .

يصوّب ذكر في الكتاب بعض مجالس المناظرات الدائرة بين الإباضية وغيرهم مثل مناظرة عبد الله اللمطي مع المعتزلة وبسط رأيه في قضية خلق القرآن ، واهتم في آخر الكتاب بنشأة الدولة الرستمية الإباضية وترجمة أئمتها (رؤساء الدولة) .

وهناك بعض الفصول يظهر أنها ليست من أصل الكتاب ، وإنما أضافها من تولى نشر الكتاب فجاءت كذليل له ، كالفصل الذي عنوانه «ذكر لمعة من سيرة الحلقة» وهو بحث يتعلق بكيفية تنظيم حلقة التعليم لتربية النشء . (وهي من التنظيمات التي يشرف عليها مجلس العزّابة) .
والخاتمة في ذكر الموت وأحواله .

توجد من الكتاب نسخ مخطوطة في جربة ، وحبذا لو يتوقف بعض الباحثين لنشره نشرأ علمياً محققاً لأن طبعته ، زيادة عن سقمها وخلوها من التحقيق العلمي - قد مضى عليها زمان طويل وأصبح الكتاب في حكم المخطوط .

2 - قائمة في أسماء كتب الإباضية إلى عصره وهي مثبتة في آخر كتابه «الجواهر المنتقاة» كذليل له . وعدّها بعض المستشرقين تأليفاً مستقلاً وقد اهتم بها المستشرق أ . دي موتيلنسكي (A. de Motylinski) وترجمها إلى الفرنسية اعتماداً على نسخة خطية يرجع تأريخها إلى سنة 1188/1774 ونشر هذه الترجمة سنة 1885 (أي في عام طبع كتاب الجواهر المنتقاة) .

3 - البحث الصادق والاستكشاف عن حقائق أسرار معاني كتاب العدل والإنصاف . وهو شرح لكتاب العدل والإنصاف تأليف أبي يعقوب بن إبراهيم الوارجلاني⁽¹⁾ من رجال القرن 12/6 وهذا الشرح لم يتم .

(1) نسبة إلى وارجلان ويقال واركلان وتعرف الآن بورقلة (بالقاف المقعدة) واصطلاح الأقدمون على كتابة مثل هذه القاف بالقاف تارة وبالحميم أخرى وهي واحة بجنوبي الجزائر .

يوجد الجزء الأول منه مخطوطاً ناقصاً من أوله بمكتبة الشيخ أطفيش باهن يزقن (بالقاف المعقدة) بوادي ميزاب ، نسخ في 22 محرم 1/1220 ديسمبر 1785.

4 - جواب لأهل الخلاف - والظاهر من اسمه أنه رد على من هاجم المذهب الإباضي . ذكر المستشرق البولوني لويكي نقلاً عن المستشرق شاخنت (ت 1969) أنه توجد منه نسخة مخطوطة في ابن يزقن بوادي ميزاب (الجزائر) .

5 - رسالة أثبت فيها كيفية إنفاق أوقاف المساجد ، وهي جواب عن سؤال وجهه شخص اكفى بذكر اسمه عمنا⁽¹⁾ سليمان ، قال فيها «والعمدة في تغميت (أي أوقاف جربة) أولاد الشيخ أبي زكريا (فصيل بن أبي مسور) وهو القطب في تفسير أمرها وإصلاح أمرها وترتيبها وابتدائها وانتهائها» ويظهر من كلامه أن التصرف في الأوقاف بيد أولاد ابن أبي مسور يسنده إليهم مجلس العزابة ويدهم تكون جميع الوثائق .

6 - رسالة الحقائق ذكر فيها أكثر مسائل العلم وحدودها وحلّ بعض المشاكل خصوصاً ما يتعلق منها بالعمدة ووحدة الله ، أجاب بها الشيخ محمد بن أحمد الصلدياني الجربي ، توجد بمكتبة الشيخ أطفيش باهن يزقن بوادي ميزاب في ست ورقات .

7 - شفاء الحائم على بعض الدعائم ، وصل فيه إلى الطهارات ثم جمع تلاميذه بعد وفاته مسودة الباقي فبلغت إلى الزكاة ، ولم يتم الكتاب ، وذهب البعض إلى أن البرادي لم يقصد شرح جميع «الدعائم» بل اقتصر على بعض الأبواب منه ، ولربما اهتم بما يحتاج إليه تلاميذه . وعنوان الكتاب يصدق هذين الافتراضين إن كان من وضع المؤلف ابتداء لا من وضع تلاميذه بعد وفاته وجمعهم الموجود من مسودة الشرح .

والدعائم متن منظوم لأبي النظر الثماني ، وطبع معه متنين لأبي نصر الملوشاني النفوسي .
8 - فتاوى وأجوبة .

المصادر والمراجع :

- الأباضية في موكب التاريخ ، الأباضية في تونس لعلي يحيى معمر ص 151-156 .
- نظام العزابة عند الأباضية الوهبية في جزيرة جربة لفرحات الجميري ص 236 ، 268 ، 269 ، 8 ، 12 ، 209 ، 235 .
- معجم المؤلفين 92/8 .
- دائرة المعارف الإسلامية (بالفرنسية ط 2) روبيتشي (Rubinacci) 1085/1 .
- بروكلمان الملحق 339/2 .

(1) كلمة «عم» مستعملة إلى الآن في اللهجة التونسية وتطلق على من كان أكبر سناً من المخاطب .

- الصادق بن مرزوق جريدة الصباح 1967/4/6 عدد 4572، 1967/5/4 عدد 4595.
- محمد بورقة : سندات لتاريخ أباضية الشمال الأفريقي ، مجلة «الثريا» سنة 2 عدد 12. محرم 1365، ديسمبر 1945 ص 14.
- الأعلام 171/5 (ط/5) وفيه النفوسي (كذا) الدثاري (صوابه الدثري) .
- دائرة المعارف الإسلامية (ط/1) الترجمة العربية 43-40/7 بقلم روني باسي وروبنيتشي (René Basset et (Rubinacci).

* * *

34 - البخخري (1317 هـ) (1903 م)

إبراهيم بن محمد البخخري (بفتح الباء الموحدة المسفولة وسكون الخاء المعجمة وفتح التاء المثناة الفوقية) التوزري، الفقيه المشارك في علوم، الشاعر. والبخخري نسبة إلى البخخترية في توزر. حفظ القرآن في بلده وأخذ عن شيوخ توزر قسطاً من العلوم، ثم التحق بالأزهر وأخذ عن أعلامه ومنهم الشيخ إبراهيم الدسوقي وبعد إنهاء تعلمه بالأزهر أدى فريضة الحج، وتجول في مدن الحجاز وقراه، واتصل بعلمائه ثم كثر راجعاً إلى بلده توزر، وانتصب فيه للتدريس، ثم عين قاضياً ببلده فاستمر على التدريس.

مؤلفاته :

- 1 - اختصار نظم الرحبية في الفرائض مع زيادة الحساب به .
- 2 - شرح على الأجرومية في النحو .
- 3 - شرح على السمرقندية في الاستعارات .
- 4 - شرح صغير على نظم المرشد المعين لابن عاشر، في التوحيد وفقه العبادات والتصوف .
- 5 - شرح كبير على المرشد المعين المذكور .
- 6 - اختصار تحفة الحكام لابن عاصم، في ثلاثمائة بيت .
- 7 - النفائس البخخيرية، وهو شرح مختصر على اختصاره لنظم الرحبية .

المرجع :

- الجديد في أدب الجريد لأحمد البخخري (ط تونس سنة 1973) ص 109-117.

* * *

35 - برتقيز (1682/1092 - كان حياً سنة 1748/1147)

يوسف بن محمد بن سليمان بن عبد الله برتقيز⁽¹⁾ (بضم الباء الموحدة المسفولة والتاء المثناة الفوقية وكسر القاف). جدّه عبد الله هو أول من أسلم. والمترجم له يعرف بالإمام الزغواني، ولادته ببلد زغوان، وربما اقتصر على لقب الإمام في التعريف به فقبل يوسف الإمام⁽²⁾. وعرف بهذا اللقب لأنه كن إماماً لحسين بن علي باي مؤسس دولة البايات الحسينية. وهو أول من اشتهر في هذا البيت بطلب العلم.

حفظ القرآن وجوده بزواية الشيخ علي عزوز بزغوان، وقرأ النحو، وشرح السعد التفتازاني على العقائد النسفية في البلدة المذكورة على الشيخ أحمد الهرميلو الأندلسي الأصل، ثم سافر إلى باجة، وقرأ على مشايخها النحو والفقه والتوحيد ثم رحل إلى الأزهر وأخذ عن علمائه فقه المذهب الحنفي والأصول، والعربية وغير ذلك من العلوم المتداولة الدراسة فيه «وحصل نبذة من المعقول والمنقول» كما قال حسين خوجة في ترجمته، ثم في سنة 1713/1124 أدى فريضة الحج، وجاور بالحرمين الشريفين، وأخذ الفقه الحنفي عن جماعة، والحديث عن آخرين، وعاد إلى مصر واستكمل تحصيله بالجامع الأزهر، وعزم بعد ذلك العودة إلى أرض الوطن عن طريق البحر فأغار على السفينة التي هو بها قرصان النصارى ونهبت كتبه ومكاسبه بثغر الاسكندرية.

وبعد عودته اتخذه حسين بن علي باي إماماً يصلي به الخمس وأغدق عليه الخيرات، واتخذه معلماً لأولاده ولما ليك وخدام القصر، وقدمه للخطط العلمية كالفتوى والخطبة، وأقبل عليه وقربه نجياً، ولما آلت الدولة لعلي باشا الأول ابن محمد بعد ثورته على عمه حسين بن علي باي قتله خنقاً لما يعلم من مكائنه عند عمه، ذكر ذلك شيخ الإسلام محمد بيم الثاني في شرح نظمه للمفتيين من الحنفية بتونس، وعلي باشا الأول تخلص من رجال دولة عمه وبكل من كانت لهم صلة به، حتى إن الوشاية لديه بأن شخصاً له صلة مراسلة بأبناء عمه الباقيين في الجزائر كافية لشنق هذا الشخص أو إلقائه في السجن.

(1) تحريف لكلمة (Portugais) أطلقها الأتراك على من كان من أصل برتغالي.

(2) مثل الوزير السراج في «الحلل السندسية».

مؤلفاته :

- 1 - المنبي على شرح مختصر القُدوري أبي الحسن⁽¹⁾ قال في مقدمته : «تكلفت هذا التعليق لأوضح عباراته وأفصح عن بعض لطائف إشاراتِهِ ، مبيّناً فيه ما أهمل من ضبط مبادئه ، منبهاً على الأصح من الأقاويل والأقوى ، ومعيناً للأرجح منها وما عليه الفتوى» إلى أن قال : «حيث أطلقت السيد فهو شيخ شيخنا الحموي⁽²⁾ في «كشف الرمز على الكنز» وافتتحه بمقدمة بين فيها حد علم الفقه وموضوعه وغايته . وعرف بالقُدوري مؤلف المختصر ، وتعرض فيها لمشايخه وفرغ من هذا الشرح يوم الخميس أواخر ربيع الأول سنة 1144 .
- توجد منه نسخة في جزئين في المكتبة الوطنية بتونس (أصلها من المكتبة العبدلية الصادقية الزيتونية) ونسخة أخرى في 4 أجزاء .
- 2 - منظومة في العبادات توجد ضمن مجموع المكتبة الوطنية وعليها شرح (أصلها من المكتبة العبدلية) .

المصادر والمراجع :

- إتحاف أهل الزمان لابن أبي الضياف 58/7 عرضاً في ترجمة حفيده محمد بن حمودة برتقيز .
- برنامج المكتبة الصادقية (العبدلية) 158/4 ، 257/4-258 .
- الحلال السندسية أ ق 522/2-523/1]502 من طبعة دار الغرب الإسلامي ، بيروت [1984] ..
- ذيل بشائر أهل الإيمان لحسين خوجة ، تحقيق الطاهر المعموري ص 257-259 .
- مقدمة محقق الكتاب ص 99 .

* * *

- 1) هو أحمد بن محمد بن جعفر البغدادي المشهور بالقُدوري (بضم القاف جمع القدر) نسبة إلى صنع القُدور أو بيعها أو نسبة إلى قدورة من قرى بغداد .
انتهت إليه رئاسة أصحاب أبي حنيفة بالعراق ، روى الحديث وكان صدوقاً . روى عنه الخطيب البغدادي ، وله مؤلفاته في الفقه (362-428/973-1037) .
- الأعلام 206/1 ، تاج التراجم لابن قُطبغا ص 7 ، تاريخ بغداد 377/4 ، وتتمة المختصر لابن الوردي (ط بيروت) 519/1 ، شذرات الذهب 233/3 ، العبر 164/3-165 ، معجم المطبوعات 1497/2-1498 ، معجم المؤلفين 66/2-67 .
- ومختصره في الفقه مطبوع في الهند وقازان والآستانة .
- 2) هو أحمد بن محمد الحسن بن الحموي الحنفي ، شهاب الدين نزيل القاهرة (ت سنة 1098/1687) كان عالماً مشاركاً في أنواع من العلوم ، درس في القاهرة وله تصانيف كثيرة طبع منها في لكونو (الهند) 1317/1284 هـ والآستانة 1290 هـ كتاب «غز عيون البصائر على محاسن الأشباه والنظائر» في جزئين وهو شرح على كتاب الأشباه والنظائر لابن نجيم المصري الحنفي . معجم المطبوعات 375/1 ، معجم المؤلفين 93/2 .

عبد السلام بن عيسى البرجيني⁽²⁾، أبو محمد ، الفقيه الفاضل . أخذ عن أبي يحيى زكريا بن الحداد المهدي تلميذ الإمام المازري⁽³⁾، ثم ارتحل إلى تونس واتصل بالشيخ أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص (حاكم القطر التونسي ، وجد الملوك الحفصيين) فولاه القضاء ثم الإفتاء . وفي «مناقب أبي سعيد الباجي» لعلي بن مناد (مخطوط) أنه ولي القضاء في زمن السيد أبي العلا (حاكم تونس بعد عبد الواحد بن أبي حفص) ونعته بالشيخ الفقيه الإمام العالم الصوفي الخطيب ، وذكر أنه هو الذي صلى على أبي سعيد الباجي ، وكان يعتقد ويرويه كثيراً .

قام بنشر العلم في مدينة تونس ، والبلاد - إذ ذاك - غاض منها معين المعرفة ، وقل فيها العلماء لتوالي النكبات والفتن بعد زحفة الاعراب ، واستيلاء النرمان على سواحل البلاد ، وكان الذين هم في طبقة البرجيني من الندرة بمكان .

ومن أخذ عنه ابن تزيوة التونسي الآتية ترجمته رقم 41 وكان على جانب عظيم من الذكاء والنكته البارعة . حصلت جفوة بينه وبين الأمير الشيخ محمد عبد الواحد بن أبي حفص فدخل عليه يوماً فقال له : كيف حالك يا فقيه ؟

فقال : في عبادة

فقال : تُعوضها - إن شاء الله - بالشكر .

ولما سئل الأمير عن المقصد من كلام البرجيني أجاب بأنه يشير إلى قوله ﷺ «انتظار الفرج بالصبر عبادة»⁽⁴⁾ .

له فتاوى .

- (1) في تاريخ وفاته اضطراب قيل سنة 630 وقيل غير ذلك ، واعتمدت على ما ذكره ابن القنفذ في «الفارسية» .
- (2) نسبة إلى البرجين من قرى الساحل جنوبي مدينة سوسة .
- (3) قال الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب في كتابه «الإمام المازري» ص 42-41: «وقد وهم المؤرخون وأصحاب الطبقات الذين تحدثوا عن ذلك العصر ، إذ جعلوا البرجيني من تلاميذ المازري ، وأنه روى عنه أصالة ، على حين أن المازري مات سنة 536 هـ فلا يصح في العقل أن يكون قد أخذ عنه . والذي تحقق لنا بعد المراجعة والتحصيص أن البرجيني قرأ على الشيخ أبي يحيى الحداد المهدي ، فبذلك تصح الرواية ، ويشق التاريخ» .
- (4) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» عن علي بن أبي طالب ، والقضاعي في «مسند الشهاب» عن ابن عمر وابن عباس . وسند ابن عمر فيه عمرو بن حميد عن الليث ، قال الذهبي في «الميزان» هالك أتى بخير موضوع اتهم به ، ثم ساق هذا الخبر الذي هو حديث ابن عمر وحديث ابن عباس قال عنه الحافظ زين الدين العراقي : سنده ضعيف ، وروي من أوجه كلها ضعيفة ويتلخص من هذا إن حديث ابن عباس ضعيف ، وهو أمثل وأنظف سنداً من حديث ابن عمر .
أنظر فيض القدير 52/3.

المصادر والمراجع :

- الأدلة البيئية النورانية لابن الشماع، تحقيق عثمان الكماك (ط تونس 1936) ص 41-42.
- شجرة النور الزكية 168/1، 138/2.
- الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية (وتعليق المحققين ص 221)، 126..
- مناقب أبي سعيد الباجي لعلي بن مناد (مخطوط).

* * *

37 - البُرزُلي (740⁽¹⁾ - 833 هـ) (1339 - 1429 م)

أبو الفضل، أبو القاسم بن أحمد⁽²⁾ بن محمد بن المعتل البلوي المعروف بالبرزلي القيرواني من أعلام المالكية في العصر الحفصي، ويلقب بشيخ الإسلام.

قرأ على الفقيه المحدث الراوية الخطيب محمد بن مرزوق التلمساني شيئاً من الصحيحين، والشاطبتين (حزر الأماني، وعقيلة أتراب القصائد)، وتكملة القيحاوي لحرز الأماني، والدرر اللوامع لابن بري يرويهما عن مؤلفيهما، والعمدة، وغيرها. وعلى الفقيه المحدث الراوية المسن الصالح أبي الحسن البطرني القراءات السبع، وكتباً كثيرة وأحزاب أبي الحسن الشاذلي عن ماضي بن سلطان. وعلى الإمام ابن عرفة، ولازمه نحو أربعين سنة، وأخذ عنه علمه وهديه وطريقته، قرأ عليه بعض صحيح مسلم، وجميع صحيح البخاري، والموطأ، والشفاء للقاضي عياض، وعلوم الحديث لابن الصلاح، وجميع تهذيب المدونة للبراذعي مراراً، وتأليف ابن الحاجب الفرعي، وكثيراً من تأليف ابن الحاجب الأصلي ومعالم الدين لابن التلمساني، وجمل الخونجي في المنطق، وكثيراً من المحصل للأرموي في الأصول، والقاء التفسير مراراً، وقرأ عليه مختصره المنطقي، وفي الأصلين وأكثر مختصره الفقهي، وأجازته الجميع وغيره، وكتب له بخطه مراراً. وقرأ على الفقيه المقرئ الراوية محمد بن مسعود المعروف بابن الحاجة البليسي القراءات السبع وغيرها، وعلى الفقيه الصالح الراوية المتفنن أبي محمد عبد الله الشببي القيرواني القراءات السبع وغيرها، وتهذيب المدونة، والتفريغ لابن الجلاب، والرسالة لابن أبي زيد وغيرها من كتب الفقه، والموطأ، وصحيح مسلم، والحساب، والفرائض،

(1) قبل إنه مات سنة 842 أو 843 وقيل 821 وفي «تكميل الصلحاء والأعيان» بعد أن نقل تاريخ وفاته عن السخاوي في «الضوء اللامع» سنة 833 «ورأيت في بعض التقايد أنه توفي في سنة اثنتين وأربعين» وفي تاريخ الدولتين للزرزكشي أنه «توفي خامس عشر ذي القعدة من عام أحد وعشرين وثمانمائة، ودفن بجبل الجلاز بتونس» وهذا فرق كبير بين التاريخين المذكورين.

(2) في إنحاف أهل الزمان: أبو القاسم بن إسماعيل بن محمد بن المعتل، ووفاته فيه سنة 843 نقلاً عن تقييد لشيخه إسماعيل التميمي في أئمة وخطباء جامع الزيتونة. وفي تكميل الصلحاء والأعيان أبو القاسم بن أحمد بن إسماعيل بن أحمد بن المعتل البلوي.

والتنجيم، ولازمه من حدود سنة ستين وسبعمائة إلى عام سبعين وسبعمائة. وعلى الفقيه الصالح قاضي الجماعة بتونس العدل الحافظ للمذهب أحمد بن حيدرة التوزري لازمه كثيراً وأخذ عنه مسائل كثيرة. وقرأ على الفقيه الصالح العدل أبي العباس أحمد المومنانى الصحيحين، والشفا وغيرهما، وكذا أخيه الفقيه الصالح العدل أبي زيد عبد الرحمان، قرأ عليه شيئاً من كتاب ابن الحاجب الأصلي وأذن له في إقرائه. وعلى الفقيه المحدث الرواية برهان الدين الشامي قرأ عليه أبعاضاً من صحيح البخاري، والترمذي والشفا، والشاطبية وغيرها وناولته فهرسته. وعلى الرواية المحدث المعمر أبي إسحاق إبراهيم بن صديق الرسام. قدم القاهرة حاجاً سنة 1403/806 وأجاز للحافظ ابن حجر العسقلاني.

ومن تلامذته ابن ناجي، وحلولو، والرصاع، وعبد الرحمان الثعالبي الجزائري، ومحمد بن أحمد عظيم القيرواني، وابن مرزوق التلمساني الحفيد والأخوان القندشانيان وغيرهم.

وقع نزاع طويل بينه وبين معاصره أحمد الشماع والد المؤرخ صاحب «الأدلة البينة النورانية» وقاضي محلة السلطان أبي فارس عزوز الحفصي في مسألة العقوبة بالمال التي يقول بها البرزلي، فردّ على البرزلي، وشنع عليه غاية في القول بجوازها، وألف فيها تاليفاً في كراريس سقاه «مطلع التمام ومنجاة الخواص والعوام»، في رد القول بإباحة غرم ذوي الإجماع» وذكر فيه أنه تواتر عن شيخه ابن عرفة أنه كان يقول في سجوده «اللهم احفظ دين محمد ﷺ من البرزلي⁽¹⁾».

تولى شيخاً بمدرسة ابن تافراجين ولما توفي الشيخ أبو مهدي عيسى الغبريني سنة 815/ 1413 تولى الإمامة والخطابة بجامع الزيتونة والفتيا به بعد صلاة الجمعة.

تأليفه :

1 - جامع مسائل الأحكام فيما نزل بالمفتين والحكام، ويعرف بديوان البرزلي في أربعة أجزاء في مجلدين كبيرين منه أربع نسخ بالمكتبة الوطنية بتونس.

جلب فيه فتاوى كثير من التونسيين، وبالخصوص رجال العصر الصنهاجي والحفصي، وفي بعضها معلومات عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية وأحداث تاريخية بحيث لا يستغني عنه الباحث التاريخي في هذين العصرين وقد اعتمد عليه الونشريسي عندما تمس الحاجة لجلب فتاوى التونسيين في «معياره».

(1) نسبة لبرازلة بضم أوله وثالثه من القيروان (الضوء اللامع) (قسم الأنساب) 181/11 وفي دائرة المعارف نسبة إلى قبيلة برزلة وبلاحظ أن هذا القول فيه ما فيه للتغيير الكثير عند النسب لأن برزالة بكسر الباء وفتح الزاي، والبرزلي بالضم في الاثنين ومن المعروف أن التغيير لأجل النسب تبقى معه بعض الدلالة على أصل الكلمة ولا تغير بنتها تغييراً تاماً. وبرزالة قبيلة بربرية وسبق أن البرزلي بلوي نسبة إلى قبيلة عربية تسمى بلي لمعلي.

2 - الحاوي في الفتاوي ويعرف بنوازل البرزلي مخطوط في المكتبة الوطنية بتونس رقم 4851 اختصره تلميذاه حلولو، والبوسعيدى البجائي، ومن مختصر هذا الأخير نسخة في المكتبة الوطنية.

قال البرزلي في مقدمة هذا الكتاب: «قصدت جمع أسئلة اختصرتها من نوازل ابن رشد وابن الحاج والحاوي لابن عبد النور، وأسئلة غير الذين ذكرتهم من أئمة المالكية، مما اخترناه ووقعت به فتوانا، واختاره بعض مشايخنا وما لا عزو فيه فقد نقلته من كتب مشهورة مما اختصرته أو رويتها». وهو في جزئين توجد منه نسخة في المكتبة الوطنية.

3 - فهرسة في أسماء شيوخه ومروياته في نحو ستة كراريس⁽¹⁾.

المصادر والمراجع:

- إتحاف أهل الزمان 62/7.
 - الأعلام 6/6.
 - برنامج المكتبة الصادقية (العبدلية) 252-251/4.
 - البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان لابن مريم، تحقيق محمد بن أبي شنب (الجزائر 1908/1326 و 152-150).
 - تاريخ الدولتين 96، 118، 122.
 - تاريخ معالم التوحيد 20.
 - تكميل الصلحاء والأعيان 9، 11.
 - الحلل السندسية اق 701/3، جزع [685/1].
 - درة المجال 282/3.
 - شجرة النور الزكية 245.
 - الضوء اللامع 433/1.
 - الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي 91/4.
 - معجم المؤلفين 158/2.
 - زهرة الأنظار 242/1.
 - نيل الابتهاج 225، 226.
 - هدية العارفين 194/2.
 - بروكلمان 319/2.
 - الملحق 437/2.
 - دائرة المعارف الإسلامية (ط 2 بالفرنسية) بقلم هادي روجي إدريس 1381/1.
 - بلاد البربر الشرقية في عهد الحفصيين لروبير برانشفيك (اليهودي الفرنسي نزيل إسرائيل الآن) ج 2. الفهرس 456.
-
- (1) كذا في الضوء اللامع 286/6 في ترجمة محمد بن أحمد بن إبراهيم البيدموري التريكي التونسي.

- مسامرات الظريف 104، 105.
- إيضاح المكنون 358/1، 56/2، 100، 155، 156.
- بغية الوعاة 359/2.
- الأعلام 172/5 (ط/5).
- توشيح الديباج 267 (دار الغرب الإسلامي، بيروت 1983).
- معجم المؤلفين 94/8.
- كتاب الفتاوي وقيمتها الاجتماعية - مثال نوازل البزلي، فصله مستقلة من حوليات الجامعة التونسية بقلم الأستاذ سعد غراب ع 1948/16.
- دائرة المعارف الإسلامية (ط/1) 47/7-48 بقلم بروكلمان.
- برنامج المكتبة الصادقية 351/4، 352.

* * *

38 - البرشكي (. . . 780 هـ) (1378 م)

أحمد بن سليمان بن محمد البرشكي العدناني التونسي، أبو العباس، له حواش على رياض الصالحين للنووي.

المصادر والمراجع:

- شذرات الذهب 265/6.
- معجم المؤلفين 239/1.
- هدية العارفين 114/1.

* * *

39 - البرشكي⁽¹⁾ (. . . 839 هـ) (. . . 1437 م)

عبد الرحمان⁽²⁾ بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن سليمان بن علي العدناني

- (1) بكسر الباء الموحدة وكسر الراء المهملة ثم الشين المعجمة الساكنة تليها كاف، من عمل تونس (الضوء اللامع قسم الأنساب 189/11) وقال ابن خلدون: إن برشك من عمل تلمسان ويستفاد منه أن أولها مفتوح. وانظر الحلل السندي 1 ق 832/3 [810/1]، نزهة الأنظار 23/1، الضوء اللامع 133-132/4.
- (2) هناك سمي له عبد الرحمن البرشكي تولى قضاء الجماعة بتونس سنة 1383/785 بعد وفاة قاضي الجماعة محمد بن عبد الرحمن البلوي القطان، ثم بعد تقديمه مرض فقدم للنيابة عنه أبو مهدي عيسى الغبريني، وتوفي سنة 1385/787 [الحلل 183/2].. تاريخ الدولتين 97-98، شجرة النور الزكية 226.

البرشكي التونسي، جلال الدين، زين الدين، أبو زيد، قاضي الجماعة بتونس، المحدث الرحال الفاضل حلاه أحمد بابا التنيكتي بقوله: «العلامة الخطيب المدرس، قاضي الجماعة العلية بتونس. كان من أهل العلم والعمل به بمحل لا يجهل وأما أخلاقه الرضية ومكارمه السنية فكالغيث الواكف».

ويقرب منه ما نعت به الحافظ ابن حجر «كان حسن الأخلاق لطيف المجالسة كريم الطباع». قرأ بتونس، ورحل إلى المشرق سنة 1414/816 فحج وحمل عن المشايخ وأجاز له البرهان الشامي. حج مرة ثانية في سنة 1423/825 قاضياً على ركب التونسيين، وسمع من لفظ الحافظ ابن حجر صحيح البخاري، وسمع سنة 827 على النور الفوي من لفظ الكلوتاني سنن الدارقطني بفوت يسير.

وهو من شيوخ ابن مرزوق الحفيد، وأبي الطيب بن علوان المصري التونسي ومن روى عنه بالمشرق التقى ابن فهد، والعميق الناشري وسمع منه فضلاء آخرون.

وصفه الحافظ ابن حجر بأنه سريع التصديق للمحالات قال السخاوي: «قرأت بخط ابن حسان نقلاً عن شيخنا ما نصه: قول البرشكي إن القبابي سمع جميع صحيح مسلم على البياني لا يعتمد، فإنه مع ذكائه وحسن خلقه سريع التصديق للمحالات، جربنا عليه ذلك في أشياء، فلعله تلقى ذلك ممن لا يوثق به فجزم به كما جرت عادة الصالحين، ولو لم يكن في تقوية ذلك فيه إلا ما صنعه المعمر الذي كذب أو كذب عليه في المصافحة».

له: طرد المكافحة عند سند المصافحة وحدث به وسمعه منه فضلاء.

المصادر والمراجع:

- إيضاح المكنون 83/2.
- الحلل السندية 1ق 832-835. [810/1].
- شذرات الذهب 231/7.
- الضوء اللامع 133-132/4.
- معجم المؤلفين 179/5.
- نيل الابتهاج 168.
- هدية العارفين 530/1.
- توشيح الدياج 153.

* * *

40 - برناز (1074 - 1138 هـ) (1664 - 1726 م)

أحمد بن مصطفى ابن الشيخ محمد بن مصطفى الشهير بقاره خوجة ، المعروف ببرناز⁽¹⁾ من سلالة الأتراك المستقرين بتونس ، الحنفي المذهب ، الجوّال في الأقطار للقاء علماء عصره والأخذ عنهم ، والمنكود في حظه ودينه .

جدّه كان درويشاً صحب جيش سنان باشا واستقرّ بعد الفتح التركي ، وتولّى الإمامة بمقام الشيخ علي بن زياد .

وجدّه محمد ، تعلّم على المفتي الحنفي بتونس أحمد الشريف ، وبعد أن مارس حرفة الجندية بينزرت عدة سنوات اتخذه الداوي أحمد خوجة إماماً له في المدرسة العنقية القرية من داره ودرس بالمدرسة الشماعية التي أصبحت مدرسة حنفية كغيرها من المدارس ، سعيّاً من الأتراك في نشر المذهب الحنفي ، ومضايقة المذهب المالكي في مؤسساته ، ومعاكسة أتباعه في مورد رزقهم .

وتولى لمدة قصيرة لإمامة جامع يوسف داوي ، كما تولى الإمامة مدة من الزمن في الجامع الجديد الذي أنشأه جمودة باشا المرادي سنة 1656/1066 وتولى القضاء ، وهو أول قاض حنفي بتونس من مواليد البلاد إذ أن السلطنة العثمانية بعد فتح البلاد كانت ترسل قاضياً تركياً يبقى في خطته ثلاث سنوات ثم يبدل بغيره ، وفي عهد علي باشا الأول فوضت له السلطنة العثمانية اختيار القاضي الحنفي من أبناء البلاد . وكان فقيراً في بداية أمره وأصبح ثرياً في آخر حياته وقدرت ثروته بعشرين ألف ريال ، وملك مكتبة نفيسة قدرت بأربعة آلاف ريال . ويبدو أنه تمتع بثقة كاملة من الداوي أحمد خوجة (1647-1640/1057-1050) ولعب دوراً في تسمية أخلافه . وهذه الخطوة والقوة عرضتاه لحقد بعض أعضاء الجيش فقتلوه هو ابنه مصطفى في ولاية الداوي مامي جمل في 8 صفر سنة 25/1084 ماي 1673 ونهب ما في داره من أثاث وكتب .

نشأ المترجم له في بيت علم ، ولفح جدّه محمداً شواظ من ظلم الجند أودى بحياته . حضر مجالس جدّه هذا في الحديث وهو صغير ، وقرأ على كثير من علماء عصره كالحدث الشيخ سعيد المحجوز وعلي الصوفي ، ومصطفى بن عبد الكريم ، وإبراهيم الأندلسي ، والمقرئ النحوي الكفيف إبراهيم الجمل الصفاقسي ، والمفتي الحنفي محمد المحجوب ومحمد فتاة ، ثم رحل إلى مصر للقاء علماء الأزهر ، فأخذ عن الشيخ محمد الخرشني قطعة من صحيح البخاري ، وأخذ عن المشايخ : عبد الباقي الزرقاني ، وإبراهيم الشيرخيتي ، ويحيى الشاوي الجزائري ، والمقرئ أحمد البقري ، وأحمد الشرفي الصفاقسي نزيل مصر ، وعبد الحفي

(1) لفظة تركية معناها كبير الأنف جرباً على عادة الأتراك في نعتهم الشخص بشيء انفراد به (راجع تاريخ معالم التوحيد 103-104 تعليق 2) .

الشرنبلالي، ثم رحل إلى مكة حاجاً وأخذ بها عن الشيخ حسن بن مراد التونسي وعن الشيخ أحمد البشبيشي والشيخ أحمد القطان، والشيخ المرحومي وغيرهم.

وبعد أداء فريضة الحج مر بمصر وعاد إلى وطنه واستقر به مدة ثم خرج منه مغاضباً متوجهاً إلى القطر الجزائري فأخذ بعناية عن الشيخ أحمد بن ساسي ومفتيها الشيخ الصديقي، وأخذ بقسنطينة عن مفتيها الشيخ بركات بن باديس شارح القصيدة الخزرجية في العروض، والشيخ علي الكتماد، ثم ارتحل إلى مدينة الجزائر فأخذ عن المشايخ: رمضان بن مصطفى العنابي، وعلي بن خليل ومحمد بن سعيد قدورة (بالقاف المعقدة) وخاتمة تطوافه بالقطر الجزائري هي زاوية ببلاد القبائل وقرأ هناك على الشيخ محمد الفاسي، وأحمد بن عبد العظيم، وقرأ القرآن بالسبع على محمد بن صولة وقرأ على غيرهم.

وبعد هذه الجولة الواسعة عاد إلى تونس، وواصل التلقي على علماء عصره، فقرأ على الشيخ سعيد الشريف، والشيخ عبد القادر العيسي المطماطي وقرأ على الشيخ أحمد عزوز القرآن بالقراءات العشر من طريق الدرّة لابن الجزري وبعد تخرجه سمي مدرّساً بالمدرسة الشماعية التي درس بها جدّه محمد من قبل، وعزل بعد مدة قليلة فاتخذه شيخه محمد المحجوب المفتي الحنفي معيداً أو معاوناً له في دروسه بمدرسة يوسف داي، وفي الصلاة وخطبة الجمعة في الجامع المواجه لمقام سيدي محرز بن خلف، وهذه النيابة عن شيخه ابتدأ القيام بها من شعبان 1108/ فيفري - مارس 1697 وفي أول ذي الحجة 1116/ آخر مارس 1705 صار إماماً وخطيباً بهذا الجامع أصالة على أثر تخلي شيخه محمد المحجوب عن ممارسة هذه الخطة لفائدته وفيما بين ذلك سمي مدرّساً بالمدرسة العنقية، ودرس بجامع الزيتونة وبأماكن أخرى وأسند إليه بالخصوص تدريس الحديث في إحدى المدرستين اللتين أسسهما حسين بن علي باي، وهي مدرسة الجامع الجديد في حومة سوق البلاط.

وكان المترجم له من ألمع فقهاء الحنفية في عصره، مشاركاً في عدة علوم، مجيداً لللغتين: التركية والفارسية، ولوعاً بالتدوين والتأليف، ولم تحمه معارفه والوظائف التي شغلها من الاضطهاد والإهانة ففي 6 محرم 1114/ جوان 1702 أمر مراد بوبالة الثالث آخر ملوك المراديين بضربه مع كثير من فقهاء الحنفية إهانة لهم بعد أن قطع عنهم مرتباتهم بوصفهم من أفراد الجيش، وبعد أسبوع طيف برأس مراد بوبالة بتونس بعد قتله. وهكذا المترجم له كان من بين آخر الأشخاص الذين تأذوا من غضب مراد بوبالة وظلمه. وبعد زوال الدولة المرادية، وتقلب الأحداث في الدولة الحسينية وانتزاع علي باشا على الحكم بعد ثورته وقتل عمه مؤسس الدولة الحسينية حسين بن علي باي كانت نهاية المترجم له مؤلمة: أمر بسجنه علي باشا، وبعد مدة طويلة خنق في السجن على ما ذكره محمد الصغير بن يوسف الباجي في كتابه «المشرع الملكي» وذلك في 18 ذي القعدة 1138/18 جويلية 1726. وعلي باشا قد فتك بكل من له صلة قريبة أو بعيدة بعمه لشهوته إلى سفك الدماء في غير تورع، ولظنه أن ذلك مما يوطد أركان دولته.

مؤلفاته :

- 1 - أعلام الأعيان بتخفيفات الشرع على العبيد والصبيان ، وهو كتاب مطول تضمن فوائد فيما يتعلق بأحكام الصبيان وتأديبهم واستخدامهم وحقوقهم وفضل الأولاد والبرور باليتامى ، وحكم شهادات المعلمين والصبيان ، وحكم شهاداتهم بعضهم لبعض ، ووقت بلوغهم وكيفية وجوب الإيمان عليهم حال بلوغهم ، ثم ذكر خاتمة تضمنت أن أقل الأشياء وجوداً ما تقل الحاجة إليه ، وأكثرها وجوداً ما تكثر الحاجة إليه ، وتكلم عن الرفق بالعبيد ، وعن قوله ﷺ : «العبيد إخوانكم فأطعموهم مما تأكلون» أتم تبييضه سنة 1701/1113 توجد منه نسختان بالمكتبة الوطنية بتونس .
- 2 - تزيين الغرة بمحاسن الدرّة في القراءات الثلاث الزائدة على السبع (أبي جعفر، ويعقوب ، وخلف) حذا فيها حدو ابن غازي على الشاطبية⁽¹⁾.
- 3 - حاشية على شرح المنار لابن فرشتا (فقه حنفي) منها نسخة بالمكتبة الوطنية بتونس رقم 4411.
- 4 - حواشي على المرادي شارح ألفية ابن مالك .
- 5 - شرح على الطريقة الحممدية .
- 6 - الشهب المخرقة⁽²⁾ في من ادعى الاجتهاد لولا انقطاعه عن المخرقة ألفه سنة 1712/1124 إلا أنه نقحه وأدخل عليه تحويراً سنة 1717/1129 والنسخة المنقحة منها نسختان بالمكتبة الوطنية رقم 18584 ورقم 12364.
- وللكتاب صلة بالتاريخ والتراجم ، ترجم فيه لكثير من علماء عصره ، فعندما تثار مشكلة من المشاكل العلمية يستغل الفرصة ليترجم لصاحب الرأي ترجمة مفصلة ، وهذه التراجم لعلماء تونسيين وغير تونسيين عرفهم في رحلاته ويذكر حكايات ونصوصاً أسطورية دونها أثناء رحلاته أو مطالعاته وفيه معلومات عن المرادين ، والدائيات المعاصرين لهم .
- 7 - قصيدة بائية طويلة نظمها في أصحاب أبي الحسن الشاذلي الأربعين .
- 8 - قطعة من حاشية على شرح الجاربردي لشافية ابن الحاجب في الصرف .
- 9 - كتابات متفرقة على صحيح البخاري .

(1) نسبها لحسين برناز التونسي في إيضاح المكنون 85/1 ، وقلده في هذا صاحب معجم المؤلفين 316/3 .
(2) هذا هو الصواب في اسمه بالخاء المعجمة لا بالخاء المهملة مراعاة للجناس بين المخرقة والمخرقة الموجودة في آخر العنوان ، وإن كان أشتهر بين الناس باسم «الشهب المخرقة» بالخاء المهملة ، انظر تاريخ معالم التوحيد ص 11-12 تعليق 2.

10 - نبذة على مقامات الحريري .

11 - نكت على الخزرجية في العروض ، لم يبيظه .

المصادر والمراجع :

- الأعلام 1/242-242.
- برنامج العبدلية 4/53-54.
- تاريخ معالم التوحيد 11-12 ، 103-104.
- معجم المؤلفين 179/2 تحت عنوان «فترة خوجة» نقلاً عن بروكلمان الملحق 2/692.
- تقديم كتاب «الخلل السندسية» لتحقيقه د . محمد الحبيب الهيلة ص 78-79.
- ذيل بشائر أهل الإيمان ص 230-234 [رقم 121] والمقدمة لمحقق الكتاب الأستاذ الطاهر المعموري ص 52-54
- فهرس مخطوطات المكتبة الأحمدية 436-437.
- المؤرخون التونسيون . . . (بالفرنسية) ص 183-192.

* * *

41 - ابن بزيمة (616 - 662⁽¹⁾هـ) (1229 - 1263 م)

عبد العزيز بن إبراهيم بن أحمد التيمي⁽²⁾ القرشي ، المعروف بابن بزيمة⁽³⁾ أبو فارس ، من الفقهاء والصوفية ، وعلماء التفسير والكلام ، ورواة الحديث والأدب ، ومن أئمة المالكية اعتمده خليل في التشهير ، وكان مشاركاً في سائر العلوم ، ومن أهل الدين .

تفقه على محمد بن عبد الجبار الرعيني السوسي وعلى أبي محمد عبد السلام البرجيني ويستفاد من كتابه «الأنوار في فضل القرآن والدعاء والاستغفار» أن من شيوخه أبا الحسن علي بن أحمد الحرّالي التجيبي الصوفي المرسي الأصل المراكشي المولد (ت 1241/638) وأجاز محمد بن صالح بن أحمد بن رحيمة الكتاني الشاطبي نزيل بجاية . ولد يوم الاثنين 14 محرم وتوفي ليلة الأحد 4 ربيع الأول له من العمر 47 سنة ، ودفن بمقبرة سيدي محرز ، وترك آثاراً جليلة على قصر عمره مثل تاج الدين السبكي .

(1) في تاريخ ميلاده ووفاته اضطراب عند المترجمين له ، واعتمدت على تاريخ الدولتين وعلى الترجمة المنقولة من المشرق في علماء المغرب والمشرق للتسريف أحمد بن محمد القرطبي الفرناطي ، وهو معاصر له .
(2) في مصادر ترجمته «التيمي» ونسبه في كتابه «الأنوار» «التيمي» وهو الصحيح لأن تيمماً ليست من قریش .
(3) بزيمة على زنة فعيلة كسفينة .

مؤلفاته :

1 - الإسعاد في مقاصد الإرشاد وهو شرح على «الإرشاد» لإمام الحرمين في أصول الدين (علم الكلام) ألفه بتونس سنة 1247/644 منه نسخة بخط محمد بن ميمون بن تميم الواصلبي التونسي، فرغ من نسخها في شوال 1439/841 جاء فيها «ألفه بحضرة تونس الفقيه العارف الحبير الصوفي أبو محمد عبد العزيز بن إبراهيم بن بزيمة سنة 644» .

ويدو أنه كان في عزمه إفراد الأسماء الحسنى بتأليف مستقل على ما يستفاد من أوائل كتابه «الإسعاد» إذ جاء فيه «بدأ الإمام بالاسم الأعظم الذي هو قطب الأسماء والجامع لمعانيها وقد رأينا أن نفرز للكلام عليها كتاباً مستقلاً بنفسه جامعاً لحقائقها مطلعاً على أسرارها إن شاء الله تعالى، وأمهل في العمر، ويسر إتمامها في هذا القصد الجميل، والله يجعل ذلك لوجهه . . .» .

ويوجد قبله شرح «الإرشاد» لأبي العز بن المقترح، يجمعهما مجلد واحد وتوجد هذه النسخة بالمكتبة الوطنية بتونس، وأصلها من مكتبة الشيخ علي النوري بصفاقس .

2 - الأنوار في فضل القرآن والدعاء والاستغفار، رسالة صغيرة في 28 ورقة أورد فيها أربعين حديثاً في فضل القرآن، وما أعد الله سبحانه لقارئه والعاملين به من الثواب الجزيل، ثم ذكر آثاراً في فضائل بعض السور ثم عقد باباً فيما أخبر عنه النبي - ﷺ - في الأمر بذكر الله والترغيب فيه وما للذاكرين من الأجر الجسيم، وفي آخرها باب في فضل الدعاء، توجد بالمكتبة الوطنية بتونس .

3 - إيضاح السبيل إلى مناجي التأويل، ورد ذكره في «الإسعاد بمقاصد الإرشاد» بعد أن ذكر تأويل إمام الحرمين لمشكلات الآي والأخبار إلى أن قال: «ثم ذكر بعد قوله عليه السلام «إن الله خلق آدم على صورته» وهو حديث انفرد به مسلم، وفي أفراد مسلم أبن الحجاج خلاف بين أهل العلم، ووهم الإمام بقوله: «غير مدوّن» وقد ذكرنا لجميع طرقه وتأويلاته في كتاب «منهاج العوارف إلى روح المعارف» واختصاره المسمى «إيضاح السبيل إلى مناجي التأويل» ولا نطيل بذكرها ههنا فمن أراد فليطلبه هنالك» .

4 - تفسير القرآن جمع فيه بين تفسير ابن عطية وتفسير الزمخشري .

5 - التنبيه على مواضع من «منهاج الأدلة» لابن رشد الحفيد الفيلسوف ذكره في كتاب «الإسعاد» ورد فيه: «وله في كتابه الصغير الذي سماه «منهاج الأدلة» مواضع نهينا عليها وفيها غلط فاحش» .

6 - شرح الأحكام الصغرى لعبد الحق الإشبيلي، في فقه الحديث .

- 7 - شرح الأحكام الكبرى لعبد الحق الإشيلي ، في فقه الحديث .
- 8 - شرح الأسماء الحسنى .
- 9 - شرح التلقين للقاضي عبد الوهاب البغدادي ، في الفقه .
- 10 - شرح العقيدة البرهانية⁽¹⁾ للسلاجي .
- 11 - شرح المفصل للزمخشري في النحو .
- 12 - منهاج المعارف الى روح العوارف، بين فيه تأويل أكثر الآيات والآحاديث المشكلة واختصره في «ايضاح السبيل» المار ذكره.

المصادر والمراجع :

- إتحاف أهل الزمان 163-162/1 (توفي سنة 1262/660).
- الإمام المازري ص 42-43.
- تاريخ الدولتين 29 (وما فيه شهر بابن نيرة تحريف).
- تبصير المنتبه 79/1.
- المشتبه للذهبي 70/1.
- معجم المؤلفين 239/5.
- نزهة الأنظار 218/1 (وفيه على الصواب ابن بزيزة ، وتراجمه تكاد تكون مأخوذة بنصها الحرفي من تاريخ الدولتين).
- ترجمة منقولة من «المشرق في علماء المغرب والمشرق» لأحمد بن محمد القرشي الشريف الغرناطي (المتوفى بتونس سنة 1293/692) وجدتها في وجه الورقة الأولى من «كتاب الإسعاد في مقاصد الإرشاد» .
- نيل الابتهاج 178 ونقل أواخر الترجمة من تقييد للبيسلي الناقل عن «المشرق» للغرناطي والذي ختم الترجمة بذكر وفاته ربيع الأول عام اثنين وستين وستمائة ، قال عقب ذلك أحمد بابا : صوابه ثلاثة وسبعين وستمائة فحققه ، ولم يذكر مستنداً يطمأن إليه للقيام بهذا التحقيق .
- هدية العارفين 581/1.
- بلاد البربر الشرقية في عهد الحفصيين لروبير برانشفيك (بالفرنسية) 376/2.
- محمد محفوظ ، مجلة الفكر ، السنة 13 العدد 3 ديسمبر 1967 ص 52-54.
- شجرة النور الزكية 190.

(1) وتسمى «قوة الإرشاد» لأبي عمرو عثمان بن عبد الله بن عيسى القيسي المعروف بالسلاجي إمام أهل المغرب الأقصى في الكلام والتصوف (ت 1178/574) والسلاجي نسبة إلى سلاجور ناحية من فاس بين الجنوب والشرق فيها عين وادي سير .
شجرة النور الزكية 163، معجم المؤلفين 256/6، الوفيات لابن قنفذ ص 44.

- معجم المؤلفين 239/5.

- الحلل السنديية 665/1 (دار الغرب الإسلامي، بيروت 1984

* * *

42 - بشيس (1332 - 1398 هـ) (1914 - 1978 م)

محمد الصادق ابن الحاج محمود بن محمد بشيس الشريف النسب، أصل سلفه من بني خيار، مولده بتونس في 15 ذي الحجة سنة 1332/2 نوفمبر 1914 ونشأته بها.

الكاتب الأديب المفكر، من أعلام الثقافة الإسلامية، تلقى تعليمه بجامع الزيتونة والمدرسة الخلدونية، وأحرز على شهادة العالمية من جامع الزيتونة، ثم أحرز على خطة التدريس وباشرها بالفروع الزيتونية بالعاصمة وفي حدود عام 1962 انتقل إلى التدريس بكلية الشريعة وأصول الدين.

وانتسب إلى الحزب الحر الدستوري الجديد في مطلع شبابه وعرف بنشاطه في خدمته وخطبه في اجتماعاته فألقي القبض عليه بعد حوادث 9 أبريل 1938 وأودع السجن. وكان معروفاً بالدفاع المتحمس عن قضية فلسطين منذ شبابه الباكر، كاتباً وخطيباً حتى عرف بالشيخ الفلسطيني، ولما تعكر الجو بين الحزب والشيخ الفاضل ابن عاشور على عهد الأستاذ صالح بن يوسف وفي غيبة زعيم الحزب ورئيسه الحبيب بورقيبة المجاهد الأكبر بالشرق، ألقى الشيخ الفاضل بن عاشور محاضرة عنوانها «فلسطين الوطن القومي للعرب» طبعت في رسالة صغيرة، وذلك باسم معهد البحوث الإسلامية على منبر الخلدونية بقاعة المطالعة، رأى الأستاذ صالح بن يوسف ألا ينفرد وحده بالتعريف بالقضية الفلسطينية، ونظم اجتماعات لهذا الغرض بالمدن والقري، وعرف فيها الخطباء بالقضية وباطل دعاوى اليهود الصهيونيين في كون فلسطين وطناً قومياً لهم، وكان المترجم له من جملة الخطباء المعينين للقيام بهذه المهمة، وكثر تخلفه عن دروسه فاستدعاه شيخ الجامع - إذ ذاك - الشيخ الطاهر ابن عاشور ولامه على هذا التخلف وما فيه من إخلال بالواجب، وإن التعريف بقضية فلسطين لا يكون مبرراً كافياً لمثل هذا الإخلال ومن جملة ما قال له: «قضية فلسطين انزبوايها⁽¹⁾» هكذا سمعت منه رحمة رحمه الله.

والرجل شعلة من الذكاء، دائم، على المطالعة المتنوعة فهو يطالع الكتب الخاصة

(1) أي نصير يوزباشية جمع يوزباشية وهي كلمة تركية لرتبة عسكرية تقابل قبطان والضباط في الجيش كانت لهم في العصر التركي بتونس مكانة هي مطمح الأنظار.

بالمخترعات والمكتشفات الحديثة ، وكتب المذاهب الفلسفية والسياسية ، ويقول مبرراً لهذا :
أريد أن أفهم العالم الذي أعيش فيه ، أريد فهمه مادياً وفكرياً . وهو ذو نشاط دائم متواصل ،
فقد كتب في الصحف التونسية منذ سنة 1930 في الشؤون الاجتماعية والثقافية ، وتراجم
رجال معاصرين من تونس ومن الشرق ومنها «رشيد رضا الرجل الذي لا يعوّض» المنشورة
بجريدة «الزهرة» سنة 1935 وكان بعض أصدقائه يتندر عليه من أجل هذا العنوان والإفراط في
تقدير الشيخ رشيد رضا ، وكتب في القضايا الإسلامية وخاض معارك قلمية مع المنحرفين عن
المنهج الإسلامي الذين حاولوا تسميم الأفكار وتشكيكها بالكتابة في الصحف ، ومن أشهر
هذه المعارك جداله الطويل مع الأستاذ محجوب بن ميلاد حول كتاب «من هنا نبدأ» المنشورة
في أعداد متوالية من جريدة «الصباح» وتمتاز كتاباته بالأسلوب المشرق الجميل ، والتفكير
الواضح المنتظم ، وقوة العارضة ، والخيال اللطيف ، وبعض من هذه الكتابات هو قطعة فنية لا
يلبيها طول الزمان .

وكان معجباً بما إعجاب بتفكير الشيخ محمد عبده وتلميذه الشيخ رشيد رضا ومتأثراً
بهما ، وهو لا يحتمل أن يوجه إليهما أدنى نقد ، وكنت ألتخ أحياناً في حديثي معه عما على
الشيخ محمد عبده ومدرسته من مأخذ في المنهج والاتجاه الفكري - وإن كنت مقدراً لهما -
فينبري كالسيل مدافعاً عنهما وهو يعرف جزئيات حياتهما جيداً ، وكتاب تاريخ الأستاذ الإمام
للشيخ رشيد رضا يستشهد به كثيراً ويلم بما فيه لأنه من الكتب المحببة لديه فطالعه مراراً .
وهو واسع الثقافة يريد بمطالعاته أن يطلع على كل شيء وبجده واجتهاده ألم للإماماً واسعاً
بالحركات الفكرية والمذاهب السياسية والفلسفة المعاصرة زيادة عن اطلاعه الغزير على الثقافة
العربية الإسلامية وخبرته الجيدة بالتاريخ التونسي ، وتراجم رجاله في العصر الحديث وروايته
لكثير من طرائفهم ونواديرهم ، يروي الكثير منها عن شيخه وصديقه محمد العربي الكبادي -
رحمه الله - وهو شديد الإعجاب به كثير الحديث عنه والتقدير لمواهبه العلمية .

أول محاضرة سمعتها منه عن جمعية الإخوان المسلمين ألقاها على منبر معهد البحوث
الإسلامية بقاعة المطالعة بالخلدونية وقدمه الشيخ الفاضل ابن عاشور وأثنى على مواهبه العلمية
وأسلوبه في البحث والكتابة وذلك حوالي عام 1946 . وللإخوان المسلمين إذ ذاك صدى غامض
في الأوساط لا يتجاوز أنها مؤسسة إسلامية كبرى بمصر يرأسها الشيخ حسن البنا ، ومن خلال
المحاضرة ارتسمت في أذهاننا صورة صحيحة عن هذه الجمعية وأسباب نشأتها وأغراضها
وأهدافها ووسائلها في العمل وتنظيماتها وليس في ذلك التاريخ أية دراسة عن الإخوان المسلمين
في شكل رسالة ، وقد التقط معلوماته عن هذه الجمعية من خلال مطالعاته في الصحف
والمجلات الشرقية فنسقتها وحللها وأخرجها في عرض جميل وثوب مشرق خلّاب .

وقد تعرفت به وأنا طالب بجامعة الزيتونة ، وكان لقاؤنا الأول بمنزل شيخنا الأستاذ محمد
الشاذلي النيفر مدير كلية الشريعة . وأصول الدين الآن ، واستفدت من سعة اطلاعه وسداد

تفكيره واستمرت هذه الصداقة إلى وفاته فقد كاتبني قبل موته بنحو أربعة أشهر، وعلا هذه الصداقة غبار لم يتجاوز المرتين لاختلاف جزئي في التفكير والاتجاه لكنه سرعان ما ينقشع لصدق النوايا.

كنت وأنا تلميذ أتحادث معه في مختلف الشؤون الأدبية والفكرية والسياسية، وكان يطرفني بالجديد الذي لا أعلم. تحادثت معه مرة عن الإمام فخر الدين الرازي فأفادني بأن له ترجمة في «الوافي بالوفيات» للصفدي وذكر لي أن منه أجزاء كثيرة مخطوطة في المكتبة العبدلية الزيتونية (نقلت كتبها المخطوطة إلى الجامعة التونسية في عهد وزير التربية القومية الأستاذ محمود المسعدي) وفي أول فرصة بادرت بالذهاب إلى المكتبة وطلبت جزءين من الكتاب وهو من المخطوطات النادرة التي لا تسلم للتلامذة، وأشعرني بذلك الموزعون بالمكتبة، وكان المشرف عليها شيخنا محمد الوزير الذي كان موجوداً بها في ذلك اليوم من حسن الحظ فقابلته وأبدت له رغبتني في مطالعة الكتاب، وبعد تردد لبي رغبتني مشكوراً، وأعلمني بأن أطلعته في القاعة الخاصة بالمشايخ المدرسين لئلا يشعر أحد من الطلاب بأني أطلع الكتاب، وقال لي: «إن القانون يمنع إعارة الكتاب لأمثالك» ولكن نظراً لما يعلم من صدقي واجتهادي يعيرني إياه مع التوصية بكامل الصيانة للكتاب لأنه نفيس جداً ونادر الوجود.

ويطول المقام عما استفدت منه خلال محادثتنا، ومنه علمت أسماء هذه الكتب: «الدرر الكامنة» للحافظ ابن حجر، و«الضوء اللامع» للسخاوي، و«المدارك» للقاضي عياض، وقد طالعت بعض أجزاء من هذه الكتب وأنا في طور التلمذة.

وكان لا ييدي تعالياً في المناقشة وكثيراً ما يقول لي، أنت حر في آرائك، إذا خالفته في بعض الآراء، وهذا الخلاف غالباً له صلة بالأدب الحديث كأدب جبران أو بالسياسة.

وكانت أحاديثنا لا تقتصر على ناحية معينة ففيها الأدب والتاريخ والسياسة والثقافة الإسلامية وكان لا يخفي بعض الأحداث والمضايقات التي لحقت في حياته اليومية يحكيها متألماً وبرغم ذلك لا يحيد عن مبدئه ولا يلين لأنه كان في هذه الناحية صعب المراس، معتدلاً بشخصيته متمسكاً بمبادئه لا يساوم عليها ولا يقبل التنازل عنها ولو دميت قدماه ولم يجد الطريق أمامه مفروشاً بالورد.

وفي مجال ما خاضه من معارك قلمية وعلى الخصوص مع الأستاذ محجوب بن ميلاد يقول لي: أنا رجل شريف في خصوماتي لا أتنازل إلى الإسفاف والفوه بما لا يليق أو ذكر كل ما أعلم عن الشخص.

وحكى لي أنه كان مغرمًا بالمطالعة وبالخصوص في كتب الحديث الشريف وتاريخ تونس قبل أن يلتحق بجامعة الزيتونة وأتذكر أنه قال لي مرة أنه كان يلتحق بالشيخ الطاهر ابن عاشور عند مروره بالأنهج القريبة من جامع الزيتونة أو الديوان الشرعي ليسأله عن معنى حديث أو

درجته . واستمر معه حب الحديث النبوي بعد ذلك حتى أنه صار عارفاً بتراجم رجاله يروي الكثير من أحوالهم ومواقفهم المشهورة ونواديرهم ، له اطلاع واسع على دواوين السنة ، ولا يكاد يفوته معرفة درجة حديث من الأحاديث ومظان وجوده ، ويروي الكثير منها في كلامه فيستنبط منها الأحكام والمقاصد ، ويفسر ما فيها من غريب اللغة ، وذكر لي أنه في هذا الطور طالع «رحلة التيجاني» وهي - إذ ذاك - مخطوطة لم تطبع من المكتبة الأحمدية الزيتونية ، وهي ترجع بالنظر إلى شيخ الإسلام الحنفي ، وكان وقتها هو الشيخ محمد بن يوسف ، ولما ذهب إليه وقدم المطلب كتابياً وبإمضائه سأله عن التيجاني وفي أي عصر عاش ، وعن محتوى رحلته وقيمتها ، وما هو غرضه من مطالعتها ؟

فأجابه عن أسئلته بما أعجب به شيخ الإسلام ، وأذن في إعارة الكتاب له ، وقد أثنى على أخلاق شيخ الإسلام وعلمه . وفي خلال عام 1950 أصيب بكسر في رجله على أثر خروجه من منزل شقيقه الأستاذ محمد الطيب بئيس (القاضي الآن والمحامي في ذلك التاريخ) في ليلة ممطرة وكان لا بأساً لحداء «كريب» فزلقت رجلاه وسقط ، وسمع شقيقه السقطلة والأنين فخفف إلى المكان ونقله بسرعة إلى مصحة الحكيم عزيز التي لبث بها أشهراً ، وبعد خروجه تبين بعد مدة أن عملية الجبر لم تنجح ، وإن لم يبادر بتلافي الأمر يخشى منها على صحته وعلى حياته فبادر بالسفر إلى باريس للمعالجة ولبث هناك ما يقرب من خمس سنوات تعلم خلالها اللغة الفرنسية .

وبعد رجوعه عاد إلى مباشرة مهنته وأحاديثه الإذاعية في تبسيط تفسير القرآن بما لا يعلو عن أذهان الجمهور ويستسيغه المثقفون وفي تبسيط الآداب والقيم الإسلامية .

وفي إحدى زيارات الشيخ عبد الحي الكتاني إلى تونس اجتمع به المترجم له وأجازه بجميع مروياته بخطه ، والشيخ عبد الحي الكتاني كان راوية محدثاً له إجازات مغربية ومشرقية واطلاع واسع على الفهارس والمعاجم وتراث المحدثين بحيث أنه كان فريد عصره غرباً وشرقاً ولولا انحرافه السياسي بمشايخته للاستعمار لكان له شأن آخر ومنزلة لا تبارى . وبالجملة فالرجل خصب المواهب متعدد الجوانب ، فهو خطيب وكاتب وباحث . وكان عالي الهمة أبي النفس بعيداً عن الإسفاف متحاشياً لمواطن الشبهات ، حسن الأخلاق ، جمع ما تفرق في غيره من الخصال والمزايا - رحمه الله - وقد خسرت به تونس علماً من أعلامها وتابغاً من نوابغها .

توفي يوم الخميس في 10 ذي القعدة سنة 12/1398 أكتوبر 1978.

مؤلفاته :

1 - شكيب أرسلان وصلاته بالمغرب العربي ، وكان له معه صلات بالمراسلة منذ أن كان

طالباً لإعجاب به بجهاده السياسي وصدقه في خدمة قضايا العروبة والإسلام ، وخصوبة مواهبه . وكان يتتبع إنتاجه ويعرف مراحل حياته وبعض الفقرات من رسائله . حدثني مرة أن الشيخ محمد الكامل التونسي نزيل دمشق هاجم مرة شكيب أرسلان بدون حق ولا حسن فهم وتأثر شكيب أرسلان من ذلك وفي إحدى رسائله قال في حقه : محمد الكامل لا كتمه الله .

2 - الشيخ عبد العزيز المهدي الصوفي دفن المرسى وقد أعلمني في السنوات الأخيرة أنه يعد دراسة واسعة عنه ، وطلب مني هل عندي ما يمت إلى الموضوع بصلة فأرسلت له ترتيب علي بن عبد الرحمان البجائي لرسالة عبد العزيز المهدي «محجة القاصدين وحجة الوافدين» ورسالة أخرى له صغيرة في التصوف نسختها من مجموع في التصوف كان موجوداً بمكتبة الشيخ علي النوري التي نقلت إلى المكتبة الوطنية وأعلمني أنه وجد من كتاب البجائي مخطوطة في مكتبة الشيخ الطاهر ابن عاشور وأنه استعارها منه للمقابلة بين المخطوطتين ، وليت مخطوطتي عنده ما يقرب من خمس سنوات وأرجعها لي قبل موته بنحو أربعة أشهر .

ولما سمعت خبر نفيه من الإذاعة قلت : لا شك أن الرجل صادق كاسمه وصالح إذ أرجع لي نسختي قبل وفاته بزمن يسير .

3 - التصوف في العصر الحفصي وهو من أول مؤلفاته .

4 - الشيخ محمد العربي الكبادي ، وهو شيخه في الأدب وكان معجباً به وقل أن يخلو حديث من أحاديثه من التنويه به .

5 - خطة الحسبة في تونس .

6 - الرعاية الصحية في الإسلام .

7 - دفاعاً عن السنة النبوية .

8 - محمد السنوسي ، حياته وآثاره . ربح سنوات طويلة في الدار التونسية للنشر أسوة بغيره من الآثار التي تدخل هاته الدار ولا يمين عليها مديرها بإطلاق الاسار أو الارجاج لأصحابها . وفي كثير من رسائله تشكى من قضية النشر في تونس ، ويضرب المثل بكتابه هذا ، ويدي يأساً وتساؤلاً عن فائدة التأليف في مثل هذه الأوضاع . وكنت أشجعه على الاستمرار وعدم اليأس ، ومثل هذه الحالة الطارئة يرجى لها الزوال .

طبع الكتاب بعد وفاته بأشهر في 207 ص عدا الفهارس من القطع المتوسط .

9 - أبو عبد الله محمد المرجاني ، وهو صوفي من رجال العصر الحفصي .

- 10 - مكانة الاجتهاد في الإسلام .
 11 - نظرات في التصوف الإسلامي .
 12 - نظرة في حياة الإمام الرازي وآثاره .
 13 - حقق كتاب «خلاصة النازلة التونسية» للشيخ محمد السنوسي وصدرة بمقدمة حافلة طويلة نفيسة، ط في تونس 1976.
 هذا ما أعلم من مؤلفاته، وقد يكون له غيرها لأنه لم يعلمني بكل ما ألف .

المرجع :

- ملتقى الإمام ابن عرفة (تونس 1977) ص545 (قائمة بأسماء مؤلفاته لأنه شارك في هذا الملتقى) وفي هذا الكتاب قائمة في أسماء المشاركين في الملتقى في آخر الكتاب، وذكر مؤلفاتهم إن كانت لهم مؤلفات .

* * *

43 - البسيلي⁽¹⁾ (830⁽²⁾هـ) (1427 م)

أحمد بن محمد بن أحمد البسيلي الجزائري نزيل تونس الفقيه المبشر .

(1) يفتح أوله وكسر ثانيه وفي الضوء اللامع 190/11 قسم الأنساب بكسر أوله وفتح ثانيه وهو ضبط غير صحيح، قال الأستاذ الباحث سعد غراب «فراجع أن اسمه في الأصل هو المسيلي نسبة إلى المسيلة عاصمة الزاب الشهيرة إلى أن قال : هو الإبدال بين الميم والباء أمر معروف شائع في العربية، وهما حرفان شفويان متقاربان ومن أشهر أمثلة الإبدال القديمة بين هذين الحرفين أنه يقال مكة وبكة . ولا تدري متى وقع هذا الإبدال في نسبة البسيلي، هل كانت شائعة في عهده في بعض اللهجات، وعلى كل فهو سمي في بعض المراجع الجزائرية المسيلي : (خاصة : تعريف الخلف وأعلام الجزائر) . والتحريف - فيما يبدو لي قديمٌ لذا لم نشأ إصلاحه . ويلاحظ على كلامه أن الأنساب لا مجال للقياس والاجتهاد فيها وإن الإبدال بين الميم والباء إذا كان شائعاً في اللغة الفصحى فهل هو كذلك في اللهجة الدارجة العامية ومن المعلوم أن ما هو شائع ومطرود في الفصحى لا يلزم أن يكون كذلك في اللهجة الدارجة لأن لها قواعد وخصائص في الاستعمال غير التي في الفصحى وإذا كان قد ذكر مثلاً للإبدال بين الميم والباء في الفصحى فلماذا لم يذكر مثلاً من ذلك في اللهجة العامية ليكون كلامه أدنى إلى القبول ومقنعاً وليكون القياس بدون وجود فارق، وما نقله عن بعض المراجع الجزائرية هي مراجع حديثة وعمدتها ومؤلّوها هي المصادر القديمة فإذا خالفها فإنه ينظر إلى هذا بعين الحذر والاحتراز بل الرفض إن لم يوجد بعد البحث ما يؤيد خلافها المبني على الاجتهاد الشخصي المجرد بدون حجة ولا مستند .

(2) في الضوء اللامع أنه توفي سنة 848.

قرأ على الإمام ابن عرفة ، وأبي العباس أحمد البطرني وعبدالرحمان بن خلدون وأبي مهدي عيسى الغبريني ، وغيرهم . وكان حضوره عند ابن عرفة سنة 1383/785 . كان مدرّساً بالمدرسة الحكيمية (نسبة إلى محمد بن علي اللخمي المعروف بابن حكيم) وكان يقرئ بسقيفة داره كثيراً .

له تفسير قيده عن شيخه ابن عرفة ، وأضاف إليه زوائد من غيره ، وفيه فوائد ونكت ، ذكر فيه بعد أن أورد أسئلة وأجوبة في بعض الآيات «وهذه الأسئلة وأجوبتها وأمثالها وكل ما ذكرنا في كتابنا هذا مما يقع بين الطلبة في مجلس شيخنا ابن عرفة أو بينه وبينهم» ولما ألف هذا الكتاب سمع به الأمير الفقيه الحسين ابن السلطان أبي العباس أحمد الحفصي فراسله فيه وطلبه منه فامتنع وماطله أياماً ثم أرسل إليه وأمر رسله أن لا يفارقه حتى يسلمه لهم ، وأخذ منه من سورة الرعد إلى الكهف ودفع لهم الباقي ، فمضوا به ، ثم مات ومات الأمير أيضاً وبيع التقييد في تركته فسافر به مشتريه إلى بلاد السودان فبقي أهل تونس لا شعور لهم به ، فلذلك كان أصلي نُسَخه من نسخة السودان ، ومن هناك انتشر ، وقد كان الشيخ لما طولب به اختصر منه تقييداً صغيراً جداً . منه نسخة في المكتبة العامة بالجزائر معارضة على نسخة المصنف وقديمة نسبياً مؤرخة في شوال 1007 / ماي 1599 .

وفي الخزانة العامة بالرباط 3 نسخ ، وفي الخزانة الملكية بالرباط نسختان ، ونسخة في مجلد ضخم في الزاوية الحمزية بالمغرب الأقصى ، وفي المكتبة الوطنية بتونس نسخة مبتورة الأول رقم 10792 .

وبين في خطبته مادة جمعه وطريقته فقال : «وهذا تقييد على كتاب الله المجيد قصدت فيه جمع ما تيسر حفظه وتقييده في مجلس شيخنا أبي عبد الله محمد بن عرفة - رحمه الله تعالى - مما كان يديه هو أو بعض حذاق طلبة المجلس زيادة على كلام المفسرين وأضيف إلى ذلك في بعض الآيات شيئاً من كتب التفسير مع ما سمح به الخاطر ، هذا مع ممانعة ما اقتضته الحال من الذهن الجامد والفكر الخامد ، والله سبحانه أستعين فهو خير ميسر وخير معين» .

- 1 - تقييد صغير في التفسير . توجد منه نسخة في المغرب الأقصى في الخزانة العامة بالرباط يبلغ حجمه حوالى سدس التقييد الكبير ، ويعتريه بعض النقص من جراء هذا الاختصار الكبير الذي وصل إلى حد إهمال بعض السور بصفة تامة وخاصة في نهايته إذ يقف في سورة الصف .
- 2 - تقييد في الوفيات - ذكره صاحب نيل الابتهاج في ترجمة ابن بزيزة التونسي .
- 3 - شرح على الجمل في المنطق .
- 4 - شرح على الخزرجية في العروض .

5 - شرح على المدونة .

ولمَّح الرصاع إلى تأليفه فقال : «وله تأليف عديدة وتصانيف حسنة» .

المصادر والمراجع :

- البستان 193 (عرضا في ترجمة ابن عرفة) .
- شجرة النور الزكية 251 (أحمد بن عمر) .
- الضوء اللامع 261/2، 190/11 (قسم الأنساب) .
- كشف الظنون 439-438 .
- معجم المؤلفين 85/2 .
- مكتبة الزاوية الحمزية صفحة من تاريخها لمحمد المنوني ص 15 .
- فهرسة الرصاع 177-175 .
- تعريف الخلف برجال السلف 73/2 .
- أعلام الجزائر ص 37 .
- نيل الابتهاج 77-78 .
- بروكلمان 321/2 .
- سعد غراب : تفسير ابن عرفة ورواياته أو مدخل للدراسة تفسير ابن عرفة الورغمي (في ملتقى الإمام ابن عرفة ص 397-400) .
- توشيح الديباج 58 .
- الحلل السنديسية 633/1 .
- الأعلام 227/1 .

* * *

44 - البشروش (1329 - 1363 هـ) (1911 - 1944م)

محمد بن محمد البشروش ، الأديب الصحفي الناقد القصاص .

ولد بدار شعبان من ولاية نابل في 21 أبريل 1911 وكان أبوه حلاقاً فوجهه للتعليم فتلقى تعليمه الابتدائي بمسقط رأسه ، ثم التحق بمدرسة ترشيح المعلمين بالحاضرة إلى أن تخرَّج منها فعينته إدارة العلوم والمعارف معلماً للعرية بمليته إحدى جزر قرقنة وقضى بها عاماً واحداً ثم نقل إلى نفطة بالجريد وقضى بها ثلاثة أعوام ومدة إقامته بنفطة قال عنها الأستاذ محمد الصالح الجابري في كتابه «الشعر التونسي المعاصر» : توطدت أثناءها صلواته الحميمة بمعظم

أدباء الجريد ومن بينهم أبو القاسم الشابي ، ومصطفى خريف ، والمؤرخان إبراهيم بورقعة ، ومحمد الصالح المهدي ، وهؤلاء كانوا وسيلة إلى المجلات والصحف الأدبية ، فكان التقاؤه بهم للإخصاب في فترة إنتاجه الثري من القصة والنقد والشعر والخصومات الأدبية التي أثارها الأدب التونسي المعاصر .

وبعد مباشرته لمهنة التعليم بنقطة نقل إلى قرية الكريب حيث كلف بإدارة المدرسة هناك ومكث ثلاث سنوات طلب في آخرها الاقتراب من مسقط رأسه فعيّن معلماً للغتين العربية والفرنسية بمدرسة الحمامات ثم نقل من هناك إلى بلدة حمام الأنف لتعليم اللغتين إلى ما قبل وفاته بأسبوع .

هذه هي حياته في مهنة التعليم باختصار ، أما حياته الأدبية فهي ذات نشاط واسع مكثف مع العلم أن مهنة التعليم شاقة تستنفد الوقت والجهد ولا تترك للإنتاج الأدبي مكاناً .

وعلى كل فقد نشر فصولاً نقدية في جريدة «الزمان» بعنوان «تخطيم الأصنام الثلاثة» وفصولاً أخرى كان يمضي بعضها يامضاء محمد عبد الخالق ونشر بعض الأفاصيص في مجلة «العالم الأدبي» وفي مجلة «المباحث» ونشر شعراً منشوراً بعنوان «خواطر مجنحة» وترجم بعض المقطوعات الشعرية عن الفرنسية لبول فارلان وغيره .

ونشر فصولاً بالفرنسية في مجلة «إفريقيا الأدبية» التي كان يصدرها بتونس صديقه م . أستير (Astre) ، منها فصول في التعريف بالأدب والأدباء التونسيين .

وأذاعت له محطة الإذاعة التونسية دراسات عن الأدب التونسي في العصور القديمة قبل الإسلام وشارك في حصة «آخر ما كتبت» . وأصدر مجلة «المباحث» واعتبرت من أرقى المجلات بتونس لدسامة محتواها . وصدر العدد الأول منها في شهر ذي الحجة 1356/1937 وهو إذ ذاك بالحمامات لكنها تعطلت لبعدها عن العاصمة وما يحتاجه الطبع من مال لا يتوفر عند أمثاله من ذوي الدخل المحدود ، ثم استأنف صدورها في 10 أبريل سنة 1944 .

توفي في 15 ذي الحجة 1363/ ديسمبر 1944 بمرض لم يمهله إلا أسبوعاً واحداً وهكذا انطفأت جذوة من النشاط الأدبي الخارق وخمدت أنفاس عبقرية حركت أوصال الأدب وأمدته بنجيع الحياة فترة من الزمن على قصر عمره ومشقة مهنته فليعتبر بذلك الذين يتهبون من الإنتاج بدعوى ضيق الوقت وكثرة الشواغل وليعلموا أن العزائم الصادقة لا يثنيها عن بلوغ هدفها أيّ عائق .

مؤلفاته :

1 - الحياة الفكرية المغربية من أقدم العصور إلى الآن ، أتم بصورة نهائية عصر ما قبل الإسلام

وأوشك أن يتم العصر الأغلبي، وإتمام هذا الجزء بقيت دراسة العصر الرسنسي التاهرتي، وقدر وقوع هذا الجزء في قريب من 200 ص.

2 - كتاب في تراجم عظماء العرب والإسلام في نحو 50 ص وهو كتاب مدرسي في أسلوب شيق محبب إلى التلاميذ.

المراجع:

- البشروش، حياته وآثاره لعبد الحميد سلامة (ط تونس 1978).
- الشعر التونسي المعاصر 269-279.
- محمد الصالح المهدي، مجلة أبحاث محرم 1364 / ديسمبر 1944 ص 76.
- في الأدب التونسي لمحمد الخليوي (تونس 1969) 107-113.
- محمد الهادي المطوي: حول كتاب «محمد البشروش» حياته وآثاره.
- مجلة «الحياة الثقافية» ع 21 ص 7 ماي - جوان 1982، ص 106-113.

* * *

45 - ابن بشرون (كان حياً سنة 561 هـ) (1166 م)

عثمان بن عبد الرحيم بن عبد الرزاق بن جعفر بن بشرون⁽¹⁾ الأزدي المهدي الصقلي أديب . له كتاب «المختار في النظم والنثر لأفاضل أهل عصره» نقل عنه العماد الأصفهاني في «الخريدة» وقال: صنفه سنة 561.

والكتاب من مصادر العماد في قسمين من «الخريدة» المصري والأندلسي حتى إن الباب الثاني من قسم الأندلس خصص لذكر جماعة ممن أوردتهم ابن بشرون في كتابه هذا، ولم يكتف العماد بهذا بل كان يأخذ عنه في غير هذا الباب ويشير إلى ذلك لأن كتاب «المختار» يضم تراجم الشعراء من مصر والأندلس والمغرب والقيروان.

المصادر والمراجع:

- الأعلام 370/4 (نقلاً عن خريدة القصر 2/115).

(1) في رحلة التيجاني 366-367 «ولعثمان بن أبي القاسم بن عبد الرحمن بن حشرون المهدي» وفي التعليق (1) محقق الكتاب: في بعض النسخ «عشرون» وفي بعضها «بشرون».

- كشف الظنون 1624/2.
- معجم المؤلفين 257/6 (نقلاً عن الأعلام).
- توفيق حسين بكار : مصادر من تراثنا مجهولة .
- مجلة الأعلام البغدادية م 2 السنة 3 جمادى الآخرة 1386 تشرين الأول 1966 ص 128.

* * *

46- ابن بشير (كان حياً سنة 562 هـ) (1132 م)

إبراهيم بن عبد الصمد بن بشير التنوخي المهدي أبو الطاهر، من الفقهاء الأعلام، البالغين درجة الاختيار والترجيح، الإمام في الحديث وأصول الفقه واللغة العربية.

أخذ عن الإمام عبد الحميد السوري، وغيره.

وذكر في كتابه «التنبيه» أن من أحاط علماً ترفع عن درجة التقليد، وكان قريباً لأبي الحسن اللخمي دفين صفاقس، وتفقه عليه في كثير من المسائل، ولم يحل ذلك دون تعقبه في كثير من المسائل وردّ اختياراته الواقعة في كتاب «التبصرة» بما لا يخلو من تحامل.

ذكر الشيخ ابن دقيق العيد أنه قتل شهيداً قتله قطاع الطريق في عقبة وقبره بها معروف.

مؤلفاته :

- 1 - الأنوار البديعة في أسرار الشريعة .
- 2 - التنبيه على مبادئ التوجيه، سلك فيه مسلك استنباط الفروع الفقهية من قواعد أصول الفقه وهي طريفة نبه الشيخ تقي الدين آبن دقيق العيد أنها غير مخصصة وأن الفروع لا يطرد تخريجها على القواعد الأصولية وفي هذا الكتاب التعقب والرد على اللخمي .
- 3 - التذهيب على التهذيب (أي تهذيب المدونة للبرادعي) .
- 4 - مختصر في الفقه يحفظه المبتدئون، أكمله سنة 526 هـ.

المصادر والمراجع :

- الديباج 87.
- شجرة النور الزكية 126.
- معجم المؤلفين 48/1.

* * *

47 - البطرزني (703 هـ⁽¹⁾) (1308 م)

أحمد بن موسى بن عيسى بن أبي الفتح البطرزني⁽²⁾ الأنصاري ، أبو العباس ، أحد الكثيرين في الروايات والقراءات ، وشيخ تونس في القراءات نزيل تونس .

قرأ على عبد الأعلى بن عبد الأعلى الشبارتي⁽³⁾ ومحمد بن محمد بن أحمد بن مشليون الأنصاري ، وعلي بن محمد بن أحمد الكتاني لنافع وابن كثير وأبي عمرو ولكتاب «التيسير» ، وعلي القاضي أبي محمد بن أبي بكر بن بوطلة الأزدي ، وسعد بن علي بن زاهر ، ومحمد بن أحمد بن ماجة لورش ، وصالح بن محمد بن وليد الطرطوشي ، والقاضي أحمد بن محمد بن الغماز لنافع ، وأحمد بن لب للسبع سوى الكسائي ، وروى الشاطبية عن أبي بكر عبد الله بن إبراهيم بن أحمد الأنصاري قراءة عليه عن السديد عيسى وعلم الدين السخاوي .

- كما أخذ عن أبي الحسن علي بن محمد بن أحمد بن موسى الكتاني ، والقضاة الثلاثة أبي الفضل بن البراء⁽⁴⁾ ، وأبي البركات عبد الحميد بن أبي الدنيا الصدفي ، وأبي إسحاق بن عياش ، والشرف الجزائري ، وأبي محمد بن الحجام عبد الله بن محمد اللخمي ، وحازم القرطاجني ، وأبي بكر بن حبيش وأبي الوليد بن القطان الغرناطي ، وغيرهم ، وأجازته جماعة من المغرب والمشرق .

قرأ عليه محمد بن سعد بن أحمد بن بزّال الأنصاري ، وأحمد بن فرحون بن عبد الله النفري ، وروى عنه القراءات عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد الواحد بن أبي زكنون .

وروى عنه العبدري المغربي صاحب الرحلة ، وقرأ عليه محمد بن جابر الوادي آشي القراءات الثمان وغيرها ، وسمع منه وأجازته إجازة عامة وكتب له بها على ضعف بصره ، وقرأ عليه القاضي ابن عبد السلام .

توفي يوم السبت في 20 ربيع الثاني .

نظم قراءة يعقوب من طريق الداني نظماً حسناً .

المصادر والمراجع :

- برنامج الوادي آشي ، تحقيق محمد محفوظ (ط بيروت 1980/1400) ص 66-67 .

- (1) اعتمدت ما ذكره تلميذه الوادي آشي في «برنامج» وغيره من المصادر التونسية ، وفي المصادر المشرقية أنه توفي سنة 710 .
- (2) نسبة إلى بطرنة (Paterna) قرية بناحية الميزة أو بقرب بلنسية بالأندلس .
- (3) في غاية النهاية عبد الله بن يوسف الشبارتي وهو غير صحيح .
- (4) في المصدر السالف «براك» وكثيراً ما يقع التحريف فيه بدال وغير ذلك والصواب أنه بالراء المهملة الشديدة .

- تاريخ الدولتين 49.
- الدرر الكامنة (ط مصر) 343/1.
- درة الحجال 13/1.
- الحلل السندسية إق 636-634/3، إق 1048/4 [164/2].
- رحلة العبدري 275.
- شجرة النور الزكية 305.
- غاية النهاية 149-142/1.
- فهرست الرصاع ص 91 تعليق 21.
- رحلة ابن رُشيد المسماة ملاء الغيبة، تحقيق الشيخ الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة (تونس 1982/1402) ص 169-172 ج 2.

* * *

48 - أبو بكر (1317 - 1367 هـ) (1899 - 1948 م)

سعيد أبو بكر، الأديب الشاعر الصحفي .

وُلد في بلدة المكنين الواقعة بين بلدتي سوسة والمهدية من الساحل الشرقي التونسي في 28 أكتوبر ونشأ في بلدته في رعاية عائلة طيبة متواضعة تعلم أولاً في الكتاب حيث استظهر نصيباً من القرآن وتعلم الكتابة، ثم انتقل إلى المدرسة القرآنية، حيث تعلم اللغة العربية ومبادئ العلوم الإسلامية من فقه وتوحيد ومبادئ اللغة الفرنسية. وارتكزت تربيته في وسطه العائلي وبين المثقفين يبلدته على أسس الأخلاق الإسلامية ومحبة الوطن.

وبدت عليه منذ صغره مخايل الفطنة والذكاء والحساسية والشاعرية المبكرة، وكان ذلك جالباً لأنظار أقرانه ومعلميه، وبدأ في قرض الشعر حوالي الحادية عشرة من عمره. ومن حسن حظه أن عني به معلمه ووجهه وشجعوه على قول الشعر وذكر الشيخ راجح إبراهيم في تصديره «للسعديات» (ديوان سعيد أبي بكر الجزء الأول ص 12) أن سعيداً كان يضيق بتشطيبات معلمه لمواضيعه الإنشائية فتوصل إلى جبر المعلم على عدم مس إنشائه بالتجائه إلى الشعر في كتابة الموضوع. قال الشيخ راجح إبراهيم: «ونذكر... على سبيل الفكاهة أن معلماً كان مغرماً بالتنقيح والتشطيب والزيادة والنقص في مواضيع الإنشاء التي يحررها تلاميذه، وقد كان سعيد يجهد نفسه في كتابة الموضوع بصورة كان يتحققها تقنع المعلم ولا توجه لا لتنقيح ولا لتشطيب ولكن بدون جدوى وأخيراً توصل سعيد إلى أن أجبر معلمه على عدم مس كتابته بطريقة شيطانية لم تكلفه إلا كتابة الموضوع قصيدة شعرية لم يجد المعلم إلى نفسه حقاً في مسها خوفاً من الإخلال بالوزن والقافية.

وذكر الشيخ راجح إبراهيم أنه صاغ الشعر ولم يتجاوز العاشرة «وكذلك إن بعض أناشيده في هذا السن ارتضاها أساتيده وجعلوها أناشيد مدرسية لا تزال حتى اليوم تشد بمدرسة المكنين تذكراً لطيفاً لهذا النبوغ».

يقول الشعر ويكتبه في كل مكان، في الموضوع الخالي أو المحل العمومي، ويكتبه في كل وقت لا فرق عنده بين الصباح والمساء. وإذا استعصت عليه قريحته في بعض الأحيان فيكفيه لإخضاعها أن يبدل قلمه أو كرسيه وأن يقوم ويخطو بعض الخطوات ويعود إلى مكانه.

ولم يتجاوز مرحلة التعليم الابتدائي ولكنه كان شغوفاً بالمطالعة يطالع الجرائد التونسية والشرقية التي تصله أو تصل إلى ثلثة من أعيان بلدته المثقفين. وفيها قرأ أشعار صبري، وشوقي وحافظ، وخليل مطران، والرصافي، وعريضة، وشكيب أرسلان، والخورى، والزركلي، والكاظمي، والشبيبي وغيرهم من شعراء وأدباء الإصلاح في الشرق العربي وفي تونس. وهذه المطالعات ألهمت قريحته فكتب العديد من المقالات ونظم ديوانه «الزهرات» ولعل مطالعته لم تتجاوز الجرائد ولم يكرع من مناهل الأدب العربي، ولذلك كانت لغته يشوبها الضعف.

وله قصيدة بعنوان: «أيها الشعراء إلى نهضة الشعب قبل مماته» انتقد فيها القوالب الجامدة في التعبير والأغراض التقليدية من مدح ورتاء وغزل.

وهو أديب ناثر مجدد، قال الأستاذ أحمد خالد عنه: من مظاهر نزعة الثورية الأدبية أنه من القائلين بحل قيود الشعر وإدخال أوزان جديدة عليه. وهو أول شاعر تونسي تجاسر ونظم من الأوزان الجديدة التي ابتكرها شعراء المهجر ومن الأوزان التي ابتكرها لنفسه وأصبح له فضل ابتداعها عند محبذي طريقتة، غير مبال بالانتقاد الذي كان يوجهه إليه أناس كثيرون في بادئ الأمر، ولكن ما لبث أن اقتدى به بعض الشعراء المصريين وأصبحنا نرى من حين لآخر على صفحات جرائدنا من الشعر الجديد.

وسعيد لم يكن من أسرة ثرية، ولعل هذا مما عاقه عن مواصلة تعلمه الثانوي بسوسة أو بتونس وخرج من بلدته يبحث عن لقمة العيش فعمل كاتباً بمكتب الشيخ راجح إبراهيم الوكيل⁽¹⁾ (بمخابية المحامي الآن) بسوسة وكان أحد أعلام الحركة الإصلاحية في مطلع هذا القرن بتونس ومنتمياً إلى الحزب الدستوري القديم وكان مكتبته منتدى يلتقي فيه الأدباء والمثقفون

(1) الشيخ راجح إبراهيم كان وكيلاً فقط لا وكيلاً شريعياً كما وهم الأستاذان أحمد خالد والحبيب الشاوش والوكيل من كان حاملاً لشهادة الحقوق التونسية ورافع في المحاكم الشرعية والمحاكم المدنية (المدنية التونسية ولا يرافع في المحاكم الفرنسية بخلاف من يحمل لقب محام وهو الحامل لشهادة الإجازة في الحقوق من الجامعات الفرنسية والجامعة الجزائرية، والوكيل الشرعي لا يشترط فيه إلا إحسان القراءة والكتابة ولا يرافع إلا في المحاكم الشرعية، وإن كان في بداية إحداث هذه الخطوة يرافع حتى في المحاكم المدنية ولما تكاثرت عدد الحاملين لشهادة الحقوق التونسية ونظمت مهنة الوكالة ألزموا بالانحصار على المرافعة في المحاكم الشرعية، وبعد الاستقلال وتوحيد القضاء الحق الوكلاء بسلك المحامين وانحلت الوكالة الشرعية.

والمشتغلون بالسياسة والمهتمون بالإصلاح والصحفيون بالساحل ليستعرضوا ألواناً من الأدب ويخوضوا في شتى المواضيع التي كانت تشغل بال المثقفين الأيقاظ زمنئذ .

وهذا الاحتكاك الأول بالشيخ راجح إبراهيم وجماعته مكن المترجم له من اكتساب ثقافة وخبرة بالأمر السياسي والاجتماعية ووجهه إلى الأدب الاجتماعي والإصلاحي والسياسي وأنداك بدأ ينشر قصائده السياسية والاجتماعية في جريدة «صدى الساحل» للحاج إسماعيل آبن حميدة منذ سنة 1921 ثم راسل الصحف التونسية الصادرة بالعاصمة «كالنديم» و «الصواب» و «الوزير» و «النهضة» و «لسان العشب» و «مرشد الأمة» وهذه الجرائد كلها وطنية تنطق بلسان الحزب الدستوري القديم ، عدا جريدة «النهضة» التي كانت لسان حال «الحزب الإصلاحي» وربما يكون سعيد يتلقى الترجمة المباشر من الشيخ راجح إبراهيم ، فالصحف الشرقية والمجلات تصل مكتبه ولكنها كان يستعين بكتابه لقرائها له . وهو لا يغفل عن توجيه القارئ وإرشاده إذا أخطأ في القراءة . فقد عرفت رجلاً من أكودة (بلدة الشيخ راجح إبراهيم) عمل في مكتبه ، وكان يقرأ له الصحف والمجلات ، وكان يصوّب له أخطائه عند القراءة حتى استقام لسانه وأصبح لا يخطئ وإذا سئل لماذا قرأ هكذا؟ قال : بالسليقة ، وأنا لا أحسن النحو ، وكان ينظم المقطوعات الشعرية الجيدة ، وأصل تعليم هذا الرجل في الكتاب . وإذا كان هكذا فبالأحرى أن يستفيد منه سعيد استفادة أوسع .

ثم انتقل إلى تونس العاصمة واستقر بها إلى أن توفي في 29 جانفي سنة 1948 وعمل في مكاتب المحامين ، ولم ينقطع عن قرص الشعر والعمل في الحقل الصحافي والحزبي .

وكان ينشر قصائد ذات طابع اجتماعي وسياسي بعنوان «زهرة بعد زهرة» في جريدة «النديم» لصاحبها الأديب الشاعر حسين الجزيري حتى إذا تجمع له منها عدد وافر نشرها في كتيب عنوانه «الزهرات» وذلك بعد جفوة حصلت بينه وبين صاحب النديم بعد أن كانا صديقين حميمين وانقطع عن الكتابة في جريدة «النديم» .

وأصدر مجلة «العالم» بعد أن تسوغ امتيازها من السيد محمد فخري أستاذ الخط بالمدرسة الخلدونية ، وفسخ الامتياز بعد سنة ونصف قبل انتهاء المدة المتفق عليها لخلاف بينه وبين سعيد ، ونشر المترجم له طرفاً من الخصومة في المجلة .

وفي سنة 1937 أصدر مجلة شهرية بعنوان «تونس المصورة» واحتجبت عن الظهور بعد شهر نوفمبر 1943 بسبب دخول الجيوش الألمانية إلى البلاد واستأنفت الصدور خلال سنة 1945 بعد جلاء هاته الجيوش .

وقد نشر في الصحافة قصصاً قصيرة في أغراض اجتماعية .

1 - دليل الأندلس أو الأندلس كأنك تراها ، هو رحلته إلى اسبانيا وهذا الكتاب يشتمل على مجموعة من الصور الفوتوغرافية أخذت عن قصر ابن عباد باشبيلية ومن الجامع الكبير بقرطبة ، وفيه وصف لأثار مدينتي قرطبة واشبيلية وهو في جزئين ، طبع الأول منهما في تونس سنة 1933.

2 - الزهرات ، ديوان شعر صغير جمعه بعد نشره في جريدة «النديم» بعنوان زهرة بعد زهرة قال في المقدمة : «لقد بذلنا مجهوداتنا وجعلنا هذه المجموعة عبارة عن «كشكول» يجد فيها المطالع شيئاً من كل شيء ضرورة أننا كنا نتنقل فيها بقرائنا من الأدبيات إلى الاجتماعيات ومنها إلى الفكاهات والمداعبات كل ذلك حرصاً منا على ارتياح نفس المتطلع إليه ، فإذا هي لم تكن لترتاح إلى ذلك فحسبنا أردنا وحاولنا» . ط بتونس سنة 1930.

3 - السعيديات ، ديوان شعر الجزء الأول وبقي الجزء الثاني غير مطبوع . قال في مقدمته : «إنني أتقدم اليوم بالجزء الأول من ديواني إلى أبناء البلاد وأبناء الشرق وأنا حاسب أنني قد بذلت قصارى مجهوداتي في ترضيتهم وفي تقديم كل شيء نفيس عندي .

ولقد رأيت من الأحسن أن أقدمه إلى القراء من غير تبويب خلافاً لما جاءت به الدواوين التي جرت عادة أصحابها أن يقدموها حسب حروف الهجاء أو حسب أبواب الشعر ، أو حسب تاريخ الحوادث ، أما أنا فقد جعلته شبه كشكول لأنني لم أنظم شيئاً في كثير من الأبواب التي اعتاد الشعراء أن ينظموا فيها مثل المديح والهجاء ، والفخر ، والرثاء ، والغزل ، وغير ذلك ، بل إن جميع قصائدي يمكن أن تكون في باب واحد ليس إلا . هذا وقد أبقى القصائد التاريخية المشتملة على تفصيل حوادث دخلت في التاريخ سواء مما وقعت عليه في الكتب أو مما حضرت عليه بنفسي ، وقد عوّلت على إثباتها في الجزء الثاني من «السعيديات» التي سأشرع في طبعها بحول الله في العام المقبل .

وهو يشتمل على قصائده الاجتماعية والوطنية ، وعلى مقدمة الشيخ الأستاذ راجح إبراهيم وقد أهدها «إلى كل امرأة شرقية تقوم بواجبها في بيتها بين أبنائها ، وإلى كل أستاذ شرقي يقوم بواجبه في قسمه بين تلاميذه وإلى كل فتى وفتاة خرجا من حضن أمهما إلى حضن المدرسة القومية ليخرجا منها عارفين قيمتهما ومقدرين حقوق البلاد عليها . . .» .

ط . بتونس 1927 في 110 من القطع المتوسط .

4 - مؤتمر قصر هلال ، أصله فصول وصفية نشرها بجريدة «النهضة» عن مؤتمر قصر هلال المنعقد في 2 مارس 1934 وأمضى هذه الفصول باسم مستعار «دستوري محايد» خوفاً من اللجنة التنفيذية للحزب الدستوري القديم التي كان منتصفاً إليها .

وقد أعاد طبعها في كتيّب سنة 1936 ونشرها من جديد سنة 1967 الأستاذ محمد الصياح المدير السابق للحزب الاشتراكي الدستوري بعنوان «مؤتمر البعث» وصدّره بمقدمة عن حياة الكاتب .

وله آثار أخرى مبعثرة في الصحف ، حبذا لو تتوفر الهمم لجمعها في كتاب بعنوان : «مقالات سعيد أبي بكر» أو نحو هذا ، منها ارتسامات عن رحلته إلى الجزائر نشرها في جريدة «لسان الشعب» بين سنتي 1927 و 1929 في حلقات متسلسلة بعنوان «عشرون يوماً في عمالة قسنطينة» وفيها وصف للأماكن التي زارها .

المراجع :

- أدباء تونسيون ص 28-45.
- الأعلام 145/3.
- الأدب التونسي في القرن الرابع عشر 128-95/1.
- شخصيات وتيارات لأحمد خالد (ط/2 تونس 1976) ص 65-97.
- مجمل تاريخ الأدب التونسي 321-316.
- معجم المؤلفين 4-221.
- بروكلمان الملحق 499/3.
- الحبيب الشاوش : سعيد أبو بكر الرجل والشاعر الثوري ، جريدة «بلادتي» جانفي 1979.
- زين العابدين السنوسي : مجلة «الندوة» ماي 1953.

* * *

49 - البكري (نحو 380 هـ) (990 م)

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله البكري الصقلي ثم القيرواني ، الفقيه الصوفي .
سمع بالقيروان من علي بن محمد بن مسرور الدباغ ، وحبيب بن نصر الجزري وأبي العرب محمد بن أحمد التميمي ، وزيايد بن يونس اليحصبي ، وأبي إسحاق السبائي وآخرين .
ورحل إلى المشرق فلقى أبا عبد الله محمد بن إبراهيم البلخي ، وأبا الحسن علي بن أحمد بن زكرياء الهاشمي ، وعلي بن الحسين بن بندار وأبا بكر عيسى بن موسى بن هارون الحاتمي ، وسمع بمكة من أبي بكر محمد بن الحسين الأجرّي سنة 970/350.

مؤلفاته :

1 - الأنوار في علم الأسرار ومقامات الأبرار ، في التصوف ، قال الدباغ في «معالم الإيمان» أتى فيه بأنوار المعارف ، وأسرار التصوف ، ما أربى فيه على غيره وفيه المعاني الجليلة بأبداع عبارة ولطف إشارة وبنى قواعد التصوف على الكتاب والسنة وما كان عليه السلف الأول ، وترك الآراء والاستحسان .

وما قاله الدباغ من انبناء قواعد التصوف في كتاب «الأنوار» على الكتاب والسنة الخ . . . يؤيده في جملته الباحث الكبير الدكتور إحسان عباس ، صانه الله .

ولاحظ الدكتور إحسان عباس : وفي تصوف الشيخ البكري الصقلي إلى جانب الروح الفقهية تمسك شديد بمذهب أهل السنة وليس في كتابه إشارة واحدة لأهل البيت أو لعلي بن أبي طالب .

وقال في وصف الكتاب ومكان وجوده «وكتاب الأنوار في ستة أجزاء ولكن ليس للجزء الواحد منها موضوع مستقل ، فكل جزء مشتمل على أقوال متفرقة لا تجمعها وحدة موضوعية . يوجد ضمن مجموعة مخطوطة رقم 23 تصوف بدار الكتب المصرية ومعه أيضاً كتاب الدلالة على الله تعالى للمؤلف نفسه .

2 - كتاب فيه الدلالة على الله تعالى توجد منه قطعة ضمن المجموع السالف الذكر . وهذه القطعة تشتمل على كثير من الحكايات المروية عن الصوفية وكراماتهم وكثيراً منها مما سمعه عن شيوخه وفيها أقوال لمشاهير الصوفية كبهلول ، وبشر بن الحارث ، وإبراهيم بن أدهم ، وسفيان بن عيينة ، وحكايات عن الخضر وشعيب .

3 - الشرح والبيان لما أغفل من كلام سهل بن عبد الله التستري .

4 - صفة الأولياء ومراتب أحوال الأصفياء .

5 - كرامات الأولياء والمطيعين من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان .

وكان ابن أبي زيد القيرواني كثيراً ما ينكر عليه كرامات الأولياء من قلب الأعيان وادعاء رؤية الله في اليقظة ، وألف كتاباً يقتضي إنكار الكرامات وإنكار الرؤية ، فأنكر عليه ذلك علماء عصره ، وأرسلوا سؤالاً إلى بغداد أوصلوه إلى القاضي أبي بكر بن الطيب الباقلائي ، فأجابهم بجواز ذلك وألف كتاباً في جواز الكرامات .

المصادر والمراجع :

- شجرة النور الزكية 198 .

- العرب في صقلية الدكتور إحسان عباس (ط . دار المعارف بمصر 1959) ص 115-119.
- معالم الإيمان 181-183/3.
- معجم المؤلفين 181/5.
- هدية العارفين 514/1.
- الأعلام 335/3 (ط/5).
- إيضاح المكنون 476/1.

* * *

50 - البكري (كان حياً سنة 1037⁽¹⁾ هـ) (1628 م)

محمد تاج العارفين بن أبي بكر بن أحمد البكري العثماني من سلالة سيدنا عثمان بن عفان - رضي الله عنه - وجدّ البكرين الذين ينتسبون إليه هو الشيخ أبو بكر دفين المنيهلة من غابة تونس .

والشيخ تاج العارفين هو أول من تولى الإمامة بجامع الزيتونة من بيت البكرين واستمرت الإمامة وراثية في هذا البيت مدة 173 سنة .
وكانت ولايته الإمامة في سنة 1624/1034 أو في السنة التي بعدها .

قرأ على الشيخ أبي يحيى بن قاسم الرصاع وهو الذي أشار إلى توليته الإمامة بجامع الزيتونة ، وقرأ على غيره . وأخذ عنه ابنه أبو بكر ومحمد بن فتاة ، ومحمد الحجيج ، وعيسى الثعالبي الجزائري ثم المكّي .

وكان يقرئ بجامع الزيتونة صحيح البخاري ودروساً أخرى في علوم الدين .

قال ابن أبي دينار في «المؤنس» واصفاً انفراده بالرواية والدراية في علم الحديث في العصر التركي ، ومجلس درسه في البخاري : «ولم يكن بالديار التونسية يوم حل بها العسكر العثماني من يتعاطى الرواية والدراية إلا الشيخ العلم الرباني أبو عبد الله محمد تاج العارفين العثماني - سقى الله ثراه بالرحمة والرضوان - وكان مجلسه بالجامع الأعظم من أجل المجالس ويحضره الأجلاء من أهل العلم وتدور بينهم المباحث الجميلة ولا يخلو مجلسه من فوائد في

(1) الذين ترجموا له لم يذكروا تاريخ وفاته وهذا يدل على انحطاط الحركة العلمية في عصره وعدم وجود من له عناية بالتاريخ وغاية ما علم من جزئيات حياته أنه كان حياً عام السطارة ، وقد يكون عاش زمناً بعدها فإن صديقه عبد الكريم بن الفكون توفي بعد هذا التاريخ بزمان ، ولكن ليس هناك أية وثيقة تثبت حياته بعد واقعة السطارة فيظل بالضرورة كل استنتاج أو استنباط لا مستند له إلا التخمين .

الثلاثة أشهر: رجب وشعبان ورمضان إلى يوم الحتم وهو يوم السادس والعشرين رمضان». وتزوج بنت الشيخ الصالح الصوفي الثري أبي الغيث القشاش قال ابن أبي الضياف: «ومنه أشجر عليهم غالب الأملاك التي بأيديهم».

وجرى بينه وبين صديقه عبد الكريم بن الفكون⁽¹⁾ القسنطيني مراسلات⁽²⁾.

ولما وقعت الحرب بين تونس والجزائر من أجل الخلاف حول الحدود المقررة بينهما منذ سنة 1614/1023 في واقعة السطارة⁽³⁾ - ويقال الستارة - هو اسم مكان قرب الكاف من التراب التونسي وذلك في 11 رمضان 17/1037 ماي 1628 على عهد يوسف داي⁽⁴⁾ والي تونس وحسين باشا والي الجزائر. وتشكل وفد خرج من تونس يتركب من المترجم له، والشيخ مصطفى شيخ الأندلس، والشيخ إبراهيم الجديدي الغرياني القيرواني، والشيخ عبد النبي خطيب جامع القصر ومن معهم، لعقد الصلح وتعيين الحدود فكان الحد بين الولايتين وادي سراط بحيث أن غريبه للجزائر وشرقية لتونس، وكتب رسم التحديد بشهادة المفتي المالكي الشيخ قاسم البرشكي، والشيخ محمد بن أبي الربيع الحنفي، ورمضان أفندي خطيب الجامع اليوسفي بتونس، وعلي أغة الجزائر ورجع المترجم له بعد تمام الصلح وإقرار الهدنة.

له: «إعمال النظر الفكري في تحرير الصاع النبوي التونسي لتؤدى به زكاة الفطر في 21 ورقة من القطع المتوسط بالمكتبة الوطنية».

المصادر والمراجع:

- إتحاف أهل الزمان 67/7.

- برنامج المكتبة العبدلية 275/4.

- شجرة النور الزكية 294-293.

(1) بفتح الفاء وتشديد الكاف الفارسية المعقدة ولذلك يكتب أحياناً الفقون (بالقاف المعقدة) كما هو الشأن في تناوب هذين الحرفين. كان فقيهاً لغوياً صوفياً له فيها تأليف، توفي سنة 1663/1073.

(2) أورد منها رسالة في «مسامرات الظريف» ص 111.

(3) كانت بإجراء ثابت بن شونف المتغلب على بلد الكاف لوالي الجزائر حسين باشا. أنظر إتحاف أهل الزمان 33/2 وتاريخ الجزائر العام لعبد الرحمن بن محمد الجيلالي (ط الجزائر 1955/1375) 371/2-372، المؤنس في أخبار أفريقية وتونس لابن أبي دينار (ط 3) ص 208، نزهة الأنظار 38/2.

(4) الجولة الأولى انتصر فيها الجيش التونسي على الجيش الجزائري حتى إن هذا الأخير طلب الصلح ثم دارت الأحوال وانقلب النصر إلى هزيمة ساحقة بسبب وجود الإعراب في الجيش التونسي وهم يعرفون الفوضى ولا يعرفون الانضباط، وغنم الجيش الجزائري من الجيش التونسي 22 مدفعاً عندئذ تذكر يوسف داي مسألة حقن الدماء وبادر إلى طلب الصلح، أما في أول الأمر عندما انتصر فلم يحفل بحقن الدماء وسد أذنيه عن طلب الصلح.

- مسامرات الظريف بحسن التعريف لمحمد السنوسي 110-114.
- المؤنس 317.
- الحقيقة التاريخية للتصوف الإسلامي 303-304.
- المؤرخون التونسيون (بالفرنسية) 39-40.

* * *

51 - البلهوان (1326 - 1377 هـ) (1909 - 1958م)

علي بن عبد العزيز بن علي البلهوان⁽¹⁾ الزعيم والمناضل السياسي والخطيب والكاتب الصحفي المفكر، شخصية من ألمع الشخصيات التونسية سياسياً وفكرياً في العصر الحديث، ذات مواهب خصبة وجوانب متعددة.

كان خطيباً ساحراً يرتجل الخطب الطويلة باللغة الفصحى المبسطة التي لا تملو عن أذهان الجماهير بدون أن يتلثم أو يكرر المعاني بالفاظ مختلفة، في لهجة حماسية مؤثرة ونبرة قوية تمتلك القلوب. وهو كاتب مشرق الأسلوب، قوي البيان لا يميل إلى الاستطراد، منتظم التفكير وهو محاضر بارع يتحدث في المشاكل الفلسفية، يشد إليه الانتباه بغزارة معارفه وسعة إطلاعه ولا يغفل عن التلميح إلى مظالم الاستعمار ومساوئه وصمود الحركة الوطنية في نضالها، ودأبها في فضح ألعيبه ودسائسه، وهو في خطبه صاحب شجاعة أدبية لا يرهب ولا يستخذي بل يرسل كلماته مجلجلة مدوية، غير هباب ولا وجل ولو في الظروف العصيبة الحرجة.

ولد بتونس في 13 أفريل وتلقى تعليمه في الكتاب حيث حفظ القرآن وأخذ مبادئ الكتابة وفي سنة 1917/1334 التحق بمدرسة خير الدين الابتدائية ومكث بها سبع سنوات خرج منها على أثرها محرزاً على الشهادة الابتدائية، ثم دخل المدرسة الصادقية في أكتوبر 1924 وليث بها سبع سنوات إلى أن خرج محرزاً على شهادة الديبلوم في عام 1931/1350 ثم سافر إلى باريس لمواصلة دراسته فالتحق بكلية الآداب بجامعة السربون وتابع دراسة الآداب العربية والفلسفية بداية من سنة 1932 وتخرج منها محرزاً على الإجازة وفي مدة إقامته بباريس كان نشاطه موزعاً بين الإقبال على الدراسة والنشاط السياسي، فقد انخرط في منظمة نجم الشمال الأفريقي، وقدم لها خدمات جليلة، وعمل في جمعية طلبة شمال أفريقيا ومعنى هذا أنه كان منذ تلك الفترة مؤمناً بوحدة أقطار المغرب العربي، وأن لها مصيراً واحداً رغمًا عن سياسة الاستعمار في تجزئتها وأملها في البقاء في هذه الأقطار.

(1) ينحدر من أسرة تركية الأصل، والبلهوان كلمة تركية معناها المصارع.

وبعد تخرجه رجع إلى مسقط رأسه ، وعيّن أستاذاً بالمدرسة الصادقية في سنة 1935 فبث روحاً جديدة في تلاميذه قوامها الفكرة الوطنية الصادقة ، والاعتزاز بالشخصية القومية ، ومقاومة مكائد الاستعمار ودسائسه .

وخشي الاستعمار من سريان هذه الروح الجديدة في أوساط الطلبة ، فسلط عليهم العقوبات الصارمة ومنها الطرد النهائي ، ورأى الاستعمار في هذا الأستاذ الجديد خطراً على سياسته فأقصاه الكاتب العام للحكومة كاترون عن وظيفته في 15 مارس 1938 بدعوى أنه قام بجولات دعائية لفائدة الحركة الوطنية ، فما استخذى ولا استسلم ، ووالى نشاطه في الحزب الحر الدستوري الجديد .

وكان لقرار الفصل رد فعل في كل الأوساط الشعبية فأضرب طلبة الصادقية وجامع الزيتونة وطلبة المدارس الأخرى ، وتأسست في تونس «لجنة الاتحاد الزيتوني المدرسي» للعمل على تنسيق نضال الطلبة إلى جانب الحزب ، وعقدت اجتماعها الأول بنادي الحزب في اليوم الثاني من أبريل 1938 وحضره زهاء ثلاثة آلاف طالب .

وشارك المترجم له في مؤتمر الحزب المنعقد في 30 أكتوبر - 2 نوفمبر 1937 وكان انضمامه إلى الحركة الدستورية عام 1936.

وكان انعقاد هذا المؤتمر من أجل تغيير الحكومة الفرنسية (الجهة الشعبية) التي وعدت بإدخال إصلاحات جوهرية على أجهزة الحكم بتونس ، ورأى الاستعماريون الفرنسيون بتونس أن هذا الوعد لا يتفق مع مصالحهم فسعوا إلى نشر الفوضى والاضطراب ، فأطلق البوليس النار على العملة المضربين في المتلوي في 8 مارس 1937 فأردى منهم 19 قتيلًا وجرح الكثير منهم ونتيجة لذلك غيرت الحكومة الفرنسية سياستها وعدلت عن تنفيذ الإصلاحات التي وعدت بها .

وقرر الاستعمار الفرنسي مصادمة الحركة الوطنية وإلقاء القبض على رجالها ، وفي هذا الجو من الفزع والرعب وقعت مظاهرة شعبية أمام القصر الملكي بحمام الأنف في 7 أبريل 1938 وهتف المتظاهرون بحياة تونس واستقلالها .

وقاد المترجم له مظاهرة كبرى سارت من ساحة الحلفاوين والتقت في باب البحر بالمظاهرة الثانية التي قادها الزعيم المنجي سليم والتي انطلقت من معقل الزعيم ، وكانت الجماهير تنادي بيلمان تونسي ، وكانت ساحة الإقامة العامة (السفارة الفرنسية) مطوقة بالجيش والدبابات والسيارات المصفحة وفي هذا الجو المكهرب اعتلى المترجم له أكتاف الشبان والعلم التونسي يرفرف إلى جانبه وارتجل خطاباً ثورياً حماسياً رائعاً من أهم ما جاء فيه : «جننا في هذا اليوم لإظهار قوانا أمام هذا العاجز (يقصد المقيم العام أرمان قيون) الذي لا يقدر أن يدبّر شؤونه بنفسه ويتنازل عنها إلى «كاترون» (أي الكاتب العام للحكومة) ذلك الغادر الذي لا يزال يكيد للتونسيين ، ويريد سحقهم في هذه البلاد لا قدر الله .

ولم تكن هذه المظاهرة وذلك الخطاب الناري يبران بدون رد فعل عنيف من السلطة الاستعمارية، فألقت القبض على المترجم له في 9 أفريل وسرى الخبر في العاصمة سريان البرق وتجمع المتظاهرون أمام المحكمة الفرنسية للسؤال عن مصير هذا الزعيم الشجاع، وبادر البوليس إلى تفريق جموع المتظاهرين ضرباً بالعصي وإطلاق الرصاص، كما خرج الجيش من ثكنة القصبه وجال في شوارع باب المنارة وباب البنات وباب السويقة وفي حركة جنونية ألقى القبض على المارة، وأطلق الرصاص فقتل 122 تونسياً وجرح أكثر من ستين، ودامت المعركة نحو ساعتين وزادت شراسة الاستعمار بعد قتل أحد الجندرمة وإحراق عربة ترمواي قرب باب سويقة، وقرر اعتقال قادة الحركة الوطنية بتهمة التآمر على أمن الدولة في فجر 10 أفريل. وكان من بينهم المجاهد الأكبر الحبيب بورقيبة، والحبيب بوقطفة، والبحري قيقة، وصالح بن يوسف، والطاهر صفر، والمنجي سليم، والهادي شاكر.

وفي هذه الفترة سجن المترجم له بتونس ثم نقل إلى تبرسق، ثم نقل في عام 1941 إلى برج سان نيكولا في مرسيليا.

وفي أثناء الحرب العالمية الثانية وانهزام فرنسا واحتلالها من قبل الجيوش الألمانية وإخضاع بقية ترابها للسيطرة الألمانية مما استثنته الهدنة في أول الأمر أطلق سراحه مع بقية رفاقه من المسجونين السياسيين في أفريل سنة 1943 وعاد إلى وطنه في 18 أفريل وكانت عودة هذا المناضل العنيد لا لينعم بالراحة بل ليواصل العمل فأشرف على إعادة تنظيم الحزب وإعادة تكوين إدارته وتجديد هياكله وعقد الاجتماعات الدورية في المدن والقرى وألقى المحاضرات ذات الصبغة الفلسفية والأدبية على الطلبة في جمعية قدماء الصادقية والمدرسة الخلدونية، وفي السنة الدراسية 1945-1946 حضرت محاضراته في علم النفس وتاريخ الفلسفة الإسلامية في الخلدونية فأعجبت بحسن بيانه وغزارة اطلاعه وحيوية أسلوبه، وكانت لا تعن فرصة للحديث عن الحركة الوطنية إلا اهتبلها واستخلص العبرة واستنبط النتائج.

وفي أكتوبر 1948 انتخب عضواً في الديوان السياسي على أثر انعقاد المؤتمر المعروف بمؤتمر دار سليم وبعد انتخابه بذل نشاطاً سياسياً كبيراً قصد بعث الوعي القومي وتنظيم الحركة الوطنية وكتب في الصحف المنتemie إلى الحزب ولم تتم عين الاستعمار عن نشاطه فمنعه من إلقاء محاضرة تحت إشراف جمعية الاتحاد الصفاقسي الزيتوني بتونس.

وبعد سنوات قليلة ازداد تصلب الاستعمار وتعنته وقرر الحزب إرساله إلى المشرق العربي يوم 14 سبتمبر 1951 للتعريف بالقضية التونسية وبجهاد الحزب ونشاطه فتوجه إلى القاهرة واتصل فيها بالجامعة العربية، وبيّن لدى مسؤوليها موقف تونس من فرنسا، وكتب في الصحف وعقد الندوات والمحاضرات، وتكلم في الإذاعات باسطاً للقضية التونسية ولسياسة فرنسا الاستعمارية، ثم سافر إلى العراق سنة 1952 أثناء قيام الثورة في تونس وليث فيه أكثر من عام، وقام بنشاط كبير على غرار ما قام به في مصر، وعيّن أستاذاً محاضراً في جامعة بغداد.

وعاد إلى القاهرة في حدود سنة 1953 وعندما أعلنت فرنسا استقلال تونس الداخلي على لسان رئيس الحكومة منداس فرانس في جوان 1954 وتألقت الوزارة التفاوضية في أوت 1954 وفي أثناء المفاوضات رجع إلى وطنه ليواصل مسيرة الكفاح من جديد فأشرف على العديد من اللقاءات وتم اختياره في شتاء عام 1955 كاتباً عاماً للجنة «التعاضد القومي» وساهم في إنجاح مؤتمر صفاقس المنعقد أيام 15-18 نوفمبر 1955 وترأس مصلحة النهوض الاجتماعي بالحزب إثر توقيع وثيقة الاستقلال التام (20 مارس 1956) وانتخب عضواً في المجلس التأسيسي نائباً عن جهة سببلة، ثم انتخب أميناً عاماً له، ثم مقررراً عاماً لمشروع الدستور وعندما أُلغيت الملكية وأعلنت الجمهورية في 25 جويلية 1957 عيّن المجلس التأسيسي وفداً للإبلاغ آخر بايات تونس (محمد الأمين) قرار إعلان النظام الجمهوري، وهذا الوفد يتركب من السادة: أحمد المستيري، وأحمد الزاوش، وإدريس قيقه (وزير الداخلية الآن) والطيب المهييري، وصاحب الترجمة.

وكان ضمن الوفد التونسي للأمم المتحدة عام 1956 وترأس وفد تونس إلى المؤتمر الأفريقي الآسيوي في ديسمبر 1957، ووفد العلماء في ندوة لاهور للشعوب الإسلامية.

وفي سنة 1957 انتخب رئيساً لبلدية العاصمة، وعيّن ضمن الوفد الرسمي الممثل لتونس في مؤتمر طنجة المنعقد في 27-29 أبريل 1958 واختير ليكون ضمن النواب الجزائريين والمغاربية الذين كلفوا بإبلاغ قادة المغرب العربي بنتائج المؤتمر ومقرراته، وكاد ينهي هذه المهمة مع بقية أفراد اللجنة في 11 مارس 1958 ولكن الموت الفجائي قضى عليه قبل ذلك بيومين إذ فارق الحياة في 20 شوال 1377/9 مارس 1958 في الساعة الرابعة والربع مساءً على أثر سكتة قلبية وهكذا انطلقت شعلة من الحماس المتأجج والعمل الدائب المتواصل والفكر النير الحر.

مؤلفاته :

- 1 - الاقتصاد التونسي (مخطوط) درس فيه مشاكل الاقتصاد بالبلاد وقضية تزايد السكان وبسط نظرياته في خصوص الأراضي المهملة، وقلة الأمطار وندرة المياه في الجنوب.
- 2 - تصميم العاصمة (مخطوط) ألفه أثناء رئاسته لبلدية العاصمة.
- 3 - تونس الثائرة - ألفه بالقاهرة، وطبع في تونس بلا تاريخ، سجل في هذا الكتاب فضال الشعب التونسي على مر العصور، وبالخصوص الفترة العصيبة التي مرت بها (1949-1954) والكفاح البطولي للشعب في هذه الفترة وسجل فيه تاريخ الحركة الوطنية وصراعها مع الاستعمار والتجاء الاستعمار في طوره الأخير إلى الاغتيال مثل اغتيال فرحات حشاد والهادي شاكر، والطور الأخير من الكفاح بقيام ثورة 1952.
- 4 - ثورة الفكر أو مشكلة المعرفة عند الغزالي، مط الإرادة تونس بدون تاريخ، نشر معظم فصوله في مجلة «المباحث»، وحلّل في الكتاب شخصية الغزالي، وأطوار حياته وأبرز

قيمة مؤلفاته ، ودرس آراءه الفلسفية ومنهجه مقارناً بينه وبين بعض فلاسفة الغرب كدافيد هيوم ، وإيمانويل كانت ، وهنري برغسون وغيرهم وأبان في هذا الكتاب عن اضطلاعهم في الفلسفة الإسلامية واطلاع واسع على الفلسفة الحديثة وسيطرة فكرية على ما توفر لديه من آراء ومعلومات .

- 5 - شمال أفريقيا (مخطوط) وهو ترجمة لكتاب المؤرخ الفرنسي شارل اندري جوليان .
- 6 - مذكرات زعيم ، يشتمل على قسم وافر من مذكرات الزعيم الحبيب بورقيبة التي حررها ما بين سنتي 1940-1941 في سجن نيكولا بمرسيليا ، وكان معتقلاً معه (مخطوط) .
- 7 - نحن أمة كتيب في 44 ص ط تونس بلا تاريخ ، دوّن فيه محاضرة كان ألقاها في نوادي الجمعيات الثقافية والحرب العالمية الثانية على وشك النهاية (1944) وفيه رد على من أنكروا وجود أمة تونسية وجحد شخصيتها وتاريخها .

المراجع:

- رشيد النوادي : علي البلهوان حياته وآثاره ، ط تونس 1974 .
- الأعلام 300/4 (ط/4) .
- حياة كفاح لأحمد توفيق المدني (الجزائر) 339-338/2 .

--- * * *

52 - البليث (1252 هـ) (1837 م)

عبد الله بن عبد اللطيف البليث الصنهاجي القيرواني ، نشأ ببلده ، وأخذ عن أعلامها كالشيخ قاسم أبو الأجفان التميمي ، والشيخ محمد بن عبيد الغرياني ، وغيرهما .
توفي في ذي الحجة 1252 / مارس - أفريل 1837 .
له نظم سماه : إيقاظ الغافل في تاريخ الأفاضل جمع فيه معالم الإيمان .

المصادر:

- إتحاف أهل الزمان 25/8 (فيه البليث) ، وهو تحريف . وهو لقب أسرة موجودة إلى الآن بالقيروان .
- تكميل الصلحاء والأعيان 195-198 .

* * *

53 - البليش (1317 - 1384 هـ) (1899 - 1964 م)

محمد الصادق ابن الشيخ محمد بن الشيخ حمودة البليش الصنهاجي القيرواني ، الفقيه من أعلام المذهب الحنفي ، والخطيب المفضّوه .

نشأ في بيت علم وتقوى . قرأ القرآن العظيم وأخذ مبادئ العلوم على المشايخ : البشير غاتم ، ومحمد الأسود الفهيم ، ومحمد شويشة ، ومحمد فلح .

وفي عام 1913 التحق بجامعة الزيتونة ، وأخذ عن أعلامه كبلحسن النجار ، والشقيقتين إبراهيم والبشير النيفر ، ومحمد العزيز جعيط ، ومحمد النخلي القيرواني ، ومحمد الصادق النيفر ومحمد بن يوسف شيخ الإسلام الحنفي ، وأحرز على شهادة التطويح سنة 1917 وتابع دروس المرتبة العليا بجامعة الزيتونة وأقرأ دروساً من سنة 1918 إلى سنة 1921.

انتدبه القاضي الحنفي بتونس الشيخ محمد رضوان السوسي لكتابته الخاصة بالديوان الشرعي وعهد إليه بتحرير الرسائل والأذون الشرعية الهامة وإعداد مسودات الأحكام ، وتمثيله في المقابلات الوزارية والإدارية بداية من شهر ماي 1921.

وفي عام 1926 نجح في مناظرة كتبة رسميين فتحتها وزارة العدلية وتولى كتابة الدائرة الثالثة ثم الدائرة الرابعة ، واعتلمه وزراء العدلية في إعداد معروضات الترجيح بين آراء شيوخ المجلس الشرعي الحنفي فيما يكون محل خلاف بينهم ، ويصدر بشأنه معروض ملكي ، ولهذا أسندت إليه رئاسة الدائرة الرابعة على إثر وفاة الشيخ محمد بوشارب الهلالي (من بلدة قصر هلال) آخر سنة 1940.

وفي خلال سنة 1941 رقي إلى رتبة مفت حنفي بالقيروان مع استمرار تكليفه بالدائرة الرابعة . وفي سنة 1951 أعفي - وهو بالأراضي المقدسة - من رئاسة الدائرة الرابعة ، وكلف بالقضاء الحنفي لفصل القضايا المنشورة بدائرة قضاء القيروان .

وحوالى سنة 1950 تولى تحرير محضر جلسات المجلة الشرعية بوصفه كاتباً للجنة المجلة التي عملت طويلاً برئاسة الشيخ محمد العزيز جعيط .

وفي سنة 1956 أحيل على التقاعد فتنفّغ للإمامة والخطابة بجامعة محمد أبي الخيرات الحنفي بالقيروان ، وقراءة الصحيحين في مقام أبي زمة البلوي .

كان يستظهر جميع مسائل الفتاوى الهندية ، والفتاوى الخانية ، والكنز ، والبحر ، ويعرف مسائل الخلاف والوفاق بين أبي حنيفة وأبي يوسف .

قام بثلاث رحلات إلى مصر ، وسوريا ، ولبنان ، والمسجد الأقصى ، والحرمين الشريفين خلال أعوام 1951 ، 1954 ، 1964 وفي كل مرة يقيم بالمدينة المنورة شهرين يختم القرآن في

كل يوم ، ويختتم الصحيحين في الروضة النبوية ، وفي موسم عام 1964 خارت قواه الصحية فسقط في المطاف قبل أن يتم أشواطه ، وتوفي وهو محرم ، ونقل جثمانه إلى القيروان حيث دفن بالمقبرة الصنهاجية بالجناح القبلي من مقابر قريش إلى جانب المرهف بن تميم بن المعز بن باديس ضمن قبور أسلافه ، وذلك يوم الأحد موفى جمادى الأولى 1384/4 أكتوبر 1964.

مؤلفاته :

- 1 - ابتهالات وأدعية وفضل ختم القرآن والحديث في جزئين كل واحد منهما في أكثر من 100 ص .
- 2 - جمع الأحاديث المفردة الواردة في صحيح البخاري وتعليق على الأحاديث المكررة .
- 3 - خطب منبرية تعتبر من أشمل الخطب وأبلغها وأجمعها لأصول الأخلاق الإسلامية والهدي المحمدي ومعالجة الأمراض الاجتماعية .
- 4 - دروس إنشائية ومنتخبات أدبية ط تونس ، قال عنه الشيخ محمد الفاضل بن عاشور : «وكتاب الشيخ الصادق البليش «القواعد الإنشائية» بما حوى من القواعد والتوجيهات ، وما اشتمل عليه من المثل الأدبية المنتقاة بتقسيمها وتنسيقها والكشف عن مظاهر الجمال البلاغي فيها يعتبر مثالا للنقد الأدبي والتوجيه البلاغي الذي هو من أخص خصائص النثر العلمي» .
- 5 - مجموعة في التعريف بمعالم ومساجد القيروان ، تبنت ولاية القيروان بعضها وجعلتها في نقائش من الرخام علقت على جدران تلك المعالم .
- 6 - مجموعة في الصلوات على النبي ﷺ .
- 7 - مجموعة من الأحكام الشرعية التي أصدرها ، مجلدان .
- 8 - مختصر في مسائل الأفضية طبق المذهب الحنفي .
- 9 - مناسك الحج على مقتضى المذهب الحنفي في نحو 100 ص .

المراجع :

- الحركة الأدبية والفكرية في تونس ص 137.
- محمود الباجي : جريدة «الصباح» 22 رجب 1384 ، 13 ديسمبر 1964 السنة 14 العدد 3794.

* * *

54 - ابن بليمة (427 أو 428 - 514هـ) (1036 أو 1037 - 1120 م)

الحسن بن خلف بن عبد الله بن بليمة (بفتح الباء الموحدة في أوله وتشديد اللام المكسورة وبعدها ميم مفتوحة وهاء آخر الحروف) الهواري المالكي القيرواني، أبو علي، نزيل الإسكندرية، العالم بالقراءات.

عني بالقراءات فقرأ بالقيروان على أبي بكر القصري إمام جامع القيروان، والحسن بن علي الجلولي، وعبد الحق الجلاء وأبي العالية البندوني، وعثمان بن بلال الزاهد، وعبد الملك ابن داود القسطلاني، وأحمد الحجري، ومحمد بن أبي الحسن الصقلي يعرف بابن بنت العروق، وعبد المجيد بن عبد القوي، وعبد المعطي الصفاقسي، وأبي إسحاق بن العجمي، وعمر بن أبي الخير الخراز صاحب علي بن أبي طالب صاحب أبي الطيّب بن غلبون، ورحل إلى مكة فقرأ على أبي معشر عبد الكريم بن عبد الصمد بن محمد الطبري الشافعي، المتوفى سنة 1076/478 وبمصر على محمد بن أحمد بن علي القزويني، وأحمد بن نفيس برواية ورش من طريق الأزرق، ورواية الدوري عن اليزيدي، كما قرأ على عبد الباقي بن فارس.

قرأ عليه أبو العباس بن أحمد بن الخطيئة وعبد العزيز بن خلف الله بن عطية وأبو الحسن محمد بن عبد الرحمان بن عزيمة الأشبيلي، ويحيى بن سعدون القرطبي.

توفي بالإسكندرية في 13 رجب. له تلخيص العبارات بلطيف الإشارات⁽¹⁾.

المصادر والمراجع :

- حسن المحاضرة للسيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة 1968/1387) 494-495/1.
- شذرات الذهب 41/4.
- العبر 32/4.
- غاية النهاية 211/1.
- كشف الظنون 473-479-573.
- مرآة الجنان لليافعي 210/3.
- معجم المؤلفين 222/3.
- معرفة القراء الكبار للذهبي 380-381.
- هدية العارفين 278/1.

* * *

(1) كذا في غاية النهاية 456/1 وفي معرفة القراء الكبار «تلخيص العبارات في القراءات» وفي ترجمة شيخه عبد المجيد بن عبد القوي المديجي المصري الضرير أبي محمد «تلخيص العبارات بلطيف الإشارة».

55 - البنا (1283 هـ) (1866 م)

محمد بن محمد البنا التونسي ، الفقيه .

أخذ عن الشيخ إبراهيم الرياحي ، والشيخ حسن الشريف ، والشيخ الطاهر بن مسعود وعنه جماعة منهم محمد الحربي المنستيري والطاهر والطيب ابنا رفيقه الشيخ محمد النيفر وصالح النيفر .

درّس بجامع الزيتونة ، وتولى القضاء ثم الإفتاء وإماماً ثانياً بجامع الزيتونة ، ويوم ولايته الفتيا تولى قرينه الشيخ محمد النيفر الأكبر خطة القضاء سنة 1843/1262 وذلك بمحضر رئيس المفتين الشيخ إبراهيم الرياحي الذي قال للمشير أحمد باشا باي : «أصبت في انتخابك لا زلت تصيب ، هما خير أقرانهما علماً وديناً» .

كان عالماً فقيهاً مطلعاً جيّد الحفظ ثاقب الفهم ، عالي الهمة متواضعاً .

توفي يوم الأربعاء 16 محرم سنة 10/1283 ماي 1866 عن غير عقب .

تأليفه :

1 - ديوان خطب منبرية .

2 - مجموعة من الفتاوى .

المصادر والمراجع :

- إتحاف أهل الزمان 143/8-144 .

- شجرة النور الزكية 391-392 .

* * *

56 - البناني⁽¹⁾ (. . . 1198 هـ) (. . . 1784 م)

عبد الرحمن بن جاد الله البناني ، الفقيه الأصولي .

هجر إلى مصر وجاور الأزهر ، وقرأ فيه على أعلام عصره كالمشايخ : علي الصعيدي

(1) نسبة إلى بنان قرية من قرى الساحل التونسي قرب المستير لا إلى بنانة كما وهم بعضهم .

العدوي ومحمد بن يوسف الحفناوي ، ومحمد البليدي ، وقرأ الحديث على أحمد الصباغ وغيره ، ودّرس برواق المغاربة من الجامع الأزهر ، وتولى مشيخة هذا الرواق مراراً ، وبعد وفاته تولى مشيخته عبد الرحمن بكار الصفاقسي الحنفي الكفيف .

تأليفه :

- 1 - حاشية على شرح المحلي على جمع الجوامع لتاج الدين السبكي في أصول الفقه ، اعتمد فيها حاشية ابن قاسم العبادي ، في مجلدين طبعت في مصر مراراً .
- 2 - حاشية على المقامة التصحيحية للشيخ عبد الله الأدكاوي .

المصادر والمراجع :

- الأعلام 73/4 .
- برنامج المكتبة العبدلية 555/1 ، 16/4 .
- شجرة النور الزكية 342 .
- عجائب الآثار للجبرتي (ط دار الجيل بيروت) 584/1 .
- معجم المطبوعات 591 .
- معجم المؤلفين 132/5 .
- المكتبة الأزهرية 28/2 .
- هدية العارفين 505/1 .
- اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة محمد البشير ظافر الأزهرى (الليبي) (ط . مصر 1324هـ) 198-197 .

* * *

57 - البياسي (573 - 653 هـ) (1177 - 1255 م)

يوسف بن محمد بن إبراهيم الأنصاري البياسي⁽¹⁾ البلنسي الأندلسي جمال الدين ، أبو الحجاج ، نزيل تونس . محدث حافظ أديب ، شاعر ، لغوي ، نحوي ، راوية ، كان يحفظ الحماسة وديوان المتنبي ، وديوان أبي تمام ، وسقط الزند للمعري ، والمعلقات السبع .

(1) بفتح الباء الموحدة والياء المثناة التحتية المشددة نسبة إلى بياسة مدينة كبيرة بالأندلس معدودة من كورجيان .
الروض المعطار للحميري 121-122 ، المشترك وضعاً مختلف صقماً لياقوت الحموي ص 73 ، وفيات الأعيان 241/6 .

ولد في 14 ربيع الأول سنة 1177/573 وتجوّل في أكثر بلدان الأندلس ، ثم استقر بتونس إلى أن توفي في 4 ذي القعدة سنة 653 / فيفري 1255 وقد جاوز الثمانين بيسير .

في «نفتح الطيب» : «وكان حافظاً لنكات الأندلسيين حديثاً وقديماً ، ذاكراً لفكاهاتهم التي صيرته للملوك خليلاً وندياً⁽¹⁾» .

وقال عنه ابن سعيد في «اختصار القدح المعلى» : «من أشياخ المؤرخين الأدباء المشهورين بالتصنيف والإقراء ، صحبته زماناً بإشبيلية ، ثم بالجزيرة الخضراء ، ثم حضرته غير مرة بحضرة تونس - أدام الله ممالكها اتصال الظهور والاعتلاء - وفي جميع ذلك استفدت من فنون آدابه ما لا أنسى ذكره ولا انتقص - متى أخذته الألسن من جهة الأمور الدينية - قدره ، فقد كان - سامحه الله - حافظاً لكنت تواريخ الأندلس حديثاً وقديماً ، ذاكراً للفكاهات التي صيرته للملوك والكبراء نديماً ، إلا أنه بلي بالتقدير على نفسه إلى حين حلول رسمه فكان يجمع ما يحصل له من المرتب وأنواع الإحسان ، ولا يخرج من ذلك إلا ما لا بد له منه مما يقيم به أود الإنسان»⁽²⁾.

مؤلفاته :

1 - الإعلام بالحروب الواقعة في صدر الإسلام ، جمعه للأمير أبي زكريا بن عبد الواحد الحفصي ابتداءً فيه بمقتل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وختم بخروج الوليد بن طريف الشاري على هارون الرشيد ببلاد الجزيرة الفراتية ، فهو عبارة عن تاريخ مطوّل لعصر بني أمية - وأصل الكتاب في مجلدين . قال ابن خلكان : «ورأيت هذا الكتاب فطالعتة وهو في مجلدين ، أجاد في تصنيفه ، وكلامه كلام عارف بهذا الفن» .

منه نسخة ناقصة بدار الكتب المصرية بخط قديم برقم 8739 .

حقّق الجزء الأول منه عام 1974 . شفيق جاسر أحمد محمود ، وحصل به على درجة الماجستير من جامعة عين شمس ، وحقّق الجزء الثاني رئيس قسم التاريخ بكلية الدعوة وأصول الدين في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

2 - تذكرة الغافل وتنبية الجاهل ، يظهر أنه في حروب المرابطين والموحدين مع الملوك المسيحيين في إسبانيا⁽³⁾ .

3 - كتاب الحماسة ، على نسق حماسة أبي تمام ، في مجلدين ، قال ابن خلكان : «وقد

(1) نفتح الطيب 293 .

(2) اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلي ، اختصره أبو عبد الله محمد بن عبد الله خليل والأصل لابن سعيد الأندلسي ، تحقيق إبراهيم الأبياري (القاهرة 1959 ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية) ص 94 .

(3) نقل منه ابن خلكان عند ترجمة أبي يوسف يعقوب الموحدي 7/6 وعند ترجمة يوسف بن تاشفين 16/6 .

قرئت النسخة عليه، وعليها خطه كتبه في أواخر شهر ربيع الآخر سنة خمسين وستمائة، وقال في آخر كتابه: وكان الفراغ من تأليفه وترتيبه بمدينة تونس - حرسها الله تعالى - في شوال سنة ست وأربعين وستمائة. ونقلت من أوله - بعد الحمد لله - ما مثاله: «أما بعد فإني كنت في أوان حدثتي وزمان شيبتي ذا ولوع بالأدب، وصحبة في كلام العرب، ولم أزل متبعاً لمعانيه ومفتشاً عن قواعده ومبانيه إلى أن حصلت لي جملة منه لا يسع الطالب المجتهد جهلها ولا يصلح الناظر في هذا العلم إلا أن يكون عنده مثلها، وحملتني المحبة في ذلك العلم والولوع به على أن جمعت مما اخترته واستحسنته من أشعار العرب جاهليها ومخضرمها وإسلاميها ومولدها. ومن أشعار المحدثين من أهل المشرق والأندلس وغيرهم ما تحسن به المحاضرة، وتجميل عليه المناظرة. ثم إنني رأيت أن بقاءها دون أن تدخل تحت قانون يجمعها وديوان يؤلفها، مؤذن بذهابها ومؤد إلى فسادها، فرأيت أن أضم مختارها، وأجمع مستحسنها تحت أبواب تقيد نافرها، وتضم نادرها، فنظرت في ذلك فلم أجد أقرب تبويماً ولا أحسن ترتيباً، مما بؤبه ورثه أبو تمام حبيب بن أوس - رحمه الله تعالى - في كتابه المعروف بكتاب «الحماسة» وحسن الاقتداء به، والتوخي يُلذبه لتقدمه في هذه الصناعة، وانفراده منها بأوفر حظ وأنفس بضاعة، فاتبعت في ذلك مذهبه، ونزعت منزعه، وقرنت الشعر بما يجانسه ووصلته بما يناسبه، وتَقَحَّت ذلك واخترته على قدر استطاعتي وبلوغ جهدي وطاقتي⁽¹⁾».

منه نسخة في غوطا بألمانيا.

- 4 - تاريخ ذيل به على تاريخ ابن حيان إلى عصره.
 - 5 - جمع للأمير أبي زكريا الحفصي أحاديث كتاب «المستصفي» للغزالي واستخرجها من الأمهات ونبه على الصحيح منها والسقيم.
 - 6 - شرح رسالة ابن حريق والرسالة في شرح أبيات الجمل لأبي إسحاق الزجاجي، وبين غريبها وأمثالها ومشكلها، واستشهد على كل ذلك بأشعار العرب.
- توجد ضمن مجموع بالزاوية الحمزية بالمغرب الأقصى يتدئ الشرح من ص 184 إلى 315 مكتوب بخط أندلسي صحيح واضح بتاريخ أواخر رجب 692هـ.

المصادر والمراجع:

-- الأعلام 9/329-330.

(1) وفيات الأعيان 7/239.

- بغية الوعاة 359/2
- تاريخ آداب اللغة العربية لرجي زيدان 89/88/3.
- شذرات الذهب 263-262/5.
- دليل مؤرخ المغرب الأقصى لعبد السلام بن سودة المري ص 169.
- الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية 119، تعليقات المحققين آخر الكتاب ص 237-236.
- كشف الظنون 126، 394، 962.
- مرآة الجنان 129/4.
- معجم المؤلفين 327/13.
- المغرب لابن سعيد 73/2.
- مكتبة الزاوية الحمزية صفحة من تاريخها محمد المنوني، ص 37.
- فح الطيب 294-293/4 نشر محمد محي الدين عبد الحميد.
- اختصار القدر المعلى ص 94.
- الروض المعطار 122.
- بروكلمان 347-346/1.
- الملحق 589-588/1.
- إيضاح المكنون 358/1؛ 56/2، 100.
- بلاد البربر الشرقية في عصر الحفصيين (بالفرنسية) 384/2.
- هدية العارفين 554/2

* * *

58 - بيرم الأول (1130 - 1214هـ) (1718 - 1800 م)

محمد بن حسين بن أحمد بن محمد بن حسين بيرام شهر بيرم (وأصل اللفظة من التركية ومعناها العيد) شيخ الإسلام المعروف ببيرم الأول، قدم جده بيرام إلى تونس صحبة جند سنان باشا لاستنقاذ البلاد من الاحتلال الإسباني، وطاب له المقام بتونس، وتزوج من أهلها، ومن أحفاده المترجم له .

قرأ المغني لابن هشام، وتسهيل الفوائد لابن مالك وصحيح البخاري على الشيخ علي سويسي، وعلى أحمد المكودي الفاسي نزيل تونس كتب المنطق بأسرها وروى عنه صحيح البخاري وأجازه بمروياته، وقرأ على قاسم المحجوب مختصر السعد ومطوله في البلاغة، وعلى محمد بن عبد العزيز المكودي على الألفية، والأشموني على الألفية والتصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهرى الجرجاوي والمحلي على جمع الجوامع في الأصول والشرح المختصر لسعد

الدين التفتازاني على تلخيص الخطيب القزويني في البلاغة، وعصام على الاستعارات بحواشيها، والعقيدة الكبرى للسنوسي بحاشيتي المنجور والبوسي، والفية العراقي في مصطلح الحديث بشرحي مؤلفها والقاضي زكريا الأنصاري. وأخذ ألقه الحنفي عن حسن البارودي.

وتلمذ عليه جماعة كحمودة بن محمود، وحمودة باكير، وعلي شندرلي، والمفتي المالكي بالحاضرة محمد المحجوب، وعبد الرحمن الفراتي قاضي صفاقس، والوزير الكاتب الأديب حمودة بن عبد العزيز الذي ترجم له في تاريخه «الباشي» في الجماعة الذين قال فيهم: «لا يشق غبارهم ولا يجارى مضمارهم، وإليهم تضرب أكباد الإبل» وبقوله: «شيخنا المفتي الأكبر أبي عبد الله محمد بن حسين بيرم عالم الحنفية بالمغرب غير مدافع، ومن لم يوجد فيهم مثله منذ زمان شاسع». أقام في الفتوى خمساً وأربعين سنة.

وفي عهد علي باشا الأول انقلبت به الأحوال فدخل السجن، والتجأ لإحدى الزوايا ودرس بالمدرسة العنقية التي توارثها أعقابها، ثم خاف السجن من جديد فانحجز في زاوية سيدي منصور بن جردان حيث استمر على التدريس إلى سقوط دولة علي باشا وقيام دولة أبناء حسين بن علي، وفيها سمي مفتياً حنفياً في سنة 1756/1169 وبعد وفاة شيخه حسن البارودي في 1773/1186 قدمه الأمير علي باشا الحسيني لرئاسة فتوى الحنفية في ذي القعدة من تلك السنة.

مات يوم الأربعاء آخر شوال سنة 26/1214 مارس 1800 وله من العمر 84 سنة ودفن بترته المجاورة لزاوية الشيخ سيدي عبد الرزاق قرب دار الآغة.

مؤلفاته :

ألف عدة تأليف لم يتم منها إلا :

1 - بغية السائل في اختصار أنفع الوسائل . وأنفع الوسائل للطرسوسي في الفقه الحنفي شرع في تأليفه في السنة التي تولى فيها رئاسة الفتوى (1773/1186). قال في مقدمته : «لما رأيت كتاب «أنفع الوسائل» مشتملاً على تحريرات مسائل عديمة النظر غير أنه يميل في تعبيره إلى التطويل عزمت على اختصاره، ثم رأيت أثناء المطالعة أن العلامة عمر بن نجيم قد اختصره وسمى مختصره «إجابة السائل» وكذلك رأيت الفاضل خير الدين الرملي اختصره أيضاً ففتر العزم ثم أن ولدي محمد - حفظه الله - قال لي : إن هذين المختصرين لا وجود لهما بهذه البلاد فاختصرته اختصاراً يعرف فضله من تدبره مراجعاً لأصله فجاء في نحو ثلثي الكتاب مع زيادات من ذكر قيد أو تصحيح مع ذكر ما عليه الفتوى». في 193 ورقة من القطع المتوسط منه نسخة بالمكتبة الوطنية بتونس .

2 - رسالة في السياسة الشرعية، منها نسخة بالمكتبة الوطنية .

- 3 - تقریظ علی شرح مصطفی الطرودي علی الرسالة العبادية في العروض ، أورده بنصه شيخ الإسلام محمد يريم الثاني في شرح منظومته للمفتين علی المذهب الحنفي .
- 4 - رسالة في موضوعات الحديث ، مطبوعة .
- 5 - الشجرة النبوية وتعرف بالحمامات المعدنية وفيها فوائد طبية للنساء والرجال والبنات ط . بمصر .
- 6 - نبذة في بعض القواعد الشرعية لحفظ الإدارة الكلية . مط . الإعلام القاهرة 1306 هـ في 34 ص يليها رسالة في موضوعات الحديث ، 12 ص .

المصادر والمراجع :

- اتحاف أهل الزمان 30/7-35 (استمد الترجمة من تأليف ابنه محمد في شرح منظومة المفتين علی المذهب الحنفي بتونس من لدن الفتح التركي إلى عصره) .
- الإعلام 336/6 .
- برنامج المكتبة الصادقية (العبدلية) 70-69/4 .
- معجم المطبوعات 612 .
- معجم المؤلفين 233/9 .
- المؤرخون التونسيون للأستاذ أحمد عبد السلام (بالفرنسية) ص 289 عرضاً في ترجمة أبنة محمد يريم الثاني .
- سياسة حمودة باشا في تونس للدكتور رشاد الإمام ، منشورات الجامعة التونسية 1980 ، ص 16-17 (تحليل لرسالة السياسة الشرعية) ، المرجع السالف ص 135-136 .
- هدية العارفين 352/2 .

* * *

59 - يريم الثاني (1162 - 1247 هـ) (1749 - 1831 م)

محمد بن محمد بن حسين يريم آ بن المترجم له قبل هذا ، المعروف بيريم الثاني .

ذكر في «شرح منظومته للمفتين الحنفيين» شيوخه ونشاطه في التدريس والمناصب الشرعية التي تولها فقال : « أخذت العلم عن جماعة : فالتجويد عن محمد قرّة بطاق وأبي إسحاق إبراهيم الحميري وأبي العباس أحمد الوافي ، والفقه والحديث عن والدي ، وباقي العلوم عن الشيخ المحقق صالح الكواش والفاضلين البارعين المفتين : أبي العباس أحمد الثعالبي الشهير

بالبرانسسي، وأبي عبد الله محمد الدرناوي، والفقهاء أبي الحسن علي بن سلامة، والنحوي أبي العباس أحمد السويسي وقطب دائرة المعقول أبي عبد الله محمد الشحمي.

وأقرأت - حسب الطاقة - بالمدرسة الباشية نيابة عن والدي واستقلالاً بها، وبالجامع الأعظم وغيرهما، ثم خطبت بجامع يوسف داي نيابة عن والدي، ثم رفعنا أيدينا عنها فوليتها امام الخميس به - إذ ذاك - الفقيه بخليل، ثم قدمت للقضاء بعد عزل شيخنا قره بطاق يوم السبت لست يقين من شهر ربيع⁽¹⁾ الأول عام اثنين وتسعين، ثم استقلت منه فأقلت يوم الأحد من رجب الأصب⁽²⁾ من عام 1193، ووليه الشيخ حسن الترجمان، ثم عزل عنه وأكد علي في العود إليه فعدت يوم الاثنين لأربع يقين من ثاني الربيعين⁽³⁾ عام 1194، وطلبت الإقالة منه ثانياً⁽⁴⁾ فلم أجب عليها فصبرت، ثم وليت الإشراف على الأشراف⁽⁵⁾ بعد موت عبد الكبير الشريف عام 1206 وبقيت كذلك إلى أن توفي الشيخ الوالد في التاريخ (1214) فقلدت الفتوى في الخامس عشر من محرم⁽⁶⁾ عام 1215، وسبب التأخير في هذه المدة التروي فيمن يقلد خطة القضاء التي كانت بيدي، حتى وقع الاختيار على الشيخ حسين برناز، وأنا أنتظر خاتمة الخير.

وتولت رئاسة الفتوى في ربيع الثاني 1216/أوت 1801 وبقي في هذا المنصب إلى وفاته في غرة جمادى الأولى سنة 1247/21 أكتوبر 1831.

كان من قضاة العدل متشبهاً متحريراً، وقبل استقالته الأولى من خطة القضاء انتخب عدداً معيناً من الشهود بالحاضرة، وكتب لكل من انتخبه في طرة أمر ولايته: «وأثبتته في الشهادة». واستشاط الفقيه الحاج مبارك الدبّاك غيظاً لعدم انتخابه فسافر إلى المدينة المنورة شاكياً لقبر المصطفى - ﷺ - بالقاضي ولما بلغ ذلك للباشا علي بن حسين باي أبقى سائر الشهود على ما كانوا، وكتب بذلك للقضاة.

ومن تثبته أنه في المعاضات يتوجه بنفسه لنظر العوض، ويسأل عن القيمة غير الامناء (الخبراء) المعيّنين لذلك وهو أول من سن الزيادة على القيمة تحريماً لجانب الحبس.

وكان غزير الحفظ، جيد الفكر، واشتهر بأنه مجتهد، وعرف المذهب المالكي الذي كان يستمد منه أحياناً حججاً في فتواه وكان معتنياً بالحديث والإسناد الذي غالب رجاله مالكية. وله شعر.

(1) الموافق 11 أفريل 1778.

(2) جويلية - أوت 1779.

(3) أول ماي 1780.

(4) في ربيع 1197/أفريل 1783.

(5) أي نقابة الأشراف لأنه شريف من جهة أمه تولاهما في سنة 1792/1206 وتوارث هذه الخطة ذريته إلى وفاة

محمد بيرم الرابع في أول جمادى الأولى سنة 1378/نوفمبر 1861.

(6) ماي 1800 مفتياً ثانياً.

وَمِنْ أَخَذَ عَنْهُ الْمُؤَرِّخُ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الضِّيَافِ ، أَخَذَ عَنْهُ صَاحِبُ البِخَارِيِّ قَرَأَ عَلَيْهِ أَبُوَابَا مِنْهُ وَأَجَازَهُ فِيهِ بِسُنْدِهِ ، وَكَانَ ذَلِكَ بِمَحْضَرِ حَفِيدِهِ مُحَمَّدِ لَيْلَةَ عَرْسِهِ فَقَالَ لِلْحَاضِرِينَ مُتَحَدِّثًا بِنِعْمَةِ اللَّهِ «ابْنِي هَذَا نِعْمَةٌ غَيْرُ مُتَرَقِبَةٍ ، وَذَلِكَ أَنَّ أَوْلَادِي وَأَمَهُمْ مَاتُوا فِي الطَّاعُونَ الْجَارِفِ (1) وَبَقِيَتْ وَحْدِي فِي الْبَيْتِ ، وَعَزِمْتُ عَلَى الْعِزْبَةِ فَكَتَبْتُ إِلَيْ أَبِي بِالتَّزْوِجِ فَأَخْبَرْتَهُ بِمَا عَزِمْتُ عَلَيْهِ أَيْسًا مِنَ الْوَلَدِ ، فَكَتَبْتُ إِلَيْ: «لَا يَبْأَسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ» فَعِنْدَ ذَلِكَ قُلْتُ لَهُ : أَمْرِي بِيَدِكَ ، فَزَوَّجْنِي مِنْ بِنْتِ الشَّرِيفِ الْفَلَّارِيِّ ، فَحَمَلْتُ بِشَيْخِكُمْ ابْنِي مُحَمَّدَ ، وَلَمَّا وُلِدَ قُلْتُ هَلْ يَعْيشُ حَتَّى نَرَاهُ يَقْرَأُ كَأَخِيهِ الْمَيِّتِ ؟ فَعَشْتُ حَتَّى رَأَيْتَهُ مَدْرَسًا ، وَعَشْتُ حَتَّى رَأَيْتَهُ مَفْتِيًّا مَعِي ، وَلَمَّا وُلِدَ لَهُ صَاحِبِكُمْ مُحَمَّدَ قُلْتُ : هَلْ يَعْيشُ حَتَّى نَرَاهُ يَقْرَأُ ؟ فَعَشْتُ حَتَّى رَأَيْتَهُ - وَالشُّكْرُ لِلَّهِ - مِنْ نَجَاءِ الطَّلِبَةِ ، هَذِهِ لَيْلَةُ عَرْسِهِ وَفَضَّلَ اللَّهُ أَوْسَعَ مِنْ هَذَا» .

تأليفه :

- 1 - حاشية على شرح الشيخ قاسم بن قطلوبغا الحنفي المصري على مختصر المنار لابن حبيب الحلبي المتوفى سنة 1406/808 فرغ منها في 5 جمادى الثانية سنة 1226.
- 2 - حسن النبا في جواز التحفظ من الوباء . وقعت محاوره بينه وبين معاصره الشيخ محمد المناعي المالكي في شأن عدوى مرض الوباء ، وما تتخذها الدول من الحجر الصحي (الكرنتينة) براً وبحراً لإيقاف خطره ومنع تسرب عدواه . ومن رأي صاحب الترجمة صحة القول بالعدوى ، وألف هاته الرسالة في ذلك ، وهاته المحاوره أشار إليها الشيخ رفاعه الطهطاوي في صدر رحلته ويبدو أنه ألفها على إثر الطاعون الجارف الواقع في عهد محمد علي سنة 1785/1199 والذي دام أكثر من عامين . ط . مط . الإعلام ، القاهرة 1302هـ في 26ص ، المط الرسمية بتونس .
- 3 - التعريف بالأجداد البيارمة (وهي عند الزركلي في الإعلام ، التعريف بالأسرة البييرية) مخطوطة في 60 ورقة عند الأستاذ خالد ابن المؤرخ محمد بن الخوجة الأستاذ بكلية الآداب بالجامعة التونسية وأصلها من كتب خليل الطواحي .
- 4 - رسالة في بيع الوفاء .
- 5 - رسالة في الطلاق .
- 6 - رسالة في رجوع الموصي عن وصيته بعد أن اشترط عدم الرجوع نحا فيها منحنى المجتهدين من أهل الترجيح ، وقلد المذهب المالكي ، وقرضها علماء عصره وتلقوها بالقبول كالشيخ حسن الشريف والشيخ إبراهيم الرياحي .

(1) أي في سنة 1785/1199 ومات أولاده الخمسة .

وله رسائل أخرى كثيرة لو جمعت كانت مجلداً ضخماً .

7 - عقد الدر والمرجان . وهي منظومة طويلة في سلاطين آل عثمان ، من البحر الطويل . بعد خمسين بيتاً شرع في ذكر السلاطين العثمانيين إلى أن انتهى إلى سلطان عصره السلطان عبد الحميد الأول (المتوفى سنة 1783/1198-1789/1203) ويبدو أن المؤلف زاد عليها بعد فراغه منها سنة 84-1783/1198 حتى وصل إلى سلطان عصره ، ثم أضاف إليها ثلاثة أبيات تخليداً لعهد السلطان سليمان الثالث ، وأكملها حفيده بيرم الرابع - فيما بعد - بذكر السلاطين المتوالين إلى وسط القرن الثالث عشر الهجري .

8 - منظومة في بايات تونس في 18 بيتاً .

9 - منظومة في الهلال .

10 - منظومة في المفتين الحنفيين بتونس من لدن الفتح التركي إلى عصره ، وشرحها . نشرت منها مجلة «الندوة» تنقاً في عدد من ذكر فيها واحداً وعشرين مفتياً ، وأولهم رمضان افندي الذين عينته الأستانة قاضياً وسمي مفتياً بعد انتهاء مهمته (أي بعد انتهاء ثلاث سنوات من ولايته القضاء) والترجمة الأخيرة خصصها لنفسه ، وكان رئيس الإفتاء عندما كتب شرحه ، ولعاونه مصطفى وأحمد البارودي اللذين توليا الواحد إثر الآخر منصب المفتي الثاني ، وحسين برناز المفتي الثالث .

وفي آخر المنظومة بيت لم يشرحه متضمن لاسم مفتيين أحمد بن الخوجة ، وابن الناظم محمد بيرم الثالث الذي سمي مفتياً في ذي القعدة سنة 1229/اكتوبر نوفمبر سنة 1814 بعد وفاة أحمد البارودي ، أضاف المؤلف هذا البيت على ما قال الناسخ⁽¹⁾ وكان قد انتهى من الشرح في ربيع الأول سنة 1229/فيفري - مارس 1814

وكل ترجمة تحتوي - بعد ذكر المولد - على أسماء شيوخ المترجم له ولحمة عن نشاطه التدريسي ، والوظائف التي تولها الواحدة تلو الأخرى مع بيان تاريخ التولية ، وأخيراً الوفاة . ومن النادر ألا تكون هذه الوظائف مذكورة في مراثيه ، ويذكر مراثية أو أكثر في كل ترجمة والتسمية في خطة أو تأليف كتاب توفر الفرصة لزملء وأصحاب المترجم له لتنظيم التهاني والتقاريف يذكر منها المؤلف نماذج عديدة وبعضها من نظمه .

11 - تقارير بخط يده على نزعة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر ، موجود ضمن مجموع بالمكتبة الوطنية بتونس (ينظر برنامج المكتبة العبدلية 234/2).

(1) هو خليل الطواحي ، وكان له صلة بالأسرة البيرمية ويعرف أفرادهم معرفة جيدة ، له كئش ينسب خطأ لمحمد بيرم الرابع لأنه نقل نصوصاً كثيرة عن هذا الأخير وهو مخطوط بالمكتبة الوطنية بتونس برقم 529 وصرح الطواحي انه نسخ الشرح من أصل المؤلف .

المصادر والمراجع :

- إتحاف أهل الزمان 162-158/7 (نقلًا عن شرح المترجم له لمنظومته في المفتين الحنفيين وأورد معلومات أخرى شخصية).
- الإعلام 299/7.
- إيضاح المكنون 405/1 ؛ 108/2.
- تاريخ معالم التوحيد 137-138.
- عنوان الأريب 83-78/2 (منتخبات من شعره).
- معجم المطبوعات 613.
- معجم المؤلفين 209/11.
- هدية العارفين /363.
- المؤرخين التونسيون ... (بالفرنسية) ص 293-295.
- مجلة الدوة العدد 5-6 جويلية - أوت 1955 العدد 7-8 سبتمبر - أكتوبر 1955.
- تونس وجامع الزيتونة لمحمد الحضر حسين، جمعه وحققه علي الرضا التونسي (المط/التعاونية بدمشق 1971/1391) ص 100-103.

* * *

60 - بيرم الثالث (1201 - 1259 هـ) (1786 - 1843 م)

محمد بن محمد بن محمد بن حسين بيرم ، ابن المترجم له قبله ، الفقيه المشارك في علوم والشاعر الرقيق .

ظهر نبوغه مبكراً وأتقن طريقة الإلقاء التي سنّها الشيخ إبراهيم الرياحي ، ودرس في المدرسة الباشية نائباً عن والده ، وفي جامع الزيتونة ، وأقرأ مختصر السعد على التلخيص في المدرسة العنقية وفي هذه المدرسة قرأ عليه ابن أبي الضياف .

لما توفي والده سنة 1831/1247 قام مقامه في رئاسة المجلس الشرعي الحنفي ، وخطبة نقابة الإشراف .

قال الشيخ ابن أبي الضياف : «إن الشيخ محمد بيرم الثاني لما ورد عليه الظهير الملوكي في ولاية ابنه الشيخ الثالث إمامة جامع صاحب الطابع قال لما جاءه بالظهير : الله أكبر ابن الشيخ صالح الكواش يصرف عن خطبة الإلهاد ، وابن محمد بيرم الذي لم يتجاوز اسمه هذه الحفرة (أي حفرة تونس) يولى الإمامة . فكان هذا التوجع الأدبي سبباً لعطف الحكومة يومئذ على ابن الشيخ الكواش ورد الإلهاد إليه .

توفي ليلة الأربعاء 27 ربيع الأول سنة 1259/27 افريل 1843.

مؤلفاته :

- 1 - تخريرات فقهية .
- 2 - حاشية على المنار .
- 3 - شرح على ايساغوجي في المنطق ، نحا فيه منحى الأعاجم ، فرغ منه في 8 ذي الحجة سنة 20/1258 جانفي 1843 ، ط بالمط . الرسمية بتونس في 1872/1289-73 في 28 ص من القطع الصغير ، ومط . الإعلام بالقاهرة ، 1302 هـ في 24 ص 1843 .
- 4 - حسن الخط في توهم الاحتجاج عندنا بالخط .

المصادر والمراجع :

- إتحاف أهل الزمان 54/8-55 .
- إيضاح المكنون 404/1 .
- تاريخ معالم التوحيد 434 .
- عنوان الأريب 90-87/2 .
- فهرس الفهارس والإثبات 174-173/1 .
- معجم المطبوعات 613 .
- معجم المؤلفين 276/11 .
- هدية العارفين 307/2 .
- (J. Quemeneur, in revue Ibla, no 98, 1962/2 p. 400/2) 58-59 .

* * *

61 - بيرم الرابع (1220 - 1278 هـ) (1805 - 1861 م)

محمد بيرم الرابع ابن محمد بيرم الثالث ابن محمد بيرم الثاني ابن محمد بيرم الأول فقيه محدث ، أديب ، ذو اعتناء بالتراجم ولد في آخر جمادى الثانية سنة 20/1220 سبتمبر 1805 اعتنى بتربية جده محمد بيرم الثاني حتى أنه كان يلقنه المسائل وهو مضطجع معه في فراشه وقرأ على جده هنا ووالده الفقه وأصوله ، وأخذ عن الشيخ إبراهيم الرياحي في جامع صاحب الطابع وعن أحمد الأبي ، ومحمد بن ملوكة ، وعبد الرحمن الكامل ، وأجازته المحدث المسند الطبيب الرحال محمد الصالح الرضوي البخاري ثم المدني عند إقامته بتونس .

تولى التدريس وله من العمر 18 سنة ، فدرس بالمدرسة العنقية ، والمدرسة الباشية ، وجامع

الزيتونة، ثم سمي مفتياً مرؤساً بوالده بعد وفاة جده في غرة جمادى الأولى سنة 1247/23 أكتوبر 1831 وعارض أباه في مجلس الحكم بما أوتي من حدة الفهم .

ولما مات والده عن رئاسة الفتوى الحنفية، وكان المترشح لها غيره ممن تقدمه في الفتوى، أولاه الأمير أحمد باشا باي رئاسة الفتوى الحنفية في 28 ربيع الأول 1259/28 أبريل 1832 ونقابة الأشراف خلفاً لوالده .

وهو أول من لقب بشيخ الإسلام في تونس، لأن هذا اللقب لم يكن موجوداً بها حتى فتح الأمير أحمد باشا باي المشير الأول الألقاب محاكياً للسلطنة العثمانية، واستدعى يوماً صاحب الترجمة وألبسة كركاً وسموراً وسماه شيخ الإسلام .

تولى خطابة جامع صاحب الطابع ثم الجامع اليوسفي .

وكان الأمير أحمد باشا يقربه ويستشيريه في المهام ويصله بأسنى العطايا، ولما ولي الأمير محمد باشا قربه وجعل أمر الخطط الدينية إليه فلا يتولى أحد منها شيئاً إلا بانتخابه فكان يؤثر عنه الانصاف، فتأتي المستحقين أوامر الخطط من غير علم منهم . وكان صهراً للأمير محمد باشا تزوج الأمير بأخته . وهو مستشار الأمير يعمل بإشارته غالباً في الجهاز الإداري والقضائي، وفي القضايا السياسية، وكان له تأثير كبير بين النخبة العلمية والإدارية . وكان كاتباً وشاعراً يستنجد بقلمه الأمير محمد باشا عند المهام . ولما ورد مكتوب السلطنة المغربية في تهنئة محمد باشا بأي أحجم الشيخ ابن أبي الضياف عن الجواب، وأشار على الأمير أن يكلف صاحب الترجمة بالجواب، فأجاب عن المكتوب نثراً ونظماً .

وعندما اتخذ السلطان محمود خان الثاني الزي الأوروبي سنة 1246/1831 أصدر أمره لولاة الولايات العثمانية ولأمراء البلاد المختارة ومنها تونس بإجراء العمل في بلادهم بالأنظمة الجديدة، ومن جملتها اللباس الأوروبي والعسكر النظامي، فكان حسين باي أول من لبس من البايات الزي الأوروبي اقتداء بالسلطان التركي، وشاع النكير عليه في أوساط المترمين، حتى أنه وقع العثور في مجلس حكمه على قصيدة لمجهول مطلعها :

بربك أيها الملك المطاع أكفر ذا الصنيع أم ابتداء⁽¹⁾ ١٩

وكان المترجم له من فريق المؤيدين للباي، وهنأه على إصلاحاته بقصيدة من عيون شعره :
نظامك أيها الملك الهمام به للدين قد ظهر ابتسام
نظام، يكتسي الإسلام منه سروراً ليس يحصيه النظام
به نسخت شوائب كل عجز كما بالصبح قد نسخ الظلام

(1) متأثر بقولة ابن شبل البغدادي :

بربك أيها الفلك المدار أقصد ذا المسير أم اضطرار؟

كان صفوفها نظم الدراري
إذا ما شاهدت عينك منه
رأيت البحر يزخر فيه موج
وقد حقت لهم رايات عز
فإنك فوق هذا الدهر تاج
سبقت إلى المفاخر كل ملك
وهب أن الملوك سموا إليها
وما ضربوا من العليا بسهم
لأنك في الملوك عزيز أصل
بقيت كما تحب عزيز ملك
ومني كلما هبت شمال
بدت ولكل واحدة حسام
مسيراً فيه دل واحتشام
بنار قد غدت ولها اضطرام
تشير بأن جندك لا يضام
وحسن التاج يكسبه النظام
فما لك خشية فيما يرام
وكل بالوصال له غرام
وإن طاروا حواليتها وحاموا
وأنت قد سهرت لها وناموا
محللك من ذرى العليا السنام
على علياء حضرتك السلام

ومن أحداث حياته انتخاب الشهود (الموثقين) . قال ابن أبي الضياف : «وامتحن في آخر أمره بما امتحن به جده ، وهو انتخاب عدد معين من الشهود فسخط كثير من أهل البلاد وسلقته الألسن الحداد ، وأتى للمخلوق وإرضاء العباد» .

وذلك أن أبا عبد الله محمد باي كان ينكر كثرة الشهود ويراهم مفسدة ولما دالت الدولة له تكلم مع الشيخ في ذلك وقال له : «إن الحاضرة لا يكون فيها أكثر من مائتي شاهد ، وبلدانها على حسب اتساعها» . وأمره بانتخاب المائتين في الحاضرة فنقل عليه ذلك وقال له : «الأولى أن نقيد سائر من في الحاضرة من الشهود ، وتعطي نسخة من ذلك التقييد لكل واحد من أهل المجلس الشرعي ينتخب منها مائتين بمقتضى ما يدين الله به ، ثم تجمع تلك النسخ فمن وقع عليه اتفاق الأكثر يبقى ، إلى تمام المائتين» .

وكان في الحاضرة - يومئذ - أكثر من ستمائة شاهد ، ولما تم الانتخاب ظهر للباي أن يثبت ما انتخبه الشيخ وحده ظناً منه أن ذلك من تعظيم الشيخ ، فكتب له في ذلك جريدة انتخابه ، وأمره أن يكتب في أمر كل واحد ممن انتخبهم خطه كما فعل جده فامثل الشيخ لهذا الأمر من غير مراجعة ولا توقف حتى يظهر للعيان أنه مأمور بتنفيذه ، وأنف أهل المجلس الشرعي من ذلك ورأوها ازدراء بهم وحطة ، وتجرعوا مرارتها ، وعاداه كل من لم ينتخبه وأطلق لسانه في مصون عرضه بالدعاء عليه وبغضه» .

توفي ليلة الثلاثاء 3 جمادى الأولى سنة 6/1278 نوفمبر 1861 .

نظم شعراً كثيراً جمع الشيخ محمد السنوسي قسماً منه في تصنيفه «مجمع الدواوين التونسية» .

مؤلفاته :

1 - التراجيح المهمة للخطباء والأئمة ، عرف فيه بمن تولى الإمامة والخطابة من الفقهاء بالجوامع الحنفية دون المالكية ، لبث في جمع هذا التأليف سنوات عديدة على حسب ما توفر له من مواد ووقت فراغ ، ويبدو أنه لم يواصل العمل فيه بعد منتصف رمضان سنة 1271/1 أول جوان 1855 وفي هذا التاريخ مات أحمد باي ، وتولى محمد باي (1855-1859) وكان المترجم له صهره ومستشاره وفي عهد هذا الأمير إلى وفاة المؤلف لم يتوفر له الوقت لتخصيصه بأعمال البحث التاريخي لتراجيح أئمة الجوامع الحنفية بتونس .

وهذا التأليف لا يخلو من الأهمية لأنه يحتوي على معلومات عن الجوامع لا توجد في المؤلفات السابقة له ، وبعض المترجم لهم لا توجد تراجمهم في غيره . وهو المصدر الوحيد الذي فيه بعض التفاصيل في التراجيح . وكان لديه وثائق نادرة منها نسخ من تأليف المترجم له أخذ منها تفصيلات لم تكن في متناول مؤلفين آخرين .

ولم يكتب منه إلا قطعة ما زالت في مسودتها بخطه موجودة في خزانة الشيخ البشير النيفر (ت 1974) ومما جاء في هذه القطعة ذكر خطباء جامعي القصر والقصبة (جامع الموحدين) ومن تولى الإمامة بهما ؛ كل ذلك بسطه المؤلف بما يشفي الغليل ، مع الإشباع في الترجمة لأولئك الخطباء والأئمة ، ولكنه أبقى خلالها بياضاً بنية الزيادة والتوضيح - فيما يظهر - وصدر حديثه عن كل من الجامعين المذكورين بنبذة وجيزة في نشأتها حسنة الإفادة ، لكنها غير مستوفاة من الوجهة التاريخية وانتقل بعد ذينك الجامعين للتعريف بجامع حمودة باشا المرادي ، ووقف في تحريره عند السطر السادس مما يدل أن هذا التأليف لم يتم كما سبقت الإشارة إليه ، ولأن القطعة الموجودة بخط المؤلف هي مسودة التأليف وهي في 25 ورقة .

وتوجد منه نسخة بالمكتبة الوطنية .

2 - الجواهر السنية في شعراء الديار التونسية ، طبع بتحقيق وتعليق د . الهادي حمودة الغزي نشر المكتبة العتيقة في تونس لصاحبها الشيخ الحاج علي العسلي ، يولية 1973 بدون ذكر مكان الطبع .

وفي المقدمة التي كتبها محقق الكتاب عن عصر المؤلف وترجمته أبدى تشككاً في نسبة الكتاب إلى يريم الرابع ، ولم ينفصل عن هذا التشكك بجواب حاسم يطمئن إليه فقال : «وكتاب الجواهر السنية في شعراء الدولة الحسينية لم يشر إليه محمد السنوسي في «مجمع الدواوين» أين ترجم لصاحبه ترجمة مطولة ، ولا في «مسامرات الظريف» غير أن ابن أبي الضياف قد أشار لهذا الكتاب بقوله : وله كتاب في شعراء المتأخرين سماه «الجواهر السنية»⁽¹⁾

(1) ابن أبي الضياف 126/8.

لكنه لم يصفه لنا ولم يحدثنا عنه لذا لا يمكن أن نطمئن في إسناده لبيرم الرابع بصفة قطعية ، خاصة إذا علمنا أنه وردت إشارة في كُنش السنوسي وهو مخطوط بالمكتبة الوطنية تحت عدد 6631 ص 113 هذا نصها : «وكتبت للشيخ أبي سعيد سيدي الباجي المسعودي استعير منه ما أنجزه الشيخ سيدي محمد بيرم الثاني في التعريف بشعراء إفريقيًا بعد أن أرسل إليّ كراريس فيها شيء من شعره» .

والسؤال الآن هل أن «الجواهر السنوية» كان مسودة لبيرم الثاني نفص عليه (كذا) حفيده غبار النسيان ونسبه إلى نفسه تحت هذا الاسم؟ أم أن كراريس بيرم الثاني شيء وكتابنا هذا شيء آخر؟

وهذا التساؤل الأخير هو الأقرب إلى المعقول عندي إن ابن أبي الضياف معاصر لبيرم الرابع وهو أعرف به من محمد السنوسي ، وشهادة المعاصر لها وزنها في الإنبات والنفي ، وسكوت السنوسي عن ذكر الكتاب لا يكون كافياً في نفي نسبه إلى بيرم الرابع و «من حفظ حجة على من لم يحفظ» كما قال المتقدمون ، ومن عادة ابن أبي الضياف أنه في تراجمه يكتفي بذكر أسماء تأليف المترجم له بدون وصف لها ولا تحليل موجز لمحتوياتها ، فهل أن صنيعه هذا لا يطمئن إليه ولا يكفي في نسبة الكتب لأصحابها؟ أظن أن هذا شطط ، ولو نعمل بما قاله المحقق الفاضل لأسقطننا أو على الأقل تشككنا في نسبة كثير من الكتب لأصحابها .

وإذا كان أصل الكتاب لمحمد بيرم الثاني ونفص عنه الغبار وأكملة حفيده بيرم الرابع فلماذا لم يشر إلى ذلك أدنى إشارة؟ إن صح هذا يكون صنيعه لئساً وتضليلاً وعقوقاً لجده ، ونحن ننزه بيرم الرابع عن الاتصاف بهذه الأوصاف الذميمة ، ولو كان مغموراً هابط المستوى لم نبرئه من الإغارة والاتحال ، ولكنه له من المكانة العلمية والمنزلة الأدبية والآثار القلمية ما يغنيه عن التورط في مثل هذه الرصمة الشنعاء .

وبعد هذا قال في وصف مخطوطة الكتاب وما اشتمل عليه : «والمخطوط ناقص من آخره بحيث نجد نتيجة لذلك ترجمة الغراب ناقصة» .

ويشتمل الكتاب بعد المقدمة على طبقة واحدة من شعراء تونس ، ولا نجد أثراً للطبقات الموالية المشار إليها في المقدمة مما جعلنا نرجح أن المخطوط بداية مشروع علمي لم يكتمل ، وهذا ما يؤكد لنا نقصه حيث إننا نجد في آخر صفحة منه (قد) إشعاراً بأول كلمة في البيت الموالي في الصفحة الجديدة .

قد جزاً الأعداء حلمك فاعتدوا برد الجناية واقتفوا سبل الردى

وعدم اكتمال الكتاب مما يرجح أنه لبيرم الرابع لأن مسؤولياته في السنين الأخيرة صدته عن إتمام تأليفه مثل التراجم المهمة .

- ويفتح الكلام بترجمة وجيزة لكل شاعر مثقلة بأنواع البديع ثم يورد مجموعة من شعره بدون تحليل وجيز أو نقد بحيث أن الكتاب له مزية الجمع .
- 3 - نظم ذيل به على نظم جده في سلاطين آل عثمان المسمى «بعقد الدر والمرجان» وصل فيه إلى سلطان زمانه عبد المجيد .
- 4 - رسالة جمع فيها تقارير في الخلو والإنزال ، توجد ضمن مجموع رسائل ترتيبها الخامس بالمكتبة الوطنية .
- 5 - رسالة في شرح قواعد عهد الأمان (القانون الدستوري الصادر في عهد محمد الصادق باي) .
- 6 - رسالة في الشفاعة .
- 7 - رسالة في الصلاة بالنيشان (الوسام) الصليبي .
- 8 - كنايش كثيرة مشحونة بالأدب والفوائد ، منها كناش ينسب له خطأ وهو لخليل الطواحني .
- 9 - مجموعة في مشايخه وإجازاتهم له .

المصادر والمراجع :

- إتخاف أهل الزمان 124/8 .
- الأعلام 300/7 .
- برنامج المكتبة الصادقية (البدلية) 65/4 .
- تاريخ معالم التوحيد 103 - عنوان الأريب 117/2-121 .
- معجم المؤلفين 290/11 .
- مقدمة د . الهادي الغزي لكتاب «الجواهر السنوية» .
- المؤرخون التونسيون . . . (بالفرنسية) 296-299 .
- محمد بن الخوجة : كيف دخل الزي الأوروبي في العادات التونسية .
- المجلة «الزيتونية» قعدة 1356 ، جانفي 1938 ص 31-32 .
- عثمان الكعاك : حقبة ماجدة من الأدب التونسي :
- مجلة (المباحث) عدد 33 صفر 1366 ، سبتمبر 1946 ص 6 وعدد 39 شعبان 1366 ، ماي 1947 ص 9 .
- مصطفى زيبس : من متفرقات الكنايش التونسية :
- فهرس الفهارس 243-246/1 (دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1982/1402 ط 2/ باعثناء د . إحسان عباس) .
- هدية العارفين 376/2 .

* * *

62 - بيرم الخامس (1255 - 1307 هـ) (1840 - 1889 م)

حمد بيرم الخامس بن مصطفى بن محمد بيرم الثالث ، الفقيه الرحالة المؤرخ الصحفي من نغناء خريجي جامع الزيتونة .

ولد بتونس في محرم 1255/مارس 1840 وأشرف والده على تربيته وكذلك عمه بيرم الرابع ، وهما اللذان وجهاه إلى طلب العلم بجامع الزيتونة وبعد اجتيازه لمرحلة التعليم الابتدائي دخل جامع الزيتونة ، وقرأ على أعلامه أمثال المشايخ سالم بوحاجب ، والشاذلي بن صالح ، وعلي العفيف ، ومحمد الطاهر بن عاشور . وفي هذا الطور كان الشيخ محمود قابادو يزور والد المترجم له في بيته لأنه كان صديقاً له ، كما كان يزور عمه محمد بيرم الرابع في بيته أيضاً وكان المترجم له يحضر المجالس التي فيها قابادو يدار أفيه أو دار عمه ، ويستمع إلى حديثه فتكون له إعجاب به واحترام له ما زادتهما الأيام إلا رسوخاً ، وكان يستنير بتوجيهاته ، وظل على هذه الحال بعد تخرجه من جامع الزيتونة واشتغاله بالتدريس ، وقال الأستاذ عمر بن سالم : «وتأثر بأفكار قابادو التقدمية ونظرياته الإصلاحية تأثراً كبيراً ، فقد أخذ عنه رأيه في إحياء العلوم الصحيحة والاعتماد عليها لهضة البلاد» .

واستكمل تعلمه بجامع الزيتونة ولم يتجاوز سنه سبعة عشر عاماً ، وتخرج منه محرراً على شهادة التطويح ، ثم اجتاز بنجاح مناظرة التدريس من الطبقة الثانية في سنة 1861/1278 وتولى مشيخة المدرسة العنقية في 6 جمادى الأولى 1861/1278 وهذه الخطة كانت وراثية في أسرته ، ثم اجتاز بنجاح مناظرة التدريس من الطبقة الأولى في 15 رجب 1284 .

وفي مطلع شبابه إشتغل بالمسائل السياسية والاجتماعية لأن ميوله سياسية وأدبية أكثر منها فقهية وعلمية ، وكان همه تتبع ماجريات الأحداث وانتقادها ، ولما كان ابن ملاك أراض فقد شاهد الوضعية الاجتماعية للعمال الفلاحين والخماسة ، ومسك دفترًا سجل فيه القرارات والأوامر الترتيبية على عهد محمد بأي لأنه التزم بالدفاع عن هذه الطبقة الريفية .

وبعد ثورة 1864/1281 وتعطيل دستور عهد الأمان رحل إلى أوروبا بعلة التداوي وملاقة أصدقائه المغتربين الجنرال حسين في إيطاليا وخير الدين في فرنسا ، ومات والده فورث عنه قسطاً هاماً من العقارات ، وأراد مبارحة تونس نهائياً ولكن الظروف الصعبة القاسية التي تجتازها البلاد منعتة من تحقيق رغبته .

ولما عزل مصطفى خزنه دار عن الوزارة الكبرى (رئاسة الحكومة) في سنة 1873/1291 وخلفه في المنصب خير الدين جاهر المترجم له بنصرته في آرائه الإصلاحية وصرح بآرائه السياسية على صفحات جريدة «الرائد التونسي» وهو أول من تجاسر على ذلك في تونس . ولاحظ الأستاذ رشيد الذواوي : «إنه المنشيء الأول لفن النشر الصحفي باختلاف

أغراضه في تونس . فقد تحدى القيود المتبعة في أساليب الكتابة في عصره فأضناه هذا العمل ولم يسلم من العثرات وتستطيع أن تلاحظ هنا جلياً في تفكك بعض تراكيبه خاصة في افتتاحياته المنشورة في صحيفة «الإعلام» . وقال أيضاً : «فكتب في الرائد التونسي (1290 هـ 1874) مقالات كثيرة أيد فيها عزل مصطفى خزنه دار وآزر الوزير خير الدين باشا صاحب الإتجاه التقدمي في البلاد وتعتبر مقالاته السياسية أول مقالات ظهرت في النشر السياسي في البلاد ، ذلك إن الإتجاه السياسي لم تعرفه صحافة تونس قبل هذا التاريخ ، إذ معظم ما كان ينشر فيها يتنازل النواحي الأخلاقية والاجتماعية والأدبية» .

كما نشر بعض إنتاجه في جريدة «الجوائب» الصادرة في إستانبول لصاحبها أحمد فارس الشدياق ، وذلك أيام حرب تركيا مع اليونان .

وأعجب الوزير خير الدين بنشاطه وتعلقه ومؤازرته له في منهجه الإصلاحية فعهد إليه بتنظيم إدارة جمعية الأوقاف التي ابتكرها المصلحون ، يعنيه موظف وعدلان يختارهم التجار وأصحاب الأراضي الموقوفة . وفي بضعة أشهر وبعد مجهودات خارقة توصل إلى تنظيم هذه المؤسسة وجعلها قوية ، وهذا مما أثر على صحته وأجبره مرضه العصبي على قطع عمله والذهاب إلى باريس لمداواة مرضه ، واغتنم هذه الفرصة لتدوين القسم الأول من تأليفه «صفوة الاعتبار» .

وكان نحيف البنية مصاباً بمرض في الأعصاب الموصلة بين المعدة والقلب مع فقر في الدم يستعمل المورفين لتسكين آلامه فأثر ذلك في صحته مع ما يقوم به من أعمال مرهقة .

وفي مدة رئاسته لجمعية الأوقاف وقع نزاع بين الكونت دوسانسي المغامر الفرنسي الذي له علاقات قرابة مع كثير من وزراء فرنسا وقع نزاع بينه وبين الحكومة التونسية على قطعة أرض بسيدي ثابت منحها له الوزير خير الدين لتربية الخيل على شروط أنحل بها ، فأرادت الحكومة التونسية استرجاعها منه فأبى وأنقلب خصماً لخير الدين .

ومن الملاحظ أن خير الدين كان يجامل الفرنسيين . وكان قسم من الصحافة الفرنسية يشن الحملات ضده بتأثير من عملاء خزنه دار الموجودين في باريس وقد عين صاحب الترجمة عضواً في لجنة التحكيم التي شكلتها الحكومة التونسية للنظر في هذه القضية واستمر النزاع بين الطرفين إلى عهد الوزير مصطفى بن إسماعيل .

كما عينه الوزير خير الدين سنة 1874/1292 ناظراً على المطبعة الرسمية ومشرفاً على تحرير جريدة «الرائد» . وهذا النشاط أثر على صحته التي تدهورت فسافر إلى باريس للمعالجة .

وفي سنة 1875/1292 سمي عضواً في لجنة برنامج التعليم للمدرسة الصادقية ولترغيب الأسر التونسية لإرسال أبنائهم إلى هذه المدرسة سجل فيها ابنه الأكبر مصطفى الذي أصبح فيما بعد رئيساً لمجلس الاستئناف بالقاهرة .

كما اسندت إليه إدارة تأسيس المكتبة الصادقية (العبدلية) الزيتونية المؤسسة حديثاً .

وفي سنة 1877/1294 عزم على التخلي عن وظائفه أسوة بأصدقائه جماعة الإصلاح الذين اضطروا لمغادرة مراكز السلطة ، على أن تدخل الباي الزمه الاحتفاظ بوظائفه لكن المعرض العالمي المنعقد في باريس سنة 1878 هياً له مبرراً لمغادرة البلاد فزار باريس ولندرة ثم الجزائر وسمحت له هذه الرحلة باثراء ملاحظة لإكمال تحرير الأجزاء الباقية من مؤلفه «صفوة الإعتبار» .

وعندما رجع إلى تونس أصبح عضواً في اللجنة التي كلفت بتنظيم مستشفى العاصمة التونسية - الذي دشنته الأمير محمد الصادق باي رسمياً في 10 فيفري 1894، وأصبح يُعرف بالمستشفى الصارقي، على غرار المؤسسات الصحية العصرية الأوروبية، لكن الذين لا يروق لهم الإصلاح ولا تفكير الإصلاحيين كالقنصل الفرنسي روسطان فكان رد الفعل عنيفاً والتهجم قاسياً ، وكان المترجم له على صلة ببعض أفراد من السفارة الإيطالية بتونس ممن ينشر الدعاية ضد السياسة الفرنسية، وبلغت المعركة الدعائية بين السياسة الفرنسية والإيطالية حداً مضطرباً ملتهباً، ففرنسا تهيج الوسائل والحجج لتبرير الاحتلال ، وإيطاليا تشهر بمطامع فرنسا وتحاول حشد الرأي العام ضدها سواء في الداخل أو في الخارج وهي لم تكن بريئة في هذه الحملة ، وإنها هي تسعى جاهدة لتحل محل فرنسا وتحتل البلاد فيما بعد، ولا ندرى كيف غاب هذا عن ذهن المترجم له حتى اغتر بالدعايات الإيطالية وسار في طريق يثير العواصف الهوجاء من النقد والتهجم والاتهام .

وكان الوزير مصطفى بن إسماعيل خلف خير الدين في رئاسة الحكومة يضيق بآرائه الإصلاحية ثم أنه يرى أنه لا يصفو له الجوال إذا أقصى جماعة الإصلاح عن مباشرة أية مهمة سامية في الحكومة والمترجم له لا يتحمل الضغط على حريته والسكوت على آرائه لذلك عزم على مبارحة تونس وقرر أن يطلب أولاً من الباي الاذن في السفر لاداء فريضة الحج ، ولم يتحصل على هذا الاذن إلا بعد تداخلات عديدة من أصدقائه العلماء، وتحصل على هذا الاذن وبارح تونس سنة 1879/1296 ومر بمصر في طريقه إلى الحرمين الشريفين وبعدهما زار سوريا، ثم سافر إلى إستانبول حيث كان في انتظاره صديقه الصدر الأعظم خير الدين، وأحسنّت الدولة وفادته وعزم أن يقيم بها نهائياً، لكن الوزير مصطفى بن إسماعيل كتب إلى الباب العالي وطالب بإرجاع المترجم له، واتهمه باختلاس أموال جمعية الأوقاف وجرده من عناوينه الجامعية لكن خير الدين انتصر له ولم يخذله ولم يسلمه .

وفي انتظار وصول أسرته إلى إستانبول قام برحلة إلى فيينا وبودابست وبلغراد . وعند رجوعه إلى إستانبول حيكّت ضده دسائس لإزالة مكانته عند السلطان فقد اتهم بالمشاركة في ثورة عرابي عند مروره بمصر، واضطر لأجل تجنب الخصومات وإنجاز الجزء الثاني من تأليفه «صفوة الاعتبار» إلى مغادرة إستانبول وتوجه إلى مصر، وفي القاهرة احتفل بقدمومه احتفالاً حاراً الخديوي والعلماء .

وفي مدة إقامته بإستنبول لم ينقطع عن الكتابة والتدوين ، وراعى صحته فتحسنت كثيراً وقلل من إستعمال المورفين .

ولما استقر بالقاهرة استأنف نشاطه السياسي والثقافي وأصدر جريدة «الإعلام» يومية أولاً ثم في كل ثلاثة أسابيع وكان لها دوي بالشرق والمغرب حتى قال خير الدين : «إن هذه الصحيفة يمكن أن تصبح (تيمس الشرق الأدنى)» وصدر من هذه الصحيفة 269 عدداً فيما بين سنة 1885 وسنة 1889 .

وكانت خطة جريدة «الإعلام» ملاينة الانجليز ولعله مل من مقاومة الإستعمار وآثر الراحة والاستقرار . قال فيليب دي طرازي في كتابة تاريخ الصحافة العربية : «وكانت خطتها محاسنة الانجليز والاستفادة منهم ، فأنتقد بعضهم عليه هذه الخطة لأنها تخالف ما كان عليه في تونس وانه هاجر فراراً من الحكم الأجنبي فكيف يكلف المصريين عكس ذلك ؟ ولكن الذين كانوا يرون رأيه يعتدرون بأنه إنما حث على محاسنة الانجليز والإستفادة منهم بأن معاكستهم وأمر البلاد في أيديهم لا يجدي نفعا ، وان مفاجأة الفرنسيين أوجدت أسباباً ساعدتهم على ضم تونس إلى بلادهم وقد التجأ إلى انتهاج هذا المسلك أيضاً ما قاساه من ظلم الحكم الاستبدادي في تونس وما آنسه من العوامل المحركة في مصر بإغراء بعض الأجانب الذين يوغرون صدور الناس على حكاهم مما يعود بالضرر» .

ومن المعروف ان خطة ملاينة الاستعمار ومحاولة الالتقاء معه في نصف الطريق والرضا بما وجود به من إصلاحات كانت مسلك بعض المشتغلين بالسياسة في العالم العربي بقسميه الشرقي والغربي وقد أثبت الأيام عدم صحة هذا المسلك وان الطريق القويم هو المجاهرة بالمطالب القومية وعدم المبالاة بغضب الإستعمار وبطشه والتنظيم الجماهيري وبفضل هذه السياسة القومية القوية انحسر الاستعمار عن العالم العربي .

وفي سنة 1887 عطل وقتياً صدور جريدة «الإعلام» للسفر إلى معرض باريس وزار لندرة وفلورنسة بإيطاليا للملاقة صديقه الجنرال حسين وعند رجوعه إلى القاهرة أسندت إليه مهمة تكوين جمعية الأوقاف ، كما سمي قاضياً بمحكمة القاهرة الابتدائية ، وكثيراً ما كلفته وزارة العدل كتابة ملاحظاته عن القضاء الشرعي لأنه كان واسع الاطلاع فيه .

توفي بحلوان في 25 ربيع الثاني / 18 ديسمبر مساء الأربعاء ودفن بالقاهرة قرب ضريح الإمام الشافعي .

مؤلفاته :

بين جرجي زيدان مسار الأفكار الإصلاحية في تأليفه فقال . «ويؤخذ من مجملها (مؤلفاته) أن صاحب الترجمة كان من محبي الإصلاح وتقريب المسلمين من عوامل التمدن

- الحديث وإزالة ما قد يعترضهم من أشباه الموانع الدينية نحو ما كان يفعله الشيخ محمد عبده .
- 1 - تحفة الخواص في حل صيد بندق الرصاص قال فيها : «قد تقرر في الناس منذ أزمان ، غير أنه لما كان من المستحدثات بعد الصدر الأول اختلفت فيه أنظار المتأخرين ، وقد شاع تحريم ما مات من صيده على مذهب أبي حنيفة ، فأحسبت أن أجمع فيه رسالة أحرر منها الشأن» (المطبعة الإعلامية القاهرة 1303هـ) ص28 .
 - 2 - التحقيق في مسألة الرقيق ، رسالة بحث فيها عن كيفية معاملة الرقيق وإن منع الحكومات الإسلامية التجارة بالرقيق شرعي ، طبعت .
 - 3 - رسالة في أحكام الأشراف آل بيت رسول الله . مطبعة الإعلام 1302 هـ ص16 .
 - 4 - الروضة السننية في الفتاوي البيرومية ط .
 - 5 - سكنى دار الحرب .
 - 6 - صفرة الإعتبار لمستودع الأمصار والأقطار ، دون فيها رحلته إلى أوروبا وآسيا وأفريقيا . وذكر في حزه منها تاريخ القطر التونسي من الفتح الإسلامي إلى الاحتلال الفرنسي ، وتاريخ القطر الجزائري وحرب الاحتلال الفرنسي فيه . وتاريخ مصر والثورة العرابية وفي هذا الكتاب كثير من الحقائق التاريخية والاجتماعية التي يعز العثور عليها في سواه .
- طبع منه أربعة أجزاء بمطبعة الإعلام 1302هـ وطبع الجزء الخامس والأخير بعد وفاته بمطبعة مجلة المقتطف بالقاهرة سنة 1311هـ .
- 7 - مختصر في العروض .
 - 8 - ملاحظات سياسية حول التنظيمات اللازمة للدولة العلية ، انتهى منها سنة 1298هـ وقدمها للسلطان عبد الحميد الثاني ، وطبعت في مصر بلا تاريخ في 48هـ .

المراجع :

- أركان النهضة الأدبية ، محمد الفاضل بن عاشور تونس 1381 ص 22-27 .
- الأعلام 322/7 .
- تاريخ آداب اللغة العربية 262/4 .
- تاريخ الصحافة العربية 24/3e141-139/1 .
- رواد الإصلاح ، رشيد الذواودي (ط بتونس 1973) ص 40-59 .
- قاهادو لعمر ابن سالم (ط . تونس 1975) ص 60-62 .
- محمد بيرم الخامس ، زين العابدين السنوسي ط تونس 1952 .

- مصادر الدراسة الأدبية أسعد يوسف داغر 215.
- معجم المطبوعات 614-613.
- معجم المؤلفين 36-35/12.
- إيضاح المكنون 104/1 (يسميه خطأ محمد بيرم الثالث، والدليل أنه نسب له صفوة الاعتبار) 68/2، وذكره على وجه الصواب في هدية العارفين 388/2، إكتفاء القنوع بما هو مطبوع لإدوارد كرنيليوس فاندريك ص 414، المحافظة والتجديد في النثر العربي المعاصر في مائة عام لأنور الجندي ص 77 و 79، خير الدين وزير مصلح (بالفرنسية) للمنحجي صميذة 273، 275، 341، 343، 367، مشاهير الشرق لجرجي زيدان 289/2، 290، الآداب العربية للأب لويس شيخو 189/2، فهرس الأزهر 1-119/2، 249/1، منتخبات المؤيد 498/1، صفوة الاعتبار 194/1، ثم ملحق الجزء الخامس منه، أصول الحماية لجان قانياج (بالفرنسية) ص 559 تعليق 89 ص 570 تعليق 132.

* * *

63- بيرم (كان حياً سنة 1321 هـ) (1902 م)

مصطفى بن محمد بيرم الخامس .

اعتنى والده بتربيته وبعد تجاوزه مرحلة التعليم الابتدائي دخل المدرسة الصادقية وهو من أوائل خريجها .

ولما استقر والده بمصر التحق به ، وبعد مدة سُمي قاضياً بالمحكمة المختلطة بالقاهرة وعينه الحكومة المصرية لتمثيلها في مؤتمر المستشرقين المنعقد في أوائل سبتمبر سنة 1902 بمدينة هامبرغ بالمانيا .

له : تاريخ الأزهر ، رسالة قدمها للمؤتمر المذكور : ط . بمطبعة التمدن بالقاهرة سنة 76 1321 ص 6 فهرس .

المراجع :

- معجم المطبوعات 614.
- معجم المؤلفين 254-244/12.

* * *

حرف التاء

64 - تاج (نحو 1270 - 1338 هـ) (1854 - 1920 م)

حمودة بن محمد تاج ، الأديب الشاعر الحفوقي .

ولد بتونس وقرأ القرآن في كتاب كوشة طاباق مع شقيقه عبد العزيز ، وشيخ الإسلام الحنفي محمد بن يوسف ، ثم طلب العلم بجامعة الزيتونة فأخذ عن الاعلام المشاهير في ذلك العصر كالشيخ حسين بن أحمد القمار ، وسالم بوحاجب ، والشاذلي ابن القاضي ، وعمار بن سعيدان ، وعمر ابن الشيخ ، ومحمد النجار .

ثم باشر التدريس بجامعة الزيتونة ، وأخذ عنه جماعة كالشيخ محمد مخلوف المنستيري مؤلف «شجرة النور الزكية» .

ثم صار حاكماً بالمحاكم العدلية التونسية ، ومات وهو رئيس القسم الجنائي . وهو من أعيان الطريقة التيجانية كما وصف بذلك في طالعة تقرظه لكتاب «ميزاب الرحمة الربانية في التربية بالطريقة التيجانية» تأليف عبيدة محمد الصغير انبوجا الشنقيطي (الموريتاني) . له كتّاش⁽¹⁾ .

المراجع :

- شجرة النور الزكية 424-425.

* * *

65 - التادلي (من رجال القرن الثامن هـ) (14 م)

محمد التادلي المغربي نزيل تونس ، صوفي .

مات بتونس ودفن بمقبرة القرجاني بإزاء قبر عائشة المنوبية .

(1) نقل منه محمد بن الخوجة نتفا من قصيدة لمحمد بن محمد الأصرم الباش كاتب (المتوفي سنة 1277-1861) في المجلة الزيتونية جانفي 1939 م ج 3 ص 29.

مؤلفاته :

- 1 - تحفة العاشقين ، في ذكر الأولياء والصالحين ، ممن كان بمدينة تونس وتوفي ودفن بها أو بخارجها ذكر في أوله ان الخطيب علي النوري⁽¹⁾ طلبه منه .
يوجد ضمن مجموع بالمكتبة الوطنية التونسية .
- 2 - مناقب عائشة بنت عمران المنوبي .
يوجد ضمن مجموع بالمكتبة الوطنية .

المراجع :

- برنامج المكتبة الصادقية (العبدلية) 233/3 ، 252-254 .

* * *

66 - ابن التبان (314 - 371 هـ) (928 - 981 م)

عبد الله بن إسحاق بن التبان ، أبو محمد ، القيرواني الفقيه ، من تلامذة أبي بكر ابن اللباد .

حكى عن نفسه ما لاقاه من الصعاب في بداية طلبه للعلم قال : « كنت في أول ابتدائي ادرس بالليل ، فكانت أمي تنهاني عن القراءة بالليل ، فكنت آخذ المصباح واجعله تحت الجفنة وأتعمد النوم ، فإذا رقدت أخرجت المصباح وأقبلت على الدرس» .

وقال : « قال لي أبي ذات يوم : يا بني ما يكون منك ؟ لا تعرف صنعة ، واشتغلت بالعلم لا شيء عندك ؟ ! » فلما كانت ليلة سمعته يقول لوالدتي : عرفت اني عرفت بابني ، ذلك أني حضرت إملاكاً في مسجد - سماه - فوجدته مملوءاً بالناس لم أجد مجلساً فقام لي رجل من مجلسه وأجلسني فيه ، فسأله إنسان عني ، فقال له : اسكت ! هو والد الشيخ أبي محمد .

وقال آخر : خرج والد الشيخ أبي محمد التبان يوماً من مسجد السبت فزلق في طين ، فبادر إليه رجل وأخذ بيده وقال لصاحبه : هذا والد الشيخ أبي محمد الفقيه ، فرجع وحرص ابنه على طلب العلم ، والتزم القيام بشأنه من يومئذ .

(1) علي النوري هذا لم أفد على ترجمته ، ولعله من أهل مدينة تونس ، أما الشيخ علي النوري الصفاقسي المشهور فهو من رجال القرن الثاني عشر .

وكان شديد البغض للعبديين حتى قيل إنه كان زمانه مثل أبي عثمان سعيد الحداد وعندما شدد صاحب القيروان عبد الله المختال في طلب علماء المالكية ليدخلهم في المذهب الإسماعيلي الباطني (مذهب الدولة العبيدية) اجتمعوا بمسجد ابن اللجام وهم : المترجم له وابن أبي زيد ، وأبو سعيد ابن أخي هشام ، والقاسبي ، وأبو القاسم بن شبلون ، فاتفقوا على القرار فقال لهم المترجم له ابن التبان : أنا أمضي وأكفيكم مؤونة الاجتماع ويكون كل واحد منكم في داره ، وقيل إنهم أرادوا السير إلى أبي عبد الله المختال ، فقال لهم : أنا أمضي إليه أبيع روحي من الله دونكم لأنكم ان أوتي عليكم وقع في الإسلام وهن .

وما وقع لهؤلاء الفقهاء من الهلع والفرع يدل على اضطهاد العبيديين وصنائعهم للمالكية بهشتى أنواع الإضطهاد .

ويقال إن ابن التبان لما دخل على عبد الله المختال قال له : جئتك من قوم إيمانهم مثل الجبال أقلهم يقيناً أنا .

حدّث بعض من حضر قال : كنت مع عبد الله المختال ، وقد احتفل مجلسه بأصحابه وفيهم الداعيان : أبو طالب ، وأبو عبد الله ، وقد وجه إلى ابن التبان ، فإذا به دخل وعينه تتقدان كأنهما عينا شجاع ، فدخل وسلم ، فقال أبو طالب : عتاً يا أبا محمد ا فقال : في شغلك ا كتاب ألفتة في فضائل أهل السنة الساعة ، أتاني به المجلد ودفعه إلي . وناظر الداعيين ، وظهر عليهما وأفحهما .

ويتبين من هذا أنه كان فصيحاً مُفَوِّهاً حاضر البديهة قوي الحجّة ، وكان من العلماء الراسخين والفقهاء المبرزين ، ضربت إليه أكباد الإبل من الأمصار لعلمه بالذبح عن مذهب أهل الحجاز ومصر ومذهب مالك . وكان من أحفظ الناس للقرآن والتفتن في علومه ، والكلام على أصول التوحيد ، وكان من الحفاظ وكان يميل إلى الرقة ، وحكايات الصالحين ، عالماً بالفقه والنحو والحساب والنجوم . وذكره القاسبي بعد موته فقال : رحمك الله يا أبا محمد قد كنت تغار على المذهب ، وتذب عن الشريعة .

وكان كريم الأخلاق ، حلو المنظر ، بعيداً عن الدنيا والتصنع ، من أرق أهل زمانه طباعاً وأحلاهم إشارة وألطفهم عبارة .

قال لبعض تلامذته : حذ من النحو ودع فما أكثر أحد من النحو إلا حمقه ، ولا من الشعر إلا أرذله ، ولا من العلم إلا شرفه .

وقال يوماً : لا شيء أفضل من العلم ، فقال أبو إسحاق الجبنياني ، العمل به أفضل ، فقال صدق : العلم إذا لم يعمل به صاحبه فهو وبال عليه ، وإذا عمل به كان حجة له ونوراً يوم القيامة . وكان إذا حدث في القيروان أمر فر إلى سوسة والمستير حتى ينفض ذلك الأمر .

سمع منه أبو القاسم المنستيري ، ومحمد بن إدريس بن الناطور ، وأبو عبد الله ابن الخراط وابن الليبي .

مؤلفاته :

- 1 - كتاب في فضائل أهل البيت .
- 2 - كتاب في النوازل .

المصادر والمراجع :

- ترتيب المدارك 517/4-524.
- الديباج المذهب 13.
- شجرة النور الزكية 95-96.
- معالم الإيمان 120-109/3.
- Hady-Roger Idris, La Berbérie Orientale sous les Zirides, t. 2, pp. 699, 717 -

* * *

67 - التجاني (في حدود 660 هـ) (1262 م)

إبراهيم بن محمد بن أبي القاسم التجاني من أفراد بيت التجانيين النابه الذي أُجِب كثيرًا من العلماء والأدباء في العصر الحفصي .

له : مؤازرة الوافد ومبارزة الناقد في الانتصار لابن الأبار . ألفه ردًا على من انتقد قصيدة ابن الأبار السينية التي أنشدها بين يدي أبي زكرياء الأول طلبًا لنجدة بلنسية ومطلعها :

أدرك بخيلك خيل الله اندلسا ان السبيل إلى منجاتها درسا

وقد نال هذا التأليف إعجاب المعاصرين لما احتوى من تحقيق علمي وبلاغة تعبير .

المراجع :

- مقدمة رحلة التجاني 9-10.
- ورقات . . . 150-151.

* * *

أحمد بن محمد بن عبد الله بن علي بن أبي الفتح بن أبي البركات محمد بن علي بن أبي القاسم بن حسن بن عبد القوي التجاني، الشهير بأبي العباس وبأبن كُخيل.

ولد بتونس، وتلا بالسبع ويعقوب على جماعة منهم البرزلي وعبد الله بن مسعود القرشي، ومحمد بن محمد الشقوري الباجي الأندلسي الأصل، وعبد الواحد اللقلاق، وأبو مهدي عيسى الغبريني، وأخذ عنه غير ذلك وهو من كبار شيوخه، وأخذ النحو عن الشيخ محمد بن داود الصنهاجي المعروف بابن آجروم وبحث عليه الجمل للزجاجي، والمقرب لابن عصفور، وبعض كتاب أبي موسى الجزولي، ثم عن الشيخ أبي الحسن الأندلسي الشهير بسمعت بلفظ الفعل الماضي المتصل بضمير المتكلم - بحث عليه الفية ابن مالك، وأعرب عليه قصيدة البيري. بفتح الباء - المسماة «منابذة العمر الطويل» وأولها:

تَفْتُ فَوَازِكَ الْأَيَّامِ فَتَا وَتَنَحُّتُ جَسْمَكَ الْأَيَّامِ نَحْتَا

وغير ذلك عليهما وعلى غيرهما وأخذ المنطق والكلام عن جماعة منهم الأبي، وأحمد ابن أبي القاسم العرجوني عرف بالعلقي وأحمد بن محمد البسيلي، وأحمد بن محمد الشماع، وأصول الفقه عن أبي العباس المدغري والأبي، والشماع، والفقه عن البرزلي والقاضي أبي يوسف يعقوب الرغبني وأبي القاسم العبدوسي القاسمي نزيل تونس، وغيرهم، والمعاني والبيان عن المدغري، وأبي الفضل ابن الإمام، وغيرهم، وأخذ الهندسة عن ابن مرزوق التلمساني وسمع عليه ما كان يقرأ عليه من علوم شتى، وكذا الشيخ أبي القاسم العقباني، أما الوثائق والأحكام وما يتعلق بذلك فأخذه عن العدل الخطيب بجامع الزيتونة محمد بن محمد الأنصاري الخزرجي الشهير بأبن الحاج، وسمع حديث الرحمة المسلسل بالأولية عن أبي زكرياء يحيى بن منصور، وسمع من محمد بن مسافر المعفري وأبي القاسم الأندلسي، والشريف التلمساني وقرأ عليه «عمدة الأحكام والموطأ» رواية يحيى بن يحيى «والشمائل» رواية عن البرزلي، وروى صحيح البخاري، وسنن أبي داود على الشيخ الشماع وغيره سماع بحث وبعض «علوم الحديث» لابن الصلاح «والتيبان» للنووي على عبد الواحد الغرياني والمدغري، وسمع على الغرياني «الرسالة القشيرية» و«سراج المريدين» و«سراج المريدين» كليهما للقاضي أبي بكر ابن العربي، والبخاري بسماع تفقه على الغرياني وغيره. ومن مشايخه في التصوف أبو عبد اللطيف المقدسي، وأبو عبد الله الهنتاني، وعمر الركراكي، ومحمد الجزولي، ومنصور البازي نسبة إلى بازة بالمغرب الأقصى.

(1) بكسر التاء المثناة الفوقية وتشديد الجيم وتخفيفها نسبة إلى قبيلة بالمغرب الأقصى قدم جد هذه الأسرة أبو القاسم إلى تونس مع جيش الموحدين.

والغالب على الظن انه كانت له رحلة إلى تلمسان والمغرب الأقصى إذ إنه روى عن جماعة من أهل البلدين، كابن آجروم، وابن الإمام، والعقباني، والشريف التلمساني، وهؤلاء لا تعرف لهم إقامة أو عقد مجالس تدريس في تونس.

وفي سنة 1443/846 عزم على حج بيت الله الحرام مصاحباً للركب التونسي عن أمر السلطان أبي عمرو عثمان الحفصي الذي أكرمه وأرسل إليه ما يعينه على ذلك وسأله أن يكون قاضي الركب فأجاب بعد امتناع وكراهة.

وفي القاهرة اجتمع بالحافظ ابن حجر وأنشده ارتجالاً بيتين [كامل]:

قد فُزْتُم بين الأنام وحزمتُ رهنَ السُّباق بنشر فتح الباري
فالله يَكَلِّؤُكم ويبقي مجدكم ويحوطكم من أعين الأغيار

كما اجتمع به البرهان البقاعي وأجازه وأملى عليه ترجمته وعرف تعريفاً وجيزاً ببعض أقرابه التجانيين وبمؤلفاتهم، ولقي الشمس السخاوي الذي اجتمع به في الجامع الأزهر وكتب عنه ترجمته وغير ذلك، وقال في نهاية ترجمته: «وكان فاضلاً مفاوياً طلق العبارة حسن المحاضرة، بهي المنظر حسن الخبر، والغالب عليه التصوف والصلاح».

تولى قضاء المحلة (أي العسكر) والتدريس بزواية باب البحر، وفي أواسط جمادى الأخرى من عام 856 صرف عن قضاء المحلة وعن الشهادة وقدم عوضه الشيخ محمد الزنديوي وفي أوائل جمادى الثانية من عام 857 صرف الشيخ محمد الزنديوي عن قضاء المحلة وأعيد إليها صاحب الترجمة وإلى الإسهاد بالحاضرة ثم صرف في رجب علم 865 عن قضاء المحلة والتدريس بزواية باب البحر وقدم عوضه محمد الرصاع وقدم هو عدلاً ومفتياً بالقلم. وتوفي في آخر ذي الحجة.

مؤلفاته :

- 1 - عون السائر إلى الحق، في التصوف، مجلد.
- 2 - المقدمات، في الفقه، مجلد لطيف.
- 3 - الوثائق العصرية.

المصادر والمراجع :

- الأعلام 219/1.
- تاريخ الدولتين 129-131-136.

- درة الحجال 88/1.
- شجرة النور الزكية 259-258.
- الضوء اللامع 137-136/2 (محرراً إلى البجائي). عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران مخطوط بالمكتبة الوطنية، وأصله من المكتبة الأحمدية) من الورقة 47 أ إلى 48 ب .
- مقدمة رحلة التجاني لمحققها ح. ح. عبد الوهاب 30-31.
- معجم المؤلفين 123/2.
- نيل الابتهاج 81.
- ورفقات لحسن ح. عبد الوهاب 177-174/3 (إعادة لما في مقدمة رحلة التجاني).
- إيضاح المكنون 511/2؛ 541/2، 701.
- توشیح الديوياح 57، 58 (دار الغرب الإسلامي، بيروت 1983).
- الحلل السندسية 631/1 (دار الغرب الإسلامي، بيروت).

* * *

69 - التجاني (وُلد بين 670-675/1272-1276 وكان حياً لسنة 1308/718)

عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني، والده من كتاب العلامة وصاحب القلم الأعلى، كان عالماً أديباً شاعراً، اعتنى والده بتربيته ولقنه مبادئ العلوم، وقرأ على قريبيه أبي الحسن علي بن إبراهيم التجاني النحوي اللغوي الأديب الشاعر وعمر التجاني، وعلى بن عبد الكريم العوفي الصفاقسي الأصل وأبي القاسم عبد الوهاب بن فائد الكلاعي، وغيرهم.

كان من جملة كتاب الإنشاء على عهد السلطان محمد المعروف بأبي عصيدة في بداية القرن الثامن. وفي عهد الأمير أبي يحيى زكريا ابن اللحياني استصفاه لنفسه وقرب منزلته منه ورسمه في خواص كتابه وصاحبه في رحلته في جهات تونس وليبيا من منتصف سنة 1308/708 وفارق مخدمه من أرض ليبيا لأسباب صحية وسياسية.

وبعد هذه الرحلة عاد إلى تونس مباشراً لخطته بديوان الإنشاء وبعد قليل مات السلطان أبو عصيدة خلال سنة 1309/709 فاجتاحت الاضطرابات البلاد بسبب التنازع على السلطة من أمراء البيت الحفصي، ودامت مدة عامين بين الأمراء، أبي زكريا بن أبي زيد الملقب بالشهيد وأبي البقاء خالد وغيرهما، ولم يستقر لهم الملك إلا قليلاً.

وفي أثناء هذه الاضطرابات كان شيخ الموحدين أبو يحيى زكريا ابن اللحياني قد عاد من الحج واستقر بمدينة طرابلس يراقب الأمور من بعيد، ويتربص الفرص إلى أن هجم بجموع من أنصاره على تونس واستولى على الحكم في سنة 1311/711 وقلد كاتب سره القديم صاحب

الترجمة رئاسة ديوان الإنشاء وهي خطة العلامة الكبرى .

وتخلى أبو زكريا يحيى بن اللحياني عن الملك لفائدة ابنه ووليّ عهده محمد المعروف بأبي ضربة سنة 1317/717 ومن ذلك التاريخ لا نعلم عن مصير عبد الله التجاني صاحب الترجمة شيئاً وله .:

1 - أحكام مغيب الحشفة . ألفه استدراكاً على شيخه أبي علي الهذلي ، وهو أول تأليف له ألفه في زمن الشباب وقد بين ذلك بقوله : «وكان شيخنا الإمام أبو علي عمر بن محمد بن علوان الهذلي - رحمه الله تعالى - قد ألف في ذلك تأليفاً (أي أحكام مغيب الحشفة) تهاداه الناس واستغروه جمع فيه ما قال غيره واستدرك أحكاماً كثيرة استخرجها بكثرة اطلاعه وتبحره في العلم واتساعه يزعم أنه لا يكاد يوجد حكم يشذ عن كتابه» وكنت قد قرأت عليه التأليف المذكور في شهر ذي القعدة سنة اثنتين وسبعمائة ، ورأيت قد أهمل أحكاماً كثيرة فحملتني سن الحداثة - إذ ذاك - وحب الظهور على أن وضعت فيه حزماً انتهت الأحكام المستدركة فيه إلى خمسين حكماً واتسعت في ذكر الخلاف وبسط التعليل فجاء تأليفاً تاماً أيضاً مستقلاً ، ووقفته عليه فعظمه غاية التعظيم ، وتلا قوله سبحانه وتعالى : وفوق كل ذي علم عليم . وكانت وفاة شيخنا المذكور في الرابع لشعبان سنة عشر وسبعمائة⁽¹⁾.

2 - اداء اللازم من شرح مقصورة حازم : وكان وضع هذا الشرح في محرم سنة 699 وهو من أقدم مؤلفاته ، وهو مفقود الآن .

3 - تحفة العروس ونزهة النفوس . رتبة على 25 باباً في معاشره النساء وأخلاقهن وخصالهن وصفة أعضائهن من حسن وقبح وفي العفاف والصون وفي الزينة والتطيب ، وفي حقوق المرأة على الرجل وفي الغيرة ما يحمد منها وما يذم ، وختمه بباب متسع في الملح والفكاهات وأورد فيه ما دعت إليه الحاجة من آيات قرآنية وأحاديث نبوية مع تفسيرها ومن الحكايات الطريفة ما يناسب كل مقام .

والكتاب خال من سخف الأدب المكشوف والمجون اللذين يتلهى بهما في المجالس ، إذ قال في خطبته : «وليس كتابنا هذا في الحقيقة كتاب سمر ، وإنما هو كتاب علم ونظر» .

ط . بالمطبعة الشرقية بالقاهرة سنة 1301هـ في 204ص منسوباً خطأً للشيخ أحمد التجاني صاحب الطريقة .

4 - تقييد على صحيح البخاري ، وضعه بظرابلس سنة 1307/707 بعد أن انتهى من قراءة

(1) تحفة العروس ص 61.

صحيح مسلم على الشيخ عبد العزيز بن عبيد السبائي . قال في رحلته : «ثم بعد ذلك في الشهر نفسه ابتدأت قراءة دولة أخرى من المسند الصحيح للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي البخاري» .

5 - تقييد على صحيح مسلم كتبه في التاريخ السابق حين قراءته بطرابلس على شيخه المذكور . قال في رحلته : «قد كنت ابتدأت تقييد ما انتجته فينا المناظرة وأفادتنا المحاضرة مما جاء كالإكمال لكتاب الإكمال» يعني إكمال المعلم بفوائد صحيح مسلم للفاضل عياض .

6 - الدر النظيم - في الأدب والتراجم ، ذكره في رحلته 363/262 وقال فيها : «وقد ذكرناه (عبد الرحمن بن عيسى) وأخاه في كتاب «الدر النظيم» بأتم من هذا» . وربما يكون في هذا الكتاب قد جمع أخبار أدباء الدولة الحفصية السابقين لعصره . وهو مفقود .

7 - رحلته دون فيها وصف القرى والمدن التي مر بها في رحلته صحبة مخدومه الأمير أبي يحيى زكريا بن اللحياني ، والتعريف بالناخبين من أبنائها من فقهاء وأدباء وقواد وصلحاء ، قدامى ومعاصرين ووصف للمعالم والمعاهد والعناية بمواطن القبائل العربية وما تفرع عنها من بطون وأفخاذ مع الإلمام بالعقائد والتقاليد الغربية .

ولما كان سير الرحلة بطيئاً ومجاله محدوداً فقد كان ذلك في مصلحة الوصف إلى حد كبير فتمكن بذلك من الوقوف عند كل ما يمكن ملاحظته في طريق سيره القصير ، وقد برهنت رحلته على أهميتها الكبرى وذلك بتزويدها لنا بمعلومات عن جميع المناطق التي زارها وعن الأصقاع المجاورة لها وهي تتناول مسائل الجغرافيا ، كما تتناول مسائل التاريخ الطبيعي وبوجه خاص التاريخ البشري .

وكما جرت العادة فإنه يستشهد بمختلف المؤلفين ، ويقتبس أحياناً من الوثائق ، بل انه يورد هذه الوثائق التاريخية أحياناً بنصها الأصلي ، وانفرد بإيراد جملة أحداث معاصرة لا توجد إلا فيها .

أما أسلوبه في العرض فأدبي صرف ولكنه لا يثقله بالانطباعات الشخصية أو بمحاولة التدليل على سعة معارفه ومهارته ككاتب فهو في هذا الصدد أفضل بكثير من غيره من الكتاب الذين عالجوا التأليف في هذا النمط ، وبعد قرن من الزمان قدره ابن خلدون تقديراً كبيراً وأفاد من مصنفه مراراً عديدة في تلك الأجزاء من تاريخه التي أفردتها لشمال أفريقيا . وقد دلت أبحاث أماري على أن التجاني يقدم معلومات تاريخية وجغرافية ذات قيمة كبرى من ذلك ما كتبه عن جزيرة جربة بل وعن صقلية نفسها .

وطبعت الرحلة أول مرة بتونس بالمطبعة الرسمية سنة 1927/1345 بعناية المستشرق وليام مارسي ولأسباب لا نعرفها لم ترح هذه الطبعة بالسوق ، ثم طبعت طبعة محققة بالمطبعة

الرسمية سنة 1958/1378 مع مقدمة حافلة للمؤرخ الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب في 46ص في التعريف بالمؤلف وبعض أفراد بيته التابعين. نص الرحلة في 395ص + 103ص فهارس .

8 - علامة الكرامة في كرامة العلامة⁽¹⁾. . . والظاهر أنه نوه بذكر وظيفة العلامة الكبرى والصغرى وهو ما كان يوضع من الكتابة بالقلم الغليظ على الظهائر السلطانية والأوامر الرسمية للملك بني حفص ولغيرهم من ملوك المغرب وفي الحقيقة ان «صاحب العلامة» كان يشغل الرئاسة العليا لدواوين الإنشاء، فالمعاهدات والمراسم والرسائل التي تصدر عن السلطان للملك العالم كانت تحلى بالعلامة الكبرى، كما أن المكاتب العادية والأذون للعمال والقضاة وسائر نواب الحكومة في داخل القطر وكذا تسمية المتوظفين توضع عليها العلامة الصغرى من تحرير غيره من كتاب الديوان. والعلامة نفسها هي عبارة عن جملة مختارة في معنى حمدالله وشكره وتمجيده ويختلف رسمها وعبارتها عند استيلاء كل ملك من ملوكهم .

وهذا التأليف يغلب على الظن أنه لتراجم الكتاب الذين تداولوا على هذه الخطوة . وهو من مؤلفاته المفقودة .

9 - نفحات النسرين في مخاطبة ابن شيرين ، جمع فيه المخاطبات والمحاورات الدائرة بينه وبين الأديب الأندلسي محمد بن أحمد بن شيرين الجذامي السبتي الأصل المنتقل إلى غرناطة والمتولي قضاءها ، وصل إلى تونس عام 1303/703 بنية الحج فلم يقض له ذلك ، واجتمع به المترجم له .

قال المترجم له عن ابن شيرين : «وهذا الرجل من أعظم من رأيت تحقيقاً وأحسنه في النظم والشتر طريقاً ، وقد كنت اجتمعت به في تونس ووصل إليها في عام 703 وكانت نيته التوجه إلى الحج فلم يقض له بذلك» . وهذا الكتاب مفقود .

10 - الوفا ببيان فوائد الشفا ، وهو شرح على الشفا للقاضي عياض في نحو أربعة أجزاء والموجود منه في المكتبة الوطنية بتونس قطعة صالحة في جزعين وهي بخط تونسي قريبة العهد ، وهذا التأليف نقل عنه الشهاب الخفاجي وعلي القاري في شرحيهما على الشفا .

المصادر والمراجع :

- تاريخ الأدب الجغرافي العربي لكراتشكوفسكي ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ق . 384-383/1.
- شجرة النور الزكية 206.
- عنوان الأريب 84-82/1.

(1) نسبة البرهان البقاعي في «عنوان الزمان» لأبي الحسن علي التجاني وهو غير صحيح .

- عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران لإبراهيم البقاعي ، عرضاً في ترجمة أحمد بن كحيل التجاني .
- مجمل تاريخ الأدب التونسي 212-214.
- مستودع العلامة ومستبدع العلامة لأبي الوليد بن الأحمر ص 34.
- معجم المطبوعات (650-651).
- معجم المؤلفين 39/6.
- مقدمة رحلة التجاني ص 19-46.
- ... ورفات 193-177، 174-162/3.
- الأعلام 125/4 (ط/5) .
- إيضاح المكنون 713/2.
- كشف الظنون 370/1، 713/2،
- هدية العارفين 141/2-142.
- بلاد البربر الشرقية في عصر الحفصيين (بالفرنسية) 399-397/2.
- دائرة المعارف الإسلامية (ط، 1، الترجمة العربية - كتاب الشعب) 226-225/9.

* * *

70 - التجاني (635 - 714 هـ) (1238 - 1314 م)

علي بن إبراهيم بن محمد بن أبي القاسم التجاني ، أبو الحسن الراوية الأديب الشاعر ذو البديهة السريعة في النظم ، قال تلميذه محمد بن جابر الوادي أشي : «وربما سبق الكاتب فيما يقترحه عليه من النظم في أي عروض وروي ، شاهدت ذلك منه» .

ومدح شعره العبدري بسرعة البديهة فقال⁽¹⁾ : «وأما أبو الحسن فهو فيه آية الزمن من إجادة معنى وتنقيح لفظ وسرعة بديهة وكثيراً ما يمليه انجلاً فيجود ويتقن» .

أخذ عن جده لأمه أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد السلام الجمحي المعروف بابن القاضي ومحمد بن عبد الجبار الرعيني السوسي ، ومحمد بن بشارة الكندي ، وعبد الله بن بُزْطَلَة ، وحازم القرطاجني ، وإبراهيم بن وثيق ، وابن الأبار وروى عن ابن الشباط التوزري وقاضي الجماعة المحدث ابن الغماز ، وأجازه جماعة من المشاركة بإفادة شيخه أبي إسحاق إبراهيم البلفيقي ، وجح ولقي جماعة من الاعلام .

وكان مقصوداً لإقراء العربية والأدب وغيرهما ، تخرج به جماعة منهم : قريه عبد الله التجاني صاحب الرحلة ، ومحمد بن جابر الوادي أشي الذي أخذ عنه «شمائل النبي ﷺ»

(1) بعد أن ذكر نبوغ التجانيين في العلم والأدب ، وأنه قل منهم ومن نساغهم من لا يقول الشعر .

للترمذي ، وكتاب «شهاب الأخبار» لمحمد بن سلامة القضاعي ، والقصيدة الشقراطية و «اختصار سيرة النبي ﷺ» لابن فارس اللغوي و «الأحاديث التي اجتمع فيها أربعة من الصحابة يروي بعضهم عن بعض» لعبد الغني بن سعيد الأزدي المصري ، و «حديقة الأزهار وحقبة الافتخار في مدح النبي المختار» لحازم القرطاجني التي جعل صدورها مدحاً للحضرة النبوية وإعجازها من معلقة امرئ القيس
توفي بتونس في 15 صفر.

مؤلفاته :

1 - تسلية القلب الحزين في مرثي قاضي قضاة المسلمين . جمع فيه ما قيل من المرثي في شيخه قاضي الجماعة ابن الغماز مرتبة على حروف المعجم ، وهو من بين من نظم بعض المرثي ، ذكر الوادي آشي في أواخر ترجمة شيخه ابن الغماز ما نصه : «واتبعه الناس ثناء حسناً ورثوه بضروب من الندب سمي مجموعها : «رائق الوشي وعالي الطراز في مرثي القاضي الأجل أبي العباس بن الغماز» . ورتب الشعر فيه على مقدار أهله وسمي في الترتيب الآخر الذي رتب شعره على حروف المعجم في البداية ب «تسلية القلب الحزين في مرثي قاضي المسلمين» والتأليفان لرجلين .

وقال ابن عبد الملك المراكشي⁽¹⁾ في أواخر ترجمة ابن الغماز «ورثاه جماعة من الشعراء بقصائد فرائد تولى جمعها في دفتر تلميذه ناظم بعضها أبو الحسن علي بن إبراهيم ابن محمد التجاني» وقد اختصر ابن فرحون⁽²⁾ كلام ابن عبد الملك المراكشي وان لم يصرح بذلك قال في أواخر ترجمة ابن الغماز : «ورثي بقصائد فرائد تولى جمعها تلميذه أبو الحسن التجاني» .

ومن كل هذه النصوص نستفيد أن عليا التجاني جمع ما قاله هو وغيره من المرثي في شيخه ابن الغماز ، ولم يعين الوادي آشي مؤلفي المجموعين إلا أنه ذكر أنهما لرجلين ولم يبين ابن عبد الملك المراكشي ولا ابن فرحون اسم التأليف المجموع . وإذا كان من المتفق عليه أن عليا التجاني هو ناظم بعض المرثي وأحد جامعها في تأليف فإنه لا يحسن منه ترتيب الشعر حسب قيمته الذاتية أو قيمة قائله لأنه أين يضع نفسه ؟ فإن وضعها بين المجلين زكاهما ومدحها وهو ما يتحاماه العقلاء وحجب الحق ، لذلك نرجح أن التأليف الذي رتب فيه الشعر على حروف المعجم والمسمى ب «تسلية القلب الحزين في مرثي قاضي قضاة المسلمين» هو لعلي التجاني .

(1) الذيل والتكملة 1/113.

(2) الدياج المذهب 79.

2 - علامة الكرامة في كرامة العلامة ، وقد مر أنه لعبد الله التجاني صاحب الرحلة ، ونسبةً البقاعي في «عنوانه» لصاحب الترجمة في ترجمة أحمد بن كحيل التجاني ، ومن المعلوم أن البقاعي أخذ ترجمة بعض التجانيين عن ابن كحيل ولعله وهم وخاتته الذاكرة عند التدوين أو أن ابن كحيل كان واهماً مثله .

المصادر والمراجع :

- برنامج الوادي آشي ، تحقيق محمد محمد محفوظ (ط . بيروت (1980/1400) 59-60 .
- بغية الوعاة 141/2 .
- رحلة التجاني 258-270 .
- رحلة العبدري 257-263 .
- عنوان الأريب 86/1
- مقدمة رحلة التجاني 11-13 .
- ورقات ... 152/3-154 .

* * *

71 - التجاني (... 718 هـ) (1318 م)

محمد بن علي بن إبراهيم بن محمد بن أبي القاسم التجاني ، أبو الفضل ، الأديب الشاعر الكاتب بديوان الإنشاء . خدم الدولة الحفصية في أيام السلطان أبي عصيد ثم السلطان أبي يحيى زكريا بن اللحياني ، ثم ابنه السلطان محمد الملقب بأبي ضربة المستبد بأمر إفريقية بعد أبيه فكان المترجم له كاتب سره ومدير أمره ، وقد صحب مخدومه هذا لما زحف السلطان أبو بكر الحفصي صاحب المملكة الغربية ، على تونس ، فأوقع بأبي ضربة وجموعه في فحص مصوج من تراب أولاد عون الآن قرب سليانة ، ومن بينهم صاحب الترجمة سنة 1318/718 .

قال ابن رُشيد في حقه : « ما رأيت في نجباء ابناء الأفريقيين أجمع منه لفضيلة ، ولا أبرع في كل خصلة نبيلة وخلة جليلة ، مع عفاف وكفاف ، يتصرف كيف يشاء في الروية والارتجال مديد الباع فسيح المجال » .

وهو إلى فرط أدبه وبارع نثره ونظمه معتن بالرواية مستجيزاً للشيوخ ، فوصلته من أهل سبته لإجازات كثيرة بعث له بها صديقه ابن رُشيد .

أورد له ابن عمه عبد الله التجاني رسائل وقصائد في «رحلته» .

مؤلفاته :

- 1 - الأُم الخالية ونشر الرم في البالية .
- 2 - الخلل المضمخة في حلى المشيخة .
- 3 - الخلى التيجانية في الخلل التيجانية ، قال ابن رشيد : «وجمعه باسمنا حفظه الله تعالى وشكره» . وقال في موضع آخر : «إنه باسمه واسم صاحبه الوزير ابن الحكيم رحمه الله تعالى» ذكر فيه أخبار السابقين من أفراد بيتهم وما لهم من الآثار العلمية والأدبية .
- 4 - الدر المنظوم .
- 5 - شرف الطرف في طرف الشرف .
- 6 - الناسم ، جمع فيه تراجم ومختارات لشعراء عصره . وهذه المؤلفات مفقودة .

المصادر والمراجع :

- رحلة التجاني 88-89 ، 221/224 ، 288 ، 292 .
- عنوان الأريب 1/87-91 .
- مجمل تاريخ الأدب التونسي 210-212 .
- مقدمة رحلة التجاني 15-17 .
- نفع الطيب (طبعة م . م . عبد الحميد) 5/257 [121/4] .
- ورفقات . . . 3/157-159 .
- محمد الحبيب بن الخوجة : الحياة الثقافية بافريقية صدر الدولة الحفصية ، في النشرة العلمية للكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين ، السنة 4 ، العدد 4 ، 1976-1977 ص 72-73 .

* * *

72 - التجيبي (كان حياً سنة 449 هـ) (1068 م)

إسماعيل بن أحمد بن زيادة الله التجيبي البرهقي القيرواني نزيرل المهديّة ، أبو الطاهر ، الأديب الشاعر اللغوي .

أخذ عن أبي إسحاق إبراهيم الحصري تآليفه وسمع من أبي القاسم سعيد بن أبي مخلد الأزدي العثماني ، وأبي القاسم عمار بن محمد الإسكندراني ، والشاعر المصري أبي الحسن علي بن حبّيش الشيباني ، وروى عن يعقوب بن خرازاد النجيري أدب الكاتب لابن قتيبة ، وروى ديوان المتنبي عن أبي عبد الله الحسين بن عبد الله بن حاتم الأزدي⁽¹⁾ تلميذ القاضي أبي

(1) في المختار من شعر بشار ص153 محرراً إلى الأزدي ، وكذلك ورد محرراً في مقدمة عبد العزيز الميني .

بكر الباقلائي نزيل القيروان . وكان له صلة تعارف بالشاعر الناقد عبد الكريم النهشلي⁽¹⁾ صاحب كتاب «المتع» وذكر أنه سأل الفقيه أبا الحسن علي بن عبد الكريم الغالي مقابلة بعض الكتب⁽²⁾.

كان عالماً بالأدب مستبحراً شاعراً مجوداً من أهل التصنيف والتأليف مع جودة الضبط وبراعة الخط . دخل الأندلس وكان بمالقة سنة 1016/406 وذكر مرضه فيها وكثرة مجالس الطرب فيها ليلاً وما استحسنته منها⁽³⁾.

ورحل إلى مصر واختلط بأدائها وكان بها في سنة 1025/415 وبعد رجوعه من مصر رحل إلى صقلية وقضى بها مدة غير يسيرة من كهولته وتعرف فيها بشاعر صقلية أبي الحسن علي بن محمد الخياط الربعي ، وذكر له كثيراً من غرر شعره ، وقد أكثر من الخنين إليه وإلى مجالس أنسه .

وذكر ممن أنشده شعراً من أدباء القيروان : إبراهيم بن يونس الأنصاري وأبا محمد الأزدي ، وأبا بكر محمد بن علي بن الحسن التميمي ثم الغوثي الذي رافقه بالإسكندرية والمهدية ، وأبي الحسن الطوبى الكاتب ، ومن شعراء مصر أبا الحسن البصري الشريف العباسي .

ومن روى عنه الحسين بن زياد الرقاء روى عنه كتاب أدب الكاتب لأبن قتيبة بسنده وأبو مروان الطبري لقيه بالإسكندرية في رحلته لأداء فريضة الحج وكان وقوفه في موسم سنة 1048/438.

قال ابن الأبار : «ووقفت من نخط أبي طاهر هذا على ما أرخه في جمادى الآخرة لسنة إحدى وأربعين وأربعمائة» .

مؤلفاته

له : الرائق بأزهار الحدائق من المختار من شعر بشار إختيار الخالدين وقد طبع هذا الكتاب بعنوان : «المختار من شعر بشار إختيار الخالدين وشرحه لأبي الطاهر إسماعيل بن أحمد بن زيادة الله التجيبي البرقي المتوفى في القرن الخامس من الهجرة» . بعناية وتحقيق السيد محمد بدر الدين العلوي أحد معلمي اللغة العربية في الجامعة الإسلامية بعليكرة بالهند ، مع التعريف ببشار والخالدين والشارح ومعاصريه بقلم العلامة عبد العزيز الميمني ، وط . بمط . لجنة التأليف والترجمة والنشر في القاهرة بلا تاريخ ، لكن يستفاد من مقدمة المحقق والميمني المؤرختين في 1934/1353 انه ربما طبع قريباً من هذا التاريخ .

(1) انظر : شعر النهشلي في ما جل ، المرجع السالف ص 263.

(2) المرجع السالف ص 111 [ص.م من مقدمة الميمني].

(3) المرجع السالف ص 14-16.

ويلاحظ أن الكتاب ليس اسمه كما ظن المحقق، قال العلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور⁽¹⁾ «غير أن ناشر الكتاب يظنه كتاب المختار للخالدين ويظن أن التجيبي شرح ذلك الكتاب، وليس الأمر كما ظن بل الكتاب الذي نشره هو مختار المختار وهو ما اختاره إسماعيل التجيبي من مختار الخالدين وشرحه وضم إليه ما عثر عليه من شعره حسبما أفصح عن ذلك كلامه في أواخر الشرح صفحة 341 وكلامه في ص 201» .

ومما يدعم رأي الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ما ورد في ص 8 من هذا الكتاب «قال إسماعيل بن أحمد، ورأيت بعد نظري في اختيار الخالدين وما اخترته منه . . .» كما أن الشيخ ابن عاشور⁽²⁾ يرى أن مختار المختار هذا هو كتاب «الرائق بأزهار الحدائق» ومما يؤيد هذا أن ابن الأبار والسيوطي لم يذكرا له غير هذا الكتاب، ولمح ابن الأبار إلى تاريخ وجوده بمالقة نقلاً عن كتاب «الرائق بأزهار الحدائق» .

ومنهجه في هذا الكتاب أنه يذكر أبياتاً لبشار ثم يذكر أبياتاً لشعراء آخرين قدامى ومحدثين يتفقون مع بشار في غرض الأبيات، وأحياناً يذكر عمّن أخذ بشار معنى أبياته من المتقدمين عليه، ويعقد مقارنات بين هذه الأشعار، وييدي أحياناً بعض الملاحظات النقدية، وبطيل في شرح الألفاظ اللغوية، ويستطرد أحياناً إلى ذكر حكايات أدبية ويشعر بما في هذا الاستطراد من خروج مغللاً له بأن الحديث ذو شجون، وذكر فيه أشعاراً لمعارفه من المصريين والقيريين، ومجموعة من شعره هو .

المصادر والمراجع :

- الأعلام 304/1 (توفي نحو 1103/445).
- بغية الوعاة 443/1.
- تكملة آبن الأبار (ط . مصر) 190-189/1 (أوسع ترجمة له).
- مجمل تاريخ الأدب التونسي 137-140.
- معجم المؤلفين 42/259 (نقلاً عن الأعلام).
- مقدمة عبد العزيز الميمني للمختار من شعر بشار .
- بلاد البربر الشرقية في عهد الزيرون (بالفرنسية) 787/2.

* * *

(1) مقدمة ديوان بشار مط لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة 1369/1950 ص 90.

(2) نفس المرجع ص 81.

خالد بن أبي عمران التجيبي ، مولاهم ، التونسي ، المحدث الصدوق والفقهاء العابد .

ولد بتونس وروى عن أبيه وحنش به عبد الله الصنعاني نزيل أفريقية ، ورحل إلى المشرق للسمع والرواية فروى عامة عن بعض متأخري الصحابة كعمرو بن الزبير وطبقته ، وسمع من القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، وسالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب وسليمان بن يسار ، وروى عنه عبيد الله بن زحر الإفريقي ، والليث بن سعد ، وحيوة بن شريح ، وعبد الله بن لبيعة ، ويحيى بن سعيد بن قيس الأنصاري شيخ الإمام مالك الذي بعثه عمر بن عبد العزيز على صدقات أهل تونس ، فحضر مجالسه المترجم له وروى عنه كما روى عنه من أهل أفريقية عبد الرحمن بن زياد بن أنعم ، وعبد الملك بن أبي كريمة ، وعبد الله بن غانم ، وعلي بن زياد .

تولى قضاء مدينة تونس وكان ذا وجهة عند أهل بلده فقد وجهه أهل أفريقية إلى يزيد ابن عبد الملك بن مروان ليخبره بقتل يزيد بن أبي مسلم عامله على إفريقية فأكرم وفادته واستشاره فيمن يوليه فأشار عليه فقبل قوله وولى الذي أشار به .

ووجهه مرة ثانية لاستفتاء علماء المدينة المنورة في مسائل استعصى عليهم أجوبتها ، فعرض هذه الأسئلة على القاسم بن محمد ، وسالم بن عبد الله ، فأبيا أن يجيباه فقال لهما : «إنا بموضع جفاء في هذا المغرب ، وإنهم حملوني هذه المسائل وقالوا لي : إنك تقدم المدينة وبها أبناء أصحاب النبي عليه السلام فسلمهم ، وإنكما إن لم تفعلًا كانت حجة لهم فما شئتما ؟»

فقال القاسم : سل ، فسألتهما فأجاباه واتجه بعد ذلك إلى سليمان بن يسار فجمع عنه المسائل ، فاجتمعت له من هؤلاء الثلاثة حصيلة وافرة من قضايا الفقه وأحكامه دونها في كتاب ذكره أبو العرب التميمي بقوله : «وهذا الكتاب رواه عنه عبد الملك ابن أبي كريمة» .
شهد مغازي كثيرة وأبلى فيها بلاء حسناً وقتل في مبارزة مقدم الصفرية .

المصادر والمراجع :

- تاريخ الإسلام للذهبي 259/3 .
- تقريب التهذيب 217/1 .
- تهذيب التهذيب 110/3 .
- الجمع بين رجال الصحيحين 123/1 .

(1) وقيل سنة 129 وقيل سنة 125 .

- خلاصة تذهيب الكمال 87.
- رياض النفوس 1-106/103-166-162 من طبعة البكوش بدار الغرب الإسلامي].
- الشذرات 176/1.
- طبقات خليفة بن خياط 295.
- طبقات علماء افريقية وتونس لأبي العرب 212-214.
- الطبقات الكبرى لابن سعد 521/7.
- حسن المحاضرة 299/1.
- العبر 169/1.
- الكاشف 17/1.
- الدكتور محمد الحبيب الهيلة ، أسس البناء الثقافي بجامع الزيتونة في القرون الإسلامية الأولى (في جريدة الصباح 29 محرم 1400 ديسمبر 1979 السنة 129).
- توشيح الدبياح ص 118-119.
- الحلل السندسية 648/1-650.

* * *

74 - التجيبي (422 هـ) (1031 م)

عتيق بن خلف التجيبي ، أبو بكر ، الفقيه الواعظ ، المؤرخ ، من تلامذه ابن التبتان وابن أبي زيد القيرواني ، وأبي سعيداً بن أخي هشام ، وأبي العباس بن تميم ، والقابسي ، وميسرة بن مسلم بن ربيعة الحضرمي ، ورحل إلى المشرق وأخذ عن جماعة من العلماء ، وروى عنه ابنه عبد الملك .
توفي في 22 جمادى الثانية بالقيروان في عهد المعز بن باديس ، ودفن بباب سلم قرب شقران الهمداني .

مؤلفاته :

- 1 - كتاب الافتخار في مناقب فقهاء القيروان . ينقل عنه ابن الأبار في تكملة الصلة تراجم الأندلسيين نُزلاء القيروان .
- 2 - كتاب الطبقات .
وهما مفقودان .

المصادر والمراجع :

- الاعلام 362/4.

- شجرة النور الزكية 106.
- معالم الإيمان 198/3.
- معجم المؤلفين 248/6.
- هدية العارفين 651/1.
- بلاد البربر الشرقية في عهد الزييين (بالفرنسية) لهادي روجي إدريس 725/2.

* * *

75- الترجمان (نحو 758 - 832 هـ) (1357 - 1430 م)

عبد الله الترجمان واسمه الأصلي أنسلم ترمودا (Anselmo di Turmeda) قسيس إسباني من مدينة ميورقة بالجزر الشرقية المعروفة بالباليار هاجر إلى تونس وأسلم في عهد السلطان أبي العباس أحمد ابن المستنصر الحفصي، وقيل إنه تظاهر بالإسلام وبقي على عقيدته.

ذكر في كتابه «تحفة الأريب» لمحة عن نشأته وهجرته إلى تونس فقال في (الفصل الأول منه) «اعلموا - رحمكم الله - أن أصلي من مدينة ميورقة - أعادها الله تعالى للإسلام - وهي مدينة كبيرة على البحر بين جبلين، يشقها واد صغيره وهي مدينة متجر ولها مرسيان اثنان ترسي بها السفن الكبيرة في المتاجر الجليلة، والمدينة تسمى باسم جزيرة ميورقة، وأكثر غلاتها زيتون وتين ويحمل منها في خصابة زيتونها أزيد من عشرين ألف بتيان لبلاد مصر والإسكندرية، وجزيرة ميورقة المذكورة أزيد من مائة وعشرين حصناً مسورة عامرة.

وكان والدي محسوباً من أهل الحاضرة في ميورقة، ولم يكن له ولد غيري، ولما بلغت ست سنين من عمري سلمني إلى معلم من القسيسين، فقرأت عليه الإنجيل حتى حفظت أكثر من شطره في مدة سنتين، أخذت في تعلم لغة الإنجيل وعلم المنطق في مدة سنتين، ثم ارتحلت من بلدي إلى مدينة لاردة من أرض القطلان، وهي مدينة علم عند النصارى في ذلك القطر، ولها واد كبير يشقها، ورأيت التين مخلوطاً برمله إلا أنه صح عند جميع أهل ذلك القطر أن النفقة في تحصيله لا تفي نفقته فلذلك ترك. وبهذه المدينة فواكه كثيرة رأيت الفلاحين يقسمون الخوخة أربعة أفلاق ويقرونها في الشمس، وكذلك يمقرون القرع والجزر فإذا أرادوا أكلها في الشتاء نفعوها في الليل بالماء وطبخوها كأنها طرية في أوانها.

وبهذه المدينة يجتمع طلبة العلم من النصارى وينتهون إلى ألف طالب أو ألف وخمسمائة ولا يحكم فيها إلا القسيس الذي يقرأون عليه، وأكثر نباتها الزعفران، فقرأت فيها الطبليات والنجامة مدة سنتين ثم تصدرت فيها لإقراء الإنجيل بلغته ملازماً ذلك مدة أربع سنين، ثم

ارتحلت إلى مدينة تيونية من الأيزدية ، وهي مدينة كبيرة جداً بنائها بالآجر الأحمر الجيد لعدم معادن الحجر عندهم ، ولكن لكل معلم من أهل صناعة الآجر طابع يخصه ، وعليهم أمين مقدم يحتسب عليهم في طيب طين الآجر وطبخه فإذا تفلح أو تفرك منه شيء غرم الذي صنعه قيمته وعوقب بالضرب .

وهذه مدينة علم عند جميع ذلك القطر ، ويجتمع بها كل عام من الآفاق أزيد من ألفي رجل يطلبون العلم ، ولا يلبسون إلا الملب الذي هو صباغ الله ، ولو يكون منهم طالب علم سلطاناً أو ابن سلطان فلا يلبس إلا ذلك ليمتاز الطلبة سن الغير ، ولا يحكم فيها إلا القسيس الذي يقرأون عليه فسكنت بها كنيسة لقسيس كبير السن وعندهم كبير القدر اسمه «نقلا مرتيل» وكانت منزلته بينهم بالعلم والدين والزهد رفيعة جداً انفرد بها في زمنه عن جميع أهل دين النصرانية ، فكانت الأسئلة مخصوصاً في دينهم ترد عليه من الآفاق وصحة الأسئلة من الهدايا الضخمة ما هو الغاية في بابه ، ويرغبون في التبرك به وفي قبوله لهداياهم فيتشرفون بذلك ، فقرأت على هذا القسيس علم أصول الدين النصرانية وأحكامه ، ولم أزل أتقرب إليه بخدمته والقيام بكثير من وظائفه حتى صيرني أخص خواصه وانتهيت في خدمته وتقريبي إليه إلى أن دفع مفاتيح مسكنه وخزائن مأكله إليّ ، ولم يستثن من ذلك سوى مفتاح بيت صغير بداخل مسكنه فكان يخلو فيه بنفسه ، الظاهر انه بيت خزانة أمواله التي تهدي إليه ، والله أعلم بحقيقته . فلازمته على ما ذكرت من القراءة عليه والخدمة له عشر سنين ، ثم أصابه مرض يوماً من الدهر فتخلف عن القراءة وانتظره أهل المجلس وهم يتذاكرون فس مسائل من العلوم إلى أن أفضى بهم الكلام إلى قوله تعالى إلى نبيه عيسى عليه السلام أنه يأتي من بعدي نبي لإسمه (البارقليط) فعظم ذلك بينهم في مقالهم وكثر جدالهم .

ثم انصرفوا عن غير تحصيل فائدة من تلك المسألة ، فأتيت مسكن الشيخ صاحب الدرس المذكور فقال لي : ما لاذي عندكم اليوم من البحث في غيبتي عنكم ؟ فأخبرته اختلاف القوم في اسم (البارقليط) وان فلاناً أجاب بكذا ، وأجاب فلان بكذا ، وسردت له أجوبتهم فقال لي : وبماذا أجبت أنت ؟ فقلت بجواب القاضي فلان في تفسيره للإنجيل . فقال لي : ما قصرت وقررت ، وفلان أخطأ ، وكاد فلان يقارب الصواب ، ولكن الحق خلاف هذا كله لأن تفسير هذا الاسم الشريف لا يعلمه إلا العلماء الراسخون في العلم ، وأنتم لم يحصل لكم من العلم إلا القليل ، فبادرت إلى قدميه أقبلها وقلت : يا سيدي ، قد علمت أنني ارتحلت إليك من بلد بعيدة ، ولي في خدمتك عشر سنين حصلت عنك فيها من العلوم جملة لا أحصيها فلعل من جميل إحسانكم أن تفضل عليّ بمعرفة هذا الاسم الشريف ، فبكى الشيخ وقال : يا ولدي والله إنك لتعز عليّ كثيراً من أجل خدمتك لي وانقطاعك إليّ ، وإن في معرفة هذا الاسم الشريف فائدة عظيمة ، لكن أخاف عليك أن تظهره فتقتلك النصارى في الحين .

فقلت : يا سيدي والله العظيم وبحق الإنجيل ومن جاء به لا أتكلم بشيء مما تسره إليّ إلا

عن أمرك فقال : يا ولدي إنني سألتك في أول قدومك عن بلدك وهل هو قريب من المسلمين وهل يغزونكم أو تغزونهم ؟ لأستخبرَ به ما عندك من المنافرة للإسلام ، فاعلم يا ولدي أن (البار قليط) هو اسم من أسماء نبيهم محمد ﷺ أنزل الكتاب الرابع المذكور على لسان دانيال عليه السلام - واخبر انه سينزل هذا الكتاب عليه وإن دينه دين الحق ، وملته هي الملة البيضاء والمذكورة في الإنجيل .

فقلت : يا سيدي وما تقول في دين النصارى ؟

فقال : يا ولدي لو أن النصارى قاموا على دين عيسى عليه السلام - لكانوا على دين الله - لأن عيسى وجميع النبيين دينهم دين الله تعالى .

فقلت : وكيف الخلاص ؟

فقال : بالدخول في دين الإسلام .

فقلت : وهل ينجو الداخل فيه ؟

قال لي : نعم ينجو في الدنيا والآخرة .

فقلت له : يا سيدي ان العاقل يختار لنفسه أفضل ما يعلم ، فإذا علمت فضل دين الإسلام فما منعك من الدخول فيه ؟

فقال لي : يا ولدي إن الله لم يطلعي على فضل دين الإسلام وشرف نبي الإسلام إلى بعد كبر سني وضعف جسمي ، ولا عذر لنا فيه بل حجة الله علينا قائمة ، ولو هداني الله لذلك وأنا في سنك لتركت كل شيء ودخلت في دين الحق ، وحب الدنيا رأس كل خطيئة فأنت ترى ما أنا فيه عند النصارى من رفعة الجاه والعز والترقي وكثرة عرض الدنيا ، ولو أنني ظهر عليّ شيء من الميل إلى دين الإسلام لقتلني العامة في أسرع وقت ، وهب أنني نجوت منهم وخلصت إلى المسلمين فأقول : إنني جئتكم مسلماً فيقولون لي : قد نفعت نفسك بالدخول في دين الحق فلا تمني علينا في دين خلصت به نفسك من عذاب الله ، فأبقى بينهم شيخاً فقيراً ابن تسعين سنة لا أفقه لسانهم ولا يعرفون حقي ، فأموت بينهم بالجوع ، وأنا والحمد لله على دين محمد - ﷺ - وعلى ما جاء به وإن كنت على دين عيسى ظاهراً يعلم الله ذلك مني . فقلت له : يا سيدي أفنتلني أن أمشي إلى بلاد المسلمين أو أدخل في دينهم ؟

فقال لي : إن كنت عاقلاً طالباً للنجاة فبادر إلى ذلك تحصل لك الدنيا والآخرة ، ولكن يا ولدي هذا أمر لم يحضره أحد معنا الآن فاكنمه بغاية جهدك ، وإن ظهر عليك شيء منه يقتلك العامة لحينك ولا أقدر على نفعك ، ولا ينفعك أن تنقل ذلك عني فأني وقولي مصدق عليك وقولك غير مصدق عليّ ، وأنا بريء من دمك ان فهت بشيء من هذا .

فقلت له : يا سيدي أعوذ بالله من سريان الوهم إلى هذا الحد ، وعاهدته بما أرضاه . ثم أخذت في أسباب الرحلة وودعته فدعا لي بخير وزودني بخمسين ديناراً ذهبياً ، وركبت البحر منصرفاً إلى بلدي مدينة ميورقة فأقمت بها ستة أشهر ، ثم سافرت منها إلى جزيرة صقلية وأقمت بها خمسة أشهر وأنا أنتظر مركباً يتوجه لأرض المسلمين فحضر مركب يسافر إلى مدينة تونس ، فسافرت فيه من صقلية ، وأقلعنا . عنها قرب مغيب الشفق ، فوردنا مرسى تونس قرب الزوال بحكم الله تعالى ، فلما أنزلنا بديوان تونس وسمع بي الذين بها من النصارى أتوا بمركوب حملوني معهم إلى ديارهم وصحبهم بعض التجار الساكنين أيضاً بتونس فأقمت عندهم في ضيافتهم على أرغد عيش أربعة أشهر ، وبعد ذلك سألتهم هل بدار السلطنة أحد يحفظ لسان النصارى ، وكان السلطان إذ ذاك مولانا أبو العباس أحمد - رحمه الله - فذكروا لي أن بدار السلطان المذكور رجلاً فاضلاً من كبار خواصه اسمه يوسف الطيب وكان طبيبه ومن خواصه ففرحت بذلك فرحاً شديداً وسألت عن مسكن هذا الرجل الطيب فدللت عليه واجتمعت به وذكرت له شرح حالي وسبب قدومي للدخول في دين الإسلام وأني أرغب أن يكون ذلك علي يديه فسر الرجل بذلك سروراً عظيماً ثم ركب فرسه وأحتملني معه إلى دار السلطان ، ودخل عليه فأخبره بحديثي . وأستأذنه علي فتمثلت بين يديه ، فأول ما سألني السلطان عن عمري فقلت له خمسة وثلاثون سنة ثم سألني كذلك عما قرأت من العلوم فأخبرته ، فقال لي : قدمت خير مقدم فأسلم علي بركة الله تعالى فقلت للترجمان - هو الطبيب المرقوم - : إنه لا يخرج أحد من دين إلا ويكثر أهله القول فيه والظعن عليه فأرغب من إحسانكم إلى الذين بحضرتكم من تجار النصارى وأجنادهم وأختارهم وتسالوهم عني وتسمع ما يقولونه في حقي ، وحيثئذ أسلم .

فقال لي بواسطة الترجمان أنت طلبت كما طلب عبد الله بن سلام من النبي - ﷺ - حين أسلم . ثم أرسل إلى أجناد النصارى وبعض تجارهم وأدخلني في بيت قريب من مجلسه فلما دخل النصارى عليه قال لهم : ما تقولون في هذا القسيس الجديد الذي قدم في هذا المركب قالوا : يا مولانا هو عالم كبير في ديننا ، وقال شيوخنا أنهم ما رأوا أعلى منه درجة في العلم والدين في ديننا .

فقال لهم : وما تقولون فيه إذا أسلم ؟

فقالوا : نعوذ بالله من ذلك وهو ما يفعل هذا أبداً .

فلما سمع ما عند النصارى بعث إليّ فحضرت بين يديه وتشهدت بشهادة الحق بمحضر النصارى فصلبوا علي وجوههم وقالوا : ما محمله على هذا إلا حب التزويج فإن القسيس عندنا لا يتزوج فخرجوا مكرويين محزونين ، فرتب لي السلطان - رحمه الله - كل يوم ربع دينار ، وأسكنني في دار المختص وزوجني بنت الحاج محمد الصفار ، فلما عزم على البناء بها أعطاني مائة دينار ذهباً وكسوة جديدة كاملة فابتليت بها وولد لي منها ولد سميته محمداً

على وجه التبرك باسم نبينا محمد - ﷺ - .

الفصل الثاني - فيما اتفق لي أيام مولانا أبي العباس أحمد وولده مولانا أبي فارس عبد العزيز .

وبعد خمسة أشهر من إسلامي قدمني السلطان لقيادة البحر بالديوان⁽¹⁾ فكان مراده بذلك أن أحفظ اللسان العربي فيه بكثرة ما يتكرر علي من ترجمة التراجمة بين النصارى والمسلمين فحفظت اللسان العربي في مدة عام ، وحضرت لعمارة⁽²⁾ الجنويز وللفرانسييس لمدينة المهديية وكنت أترجم للسلطان ما يرد من كتبهم ، وانتقلت مع السلطان لحصار قابس وكنت على خزائنه ، ثم إلى حصار قفصة ، وفيه ابتدا مرضه الذي مات فيه ثالث شهر شعبان عام ستة وتسعين وستمائة⁽³⁾ ثم تولي الخلافة بعده مولانا أمير المؤمنين وناصر الدين أبو فارس عبد العزيز ، فجدد لي جميع أوامر والده بمرتبتي ومنافعي كلها ، ثم زادني ولاية دار المختص ، فاتفق لي في أيامه بالديوان أن مركباً قدم موسوقاً بسلاح المسلمين فلما أرسى دخل عليه مركبان من صقلية فأخذهما حينه بعد أن هرب المسلمين منه برقابهم واستولى النصارى على أموالهم فأمر مولانا السلطان أبو فارس صاحب ولاية الديوان وشهوده أن يخرجوا إلى حلق الوادي ويتحدثوا مع النصارى في فداء أموال المسلمين فخرجوا وطلبوا الأمان لترجمان كان معهم فأمثوه فصعد إليهم لمراكبهم وتحدث معهم في الوزن ، فقالوا في ذلك ولم يحصل منهم شيء ، وكان قد ورد في هذا المركب قسيس كبير القدر في صقلية ، وكان بيني وبينه صداقة كبيرة كأنها أخوة ، إذ كنت أطلب العلم معه ، وقد سمع بإسلامي فقدم في هذا المركب يستدعيني الرجوع إلى دين النصرانية ، ويأخذني بالصداقة التي كانت بيننا فلما اجتمع بالترجمان الذي صعد إليهم للمركب قال له : ما أسمك ؟ قال : علي . فقال له : يا علي خذ هذا الكتاب وبلغه للقائد عبد الله قائد البحر عندكم بالديوان ، وهذا دينار فإذا رددت لي جوابه أعطيك ديناراً آخر ، فقبض منه الكتاب والدينار وجاء لحلق الوادي ، فأخبر صاحب الديوان بكل ما قالوا له ثم أخبره بما قاله القسيس ، وبالكتاب الذي أعطاه وبالدينار الذي استأجره به فأخذ صاحب الديوان الكتاب وترجمه له بعض التجار الجنويزيين ، فبعث الأصل والنسخة لمولانا أبي فارس ، فقرأه ثم بعث إليّ فحضرت بين يديه فقال لي : يا عبد الله هذا كتاب رجل من البحر فقرأه وأخبرنا بما فيه فقرأته وضحكت ، فقال لي : ما أضحكك ؟

(1) الديوان في اصطلاح العصر الحفصي هو مصلحة الجمارك وبالناحية الجنوبية من صفاقس باب يسمى إلى الآن باب الديوان ، وكان قديماً يشرف على البحر على مقربة من مصلحة الجمارك .

(2) جاء في ثمانين قطعة ونازلوا المهديية وأقاموا عليها نحو شهرين ، ووجه إليهم السلطان أبو العباس أحمد جيشاً مع أخيه الحاجب أبي زكريا ودارت بينهم معارك متعددة . ثم انجلوا عنها دون أن يظفروا بمغروب . راجع تحاف أهل الزمان 180/1 والمؤنس ص 153 .

(3) كذا في الأصل من طبعة مصر وهو تحريف ظاهر صوابه : سبعمائة (بتقديم السين 796) .

فقلت له : نصرك الله هذا كتاب مبعوث إليّ من قسيس كان من أصدقائي في الأول ، وأنا أترجمه لكم الآن إن شاء الله تعالى فجلست في ناحية فترجمته بالعربية ، ثم ناولته الترجمة فقرأها ، ثم قال لأخيه المولى إسماعيل : والله العظيم ما ترك شيئاً .

فقلت له : يا مولاي وبأي شيء عرفت ذلك ؟

قال : نسخة أخرى ترجمها الجنويينون . ثم قال : يا عبد الله وماذا عندك أنت في جواب هذا القسيس ؟ فقلت له : يا مولاي الذي عندي ما علمت مني من كوني أسلمت باختياري رغبة في دين الحق ولست أجيّب إلى شيء مما أشار إليّ قطعاً .

فقال لي : قد علمنا صحة إسلامك ولا عندنا فيك شك أصلاً ، ولكن الحرب خدعة ، فاكتب إليه في جوابك أن يأمر صاحب المركب أن يفادي سلع المسلمين ويرخص عليهم ، فقل له : إن اتفقتم مع تجار المسلمين على سعر معلوم فإنني أخرج مع الوزان بقصد وزن السلع ثم أهرب إليكم بالليل . ففعلت ما أمرني به وأجبت القسيس بهذا ، وفرح وأرخص على المسلمين في فداء متاجرهم وخرج الوزان مغاراً ولم أخرج معه فبئس مني ذلك القسيس ، فأقلع مركبه وأنصرف إلى خذلان الله .

وكان نص كتابه «أما بعد السلام من أخيك فرنسيس القسيس أعرفك أني وصلت هذا البلد برسلك لأحملك معي ، وأنا اليوم عند صاحب صقلية بمنزلة أن أعزل وأولي ، وأعطي وأمنع ، وأمر جميع مملكته بيدي ، فاسمع مني وأقبل إليّ على بركة الله تعالى ، ولا تخف ضياع مال ولا جاه وغير ذلك فإن عندي من المال والجاه ما يغمر الجميع وأعمل لك كل ما تريد» . انتهى .

هذه ترجمة مراحل حياته بإسبانيا وإسلامه بتونس ووظائفه بها وماجريات أحواله بها ، أثرتنا نقلها تامة وفيها عبرة وذكرى .

مات بتونس وقبره معروف بسوق السراجين بتونس ، وتسمية الجماهير سيدي تحفة . له تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ، فرغ منه سنة 1420/823 ، ط . بتونس سنة 1872/ 1290 هـ وبمصر سنة 1895 في 68 ص . وأثنى في هذا الكتاب على السلطان أبي العباس وابنه أبي فارس عبد العزيز وذكر ما أبطله من المكوس بأسواق تونس ونقل ذلك عنه المؤرخون كالزركشي وابن أبي دينار في «المؤنس» وبهذا يكون مصدراً ثانوياً للعصر الحفصي في هذه الفترة .

المصادر والمراجع :

- إتحاف أهل الزمان لابن أبي الضياف 180/1 .

- كشف الظنون 362.
- معجم المطبوعات 630.
- معجم المؤلفين 78/6.
- المؤسس في أخبار إفريقية وتونس، تحقيق محمد شمام (ط. تونس سنة 1967).
- هدية العارفين 468/1.
- إيضاح المكنون 381/1.
- تاريخ الدولتين للزرركشي (ط. 1/ 57).
- تحفة [الأريب] ترجمة ورد إسلامي على النصارى، تأليف ميغال دي إيلزا (Miguel di Epalza) تقديم عبد المجيد الشرفي.
- حوليات الجامعة التونسية ع 12، 1975، ص 283-290.
- بلاد البربر الشرقية في عصر الحفصيين 322/1، 470، 471، 376/2.

* * *

76 - التركي (1328 - 1397 هـ) (1910 - 1977 م)

عبد السلام بن محمود التركي، الأديب الشاعر، الكاتب. ولد بصفاقس في 15 أوت 1910، وتلقى التعليم الابتدائي بالمدرسة التهذيبية القرآنية، ثم الثانوي بالجامع الكبير (الفرع الزيتوني) ثم التحل إلى العاصمة سنة 1922، وواصل تعلمه بجامع الزيتونة إلى أن تخرج منه محرزاً على شهادة التطويع في 20 جويلية 1926.

ورجع إلى مسقط رأسه فسمي في غزوة أكتوبر 1926 معلماً بمدرسة الهلال القرآنية إلى سنة 1956 حيث عُيّن مديراً لها، وفي غزوة فيفري 1964 سمي مديراً لمدرسة 18 جانفي بضم مدرستي الهلال والسعادة، وفي سنة 1967 تخلى عن مهام الإدارة، وعاد للتدريس بصفة معلم دولة استثنائي إلى نهاية سنة 1969-1970، وهي السنة التي أحيل فيها على التقاعد.

كتب بالصحف والمجلات بإمضاءات مستعارة منها: «المدرسي» و«ابن الزيتونة» ويرمز أحياناً إلى اسمه ولقبه (عين الله ترعاهم)، وله مراسلات أدبية واجتماعية مع كبار المفكرين ورجال الصحافة. عمل بالإذاعة الجهوية بصفاقس من سنة 1971 إلى سنة وفاته، وانتهج من البرامج (وحي القرآن) وهو تفسير لآيات من القرآن الحكيم، و (أحاديث دينية) متعددة، وكان يشرف على إصلاح البرامج ويراقبها.

وكانت وفاته في 3 جوان 1977.

له ديوان شعر قدم منه نماذج بالإذاعة الجهوية بصفاقس.

المرجع :

- أمدني بهذه الترجمة مشكوراً الصديق العزيز شاعر صفاقس الأستاذ محمد الشعيوني بارك الله في أنفاسه الطيبة .

* * *

77 - التريكي (829 - 894 هـ) (1417 - 1489 م)

محمد بن أحمد بن إبراهيم بن علي بن محمد البيدموري التركي التونسي ، ويقال له التريكي بالتصغير ، الفقيه الأصولي المنطقي .

كان علي جد أبيه من آمد ، ونشأ ابنه بدمشق وكانت له بها رياسة لاتصاله بنوروز أو غيره وانتقل ابنه إلى المغرب فاراً من المؤيد فسكن تونس وتزوج بها فولد له صاحب الترجمة ونشأ بها ، فحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين ، ثم تلا بالسبع على أبي القاسم البزلي فأتقنها وهو ابن عشر ، وأجازه بما اشتملت عليه فهرسته ، وحفظ الشاطبيتين وعرضهما على محمد ابن القماح الأنصاري الأندلسي وأجاز له الرسالة ، وبعض ابن الحاجب الفرعي وغير ذلك ، وأخذ الفقه عن جماعة منهم البرزلي ، وأبو القاسم الوشتاتي القسنطيني ، وعمر القلشاني ، وعن ثانيهم ومحمد الرملي وغيرهما أخذ العربية ، وعن الأخير وعبد العزيز البحيري وغيرهما المعاني والبيان وعن الأخيرين والرملي وغيرهم ، أصول الفقه ، وعلى الرملي ، وأبي يعقوب المصمودي ، ومحمد بن عقاب قاضي تونس المنطق ، وعن القلشاني ، والرملي وأبي الفضل الملقبي أصول الدين ، وعن محمد بن أبي بكر الونشريسي والحاج المصري الحساب والفرائض ، وعن أولهما العروض وبرع في جل هذه العلوم . وقدم القاهرة هارباً مما اتفق له سنة 1446/849 فحج ورجع وأقام بها وتردد على أعيان علمائها كالحافظ ابن حجر ، وأخذ عنه واغتنب كل مهما بالآخر ، واجتمع به السخاوي في مجلس شيخه الحافظ ابن حجر ، واجتمع به قبل ذلك أول ما قدم القاهرة ، وسمع من نظمه ومباحثه في قدماته إلى القاهرة ، وكان لازم التردد على الكمال البارزي ، ونوه به حتى ولاه قضاء المالكية بدمشق عوضاً عن الشهاب التلمساني في جمادي الأولى سنة 1449/852 ، ثم لم يلبث أن صرف عنه وانتمى لأبي الخير النحاس بحيث كاد يلي قضاء مصر ، وأعطاه المكتبة المحمودية بعد الحافظ ابن حجر ، ولذا امتحن مسموعاته المذكورة ، ثم رجع إلى تونس ، وتولى الخطابة بجامع أبي محمد الحفصي من ريض باب السويقة ومفتياً به بعد صلاة الجمعة ، ومدرساً بالمدرسة المنتصية بسوق الفلقة ، وناظراً في الأحباس ، وذلك سنة 1459/864 ، وعزل عن الأحباس في ربيع الثاني سنة 1461/875 ثم تولى قضاء المحلة (العسكر) .

له ضخامة ووجاهة ورسوخ في الفقه واستحضار كثير له ولغيره من العلوم ، وحافظته جيدة حتى كان ابن الهمام يقول أنه معجون فقه . وأدبه كثير ، ومحاضراته حسنة ، قال السخاوي : ولكن الظاهر أنه معلول الديانة غير متشبه ولا متحر ، وقد أفحش البقاعي في شأنه حمية لشيخه أبي الفضل البجائي ، وأعتد في كثير مما أثبتته على أعدائه كأبي الفضل .

مؤلفاته :

- 1 - إكمال الأمل في شرح الجمل . وهو شرح لجمل الخوارجي في المنطق ، في سفرين جمع فيه بين شرح ابن واصل ، والشريف التلمساني ، وسعيد العقباتي ، ومحمد بن مرزوق ، مع زيادات من شرح الشمسية ، وشرح ابن الحاجب ، وشرح ابن رشد لكلام أرسطو وغير ذلك من غير تكرير .
- 2 - شرح الشمسية في المنطق .
- 3 - شرح مختصر ابن الحاجب الأصلي .

المصادر والمراجع :

- تاريخ الدولتين 143, B6.
- اللؤلؤ السندسية ق . 685-686/3.
- درة المجال 140/2-141.
- شجرة النور الزكية 260.
- الضوء اللامع 194/11, 287, 286/6 . (قسم الانساب منه) نيل الإبتهاج 323.
- توشيح الديباج 187-188.

* * *

78 - ابن تعاريت (1289 هـ) (1872 م)

سعيد ابن الحاج علي بن تعاريت الجربي الإباضي ، فقيه له عناية بالتاريخ . له رسالة في تراجم علماء الجزيرة (جربة) وذكر أمرائها من بني سمومن وبني جلود ، فرغ من تأليفها سنة 1857/1274 .

والتداول مختصر منها ، ونصها الأصلي عند أحد أحفاده وهو شديد الضن بها ، وحدثني الأخ الصديق الأستاذ الصادق بن مرزوق أنه طلبها منه لتحقيقها ويكون شريكه

بالنصف في مقابل ما يأخذه في تحقيقها ، فلم تطب نفسه وحدث بعض الناس أن الأستاذ يريد التحيل عليه ، وهكذا تضيع الآثار العلمية بين أيدي الجهال الذين استولى عليهم الشح والطمع المادي . والرسالة ملحق لسير الشماخي حفظ فيها عدة وثائق من الضياع ، وترجم فيها لجل علماء جربة من القرن التاسع إلى عصره القرن الثالث عشر .

ويستعمله صاحب كتاب «الإباضية في موكب التاريخ» لسعيد بن تعاريت الثاني ، وهو خطأ .

المرجع :

- نظام العزابة عند الإباضية الوهية في جربة لفرحات الجعيري ، ص 11، 343.

* * *

79 - ابن تعاريت (1255... هـ) (1355 - 1936 م)

سعيد بن علي بن تعاريت الجري الإباضي فقيه جليل مناظر .

قرأ بجامع الزيتونة ، وتخرج منه محرزاً على شهادة التطويح ، ثم قصد جبل نفوسة بليبيا للتفقه في المذهب على عادة الطلبة الإباضية من جربة . وفي مدة إقامته بالجبل أصدر بعض فقهاء طرابلس فتوى في عدم قبول شهادة الإباضية عند التقاضي فأقترح عليه شيخه أن يرد عليه فألف «رسالة المسلك المحمود في معرفة الردود» ط . على الحجر بليبيا بدون تاريخ .

نقلت ترجمته من كلام دار بيني وبين الصديق الأستاذ الصادق بن مرزوق جزاه الله خيراً . وفي خصوص عدم قبول شهادة الإباضية نقول : إن الإباضية يحتززون من الكذب ولا يستجيزونه وهم من أصدق الفرق الإسلامية ، وقد نص علماء الجرح والتعديل على أن الخوارج من أصدق الناس حديثاً ، ولذلك قبلوا روايتهم فإذا صدقوا في الرواية وهي دين فكيف لا يصدقون في الشهادة ؟

نعوذ بالله من الهوى والغرض المضلين .

* * *

80 - ابن تعاريت (من رجال القرن 10 هـ) (16 م)

يونس بن سعيد بن نحي بن تعاريت الصدغياني الجري الإباضي ، أبو النجاة . أخذ عن الشيخ زكريا الصدغياني .

ترأس الحلقة سنة 1497/908، ولم يكتف بذلك بل رحل إلى جبل نفوسة ليأخذ عن أبي عفيف صالح بن نوح التندميري، ولما انتهى من الدراسة رجع إلى جربة ودرس في جامع تاجديت (أي الجديد) الكائن بحومة (حارة) فأتوا من جهة صدغيان، وهو قريب من منزله، وتخرج به كثيرون منهم ثلاثة كانت لهم اليد الطولى في إصلاح المجتمع الإباضي بجربة، وجبل نفوسة ووادي الميزاب في الجزائر وهم:

- 1 - سلامة الجنائوني .
 - 2 - سعيد بن علي الجريبي مصلح وادي ميزاب .
 - 3 - أبو يوسف يعقوب بن صالح التندميري شيخ الشنّاحي صاحب كتاب «السير» . كان شيخ حلقة العزّابة، وفي عهده هاجم الأسطول الإسباني بقيادة «بادروتقارو» جربة سنة 1510/916، وتمكن الجرييون بقيادة عزابتهم من هزيمة هذا الأسطول شر هزيمة بعد أن اجتمع العزّابة وشيخ الحكم أبو زكرياء يحيى السمومني عند صاحب الترجمة .
- له أجوبة في الأحكام وغيرها نقلها تلميذه سلامة بن يونس بن سلامة الجنائوني وجمعها بعنوان: تقييدات مسائل .

المرجع:

نظام العزّابة عند الإباضية الوهية في جربة 215, 269, 304, 305.

* * *

81 - التلاتلي⁽¹⁾ (967 هـ) (1560 م)

داود بن ابراهيم التلاتلي الجريبي الإباضي، أبو سليمان، العلامة المحقق .

تحدث عن مراحل حياته العلمية فقال «أول ما قرأت العقيدة عقيدة التوحيد وغيرها على عمنا أبي زكريا عيسى الباروني⁽²⁾، ثم قدمت من نفوسه إلى جربة وقرأت بها عند الفقيه أبي

(1) نسبة إلى حومة (حارة) التلات بتأين مثناتين من فوق، ونسب إليها بزيادة لأم بعد التاء الاخيرة على غير قياس، ولعل هذه الصيغة شاعت بعد العصر التركي إذ هم يزيدون اللام قبل باء النسب فيقولون مثلاً جزائري بدلاً من جزائري . وحومة التلات معروفة في جربة قرب قلالة (بالقاف المعقودة) .

(2) حسب رواية الشيخ سعيد بن علي الجريبي، وفي الباروني، «أول ما قرأت العقيدة عقيدة التوحيد وغيرها على عمنا أبي بكر بن عيسى الباروني» ويظهر أنه تصحيف وتحريف، وليساً أخوين كما يتبادر إلى الذهن .

القاسم بن يونس السديوكسي). ومن شيوخه بجرية العلامة أبو يحيى زكرياء بن إبراهيم الهواري، ثم رحل مرة ثانية إلى جبل نفوسة فأخذ عن أبي يوسف يعقوب بن صالح الجناوي علامة أجانون⁽¹⁾. ولما ارتحل شيخه هذا إلى جربة بقي هو بجبل نفوسة ملازماً للعلامة إبراهيم بن أحمد من سلالة أبي منصور إلياس التندميري النفوسي الإمام المشهور عامل الإمام أفلح بن عبد الوهاب الرستمي، أخذ عنه المعقول كامنطق والبيان حتى برع فيها ونبغ ثم ارتحل إلى مصر، وكان موجوداً بها في عام 1507/913، ولقي بها علي بن إبراهيم الكيلاني بلداً ومنشأً المصري داراً وسكناً، وقرأ عليه ايساغوجي لاثير الدين الأبهري في المنطق. والظاهر أنه ارتحل إلى مصر وهو شاب، ولا ندرى أكان ذلك بعد رحلته الأولى إلى جبل نفوسة أم بعد رحلته الثانية. وعندما عاد إلى جربة انتصب للتدريس والوعظ، وأحرز شهرة وصيتاً والتف حوله سكان الجزيرة لما امتاز به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وفي سنة 1554/961 ارتحل إلى وادي ميزاب فأخذ عن العلامة عيسى بن إسماعيل المليك الميزابي، وعن الشيخ سعيد بن علي الخيري الجربي الشهير في غرداية بعمي سعيد. ولما عاد من هذه الرحلة إلى جزيرة جربة التف حوله الناس وأصبح زعيمهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، المنفذ للأحكام والساخر على أمن الجماهير وراحتها.

ويبدو أنه آخر من تولى رئاسة مجلس العزابة. وكان لغزارة علمه وقوة شخصيته وصلابة إرادته يبدو وكأنه يقف في الميدان منفرداً يتولى جميع الشؤون وهذا ما عبر عنه العلامة أبو إسحاق أطفيش بقوله: «حتى كان في مكانته بمنزلة الإمام العامل في تنفيذ الأحكام، والسهرة على أمن الأمة وراحتها، والحقيقة أن مجلس العزابة يقوم في طور الكتمان بعمل الحكومة الجمهورية، وشيخ العزابة يكون بمثابة رئيس الجمهورية والإمام العادل ينفذ الأحكام، ويصدر الأوامر ويتولى جميع الشؤون التي يقررها المجلس. على أن ظروف الحياة في جربة قد اضطرت مجلس العزابة أن يدخل بعض التعديل على نظامه، فخالف بذلك نظام العزابة المعروف في جبل نفوسة (ليبيا)، ونظام العزابة المعروف عند الإباضية في وادي ميزاب (الجزائر)، وذلك أن المجلس يختار من أعضائه شيخاً يسمى شيخ الحكم يسند إليه القيام بالشؤون السياسية والدينية تحت استشارة مجلس العزابة. وهذا الشيخ أصبح لا تتوفر فيه شروط العزابة ولا يكون عضواً في الحلقة، وإنما يكون غالباً كإمام دفاع في حالات الحرب، وكواسطة بين الطائفة الإباضية والدول الظالمة لجمع الضرائب بالطريقة التي يقررها مجلس العزابة، ويسلمها لعمال الدولة الحاكمة، وذلك حتى لا يكون التعاون المباشر بين حلقة العزابة والحكام الظالمين.

وهذا التعديل الذي أدت إليه ظروف خاصة في جربة أجري - حسب الظن الغالب -

(1) بفتح الهمزة والجيم والواو وتشديد النون، لفظ بربري معناه الجنان جمع أجنة وجنة، وهي من أجمل قرى جبل نفوسة، بها عين ثرة تسقي القرية وحدائقها الغناء.

بعد القرن التاسع ، للهجرة ويدل على إجراء هذا التعديل كلمة داود الثلاثلي المترجم له حين استجواب درغوث باشا له : «نحن جماعة العزابة ليس بايدينا ولا إلينا تولية الأمراء وعزلهم» .

والحقيقة أن مجلس العزابة في جربة بدأ يتخلى ويضعف عن مزاوله لإختصاصاته فكانت تسلب منه شيئاً فشيئاً كما سلبت منه الرئاسة السياسية والمدنية . وقد يتولى في بعض الأحيان بعض كبار العلماء رئاسة المجلس فينتعش كما انتعش في عهد المترجم له . وعهد شيخ المشايخ يونس بن تعاريت وغيرهما . كانت جربة في عهد المترجم له تابعة لحكم درغوث باشا صاحب طرابلس ، وارثك عماله العسف والجور ، وحاول أهل جربة جعلها تابعة لحكم تونس⁽¹⁾ ، فلما سمع بذلك درغوث باشا جهز حملة عسكرية ونزل بـيرج القشتيل ، وقتك بالثائرين . وفي ثالث يوم من الهزيمة أتى موسى بن أبي عمر بن أبي الجلود شيخ الحكم إلى المترجم له مع جماعة من الجند فقال له : «لوسرت معنا إلى درغوث لتتكلم مع الضعفاء» . فقال له : «نحن جماعة العزابة» . فسار معه فكلمه درغوث في مخالفة جربة وما كان من أهلها ، فقال له الشيخ الثلاثلي : «نحن جماعة العزابة ليس بايدينا ولا إلينا تولية الأمراء ولا عزلهم في هذا الزمان» . فقال له درغوث : «بل أنتم أدخلتم (حاصرتم) مسعوداً (أي السمومني) وأفسدتم البلاد وفعالتم وفعالتم» . فقال الشيخ «ما فعلنا إلا الخير ، ولسنا من أهل الشر ، بل الفساد من قبلك لتقديمك الأ سافل وغير ذلك» . وفي هذا الجواب صدق وجرأة يدلان على شجاعة أدبية كبيرة .

فأخذ درغوث الشيخ وسجنه نحو شهر ، ثم قتله لكثرة الطعن فيه من النكرة والحسدة ، وذلك في أول جمادى الأولى .

ويبدو من هذا أن المترجم له بمكانته الدينية ورئاسة مجلس العزابة قام بدور كبير في إضرام نار الثورة على حكم درغوث باشا ، والتفاوض مع الحكومة بتونس لإرجاع جربة إلى رحابها ، يضاف إلى هذا ما قام به خصومه الدينيون (الإباضية النكارة) وخصومه السياسيون من السعايات والدسائس . ودفن في غابة بركوك على تخوم حومة والغ ، وأقيم الجامع الذي سمي باسمه حول ضريحه .

(1) في «مؤنس الأحبة» أن درغوث أمر بصلب الثلاثلي في أول الجمادين سنة سبع وتسعين وتسعمائة ، هكذا مضبوطة بلسان القلم ، والصواب : سنة سبع وستين (بتقديم السين على التاء) وأعاد نفس الخطأ في ص 114 عند الكلام على حملة درغوث الانتقامية من أهل جربة ، هذا مع العلم بأن درغوث توفي سنة 1565/973 ، فكيف تصح نسبة أحداث له بعد وفاته بنحو أربع وعشرين سنة ؟ وذكر أن الجريين أرادوا أن تكون جزيرتهم تابعة لحكم الأتراك بتونس ، ومن المعروف إن بداية حكمهم كانت سنة 1573/981 . وغفل عن هذا محقق الكتاب الأستاذ محمد المرزوقي وفي نشرة أكثرها قصير Exiga Cesar لمؤنس الأحبة ص 10 أن الثلاثلي قتل سنة سبع وستين وتسعمائة ، وهذا هو القول المعتمد .

مؤلفاته :

- 1 - شرح ايساغوجي لأثير الدين الأبهري في المنطق ، ط . بالمطبعة الأهلية بتونس سنة 1903/1321 في 32 صفحة من القطع المتوسط وط . مرات بعد ذلك .
جاء في خطبته «أما بعد فهذه تقييدات على متن ايساغوجي للشيخ أثير الدين الأبهري - برد الله ثراه وجعل الجنة مأواه - تجري مجرى الحاشية ، جمعتهما بما تلقيته من لفظ الأستاذ آخر العلماء المتبحرين ، قدوة المخلصين ، رئيس المحققين ، جمال العرب والعجم ، أبي الحسن علي بن إبراهيم الكيلاني بلداً ومنشأ ، المصري داراً وسكناً ، لا زالت رباع العلوم بلطائف نكته مأهولة ، وأرحام الحكم بعواطف فكره مبلولة . وكان أول مجلس سمحت به الأيام في قراءتي لهذه الرسالة عنده يوم الأربعاء ثاني عشر صفر المبارك ثاني شهور سنة ثلاث عشرة بعد التسعمائة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية ، وذلك بالمدرسة الجيعانية بشاطئ بحر النيل ببولاق من أعمال مصر المحروسة» .
- 2 - شرح على الآجرومية . كان عمدة المبتدئين من الإباضية في عصره وبعده . قال الشيخ إبراهيم طقيش : «قل ان نجد ممن أدركناه لا يحفظه عن ظهر الغيب» .
- 3 - العقيدة «مقدمة التوحيد» للشيخ عمر بن جنيح الجربي ، ط . مع شرح البدر الشماخي بالقاهرة سنة 1934/1353 بعناية العلامة المرحوم الشيخ إبراهيم طقيش الذي قال في مقدمته : «وشرح المقدمة هذه مقدمة العقيدة كذلك قل أن نجد ممن أدركناه من العلماء والتلاميذ من لم يكن من محفوظاته وذلك في بلادنا (وادي ميزاب) ولعل الحال في الجزيرة ونفوسة كذلك» .

المصادر والمراجع :

- الإباضية في موكب التاريخ ، الحلقة الثالثة .
- الإباضية في تونس ص 157-161 .
- السير للشماخي 579-582 .
- مؤنس الأحبة في أخبار جربة 93-94-114 .
- نظام الزبابة عند الإباضية الوهبية في جربة ، 218-219-271-304 .
- الصادق بن مرزوق جريدة الصباح 1-12-1966 .

* * *

82 - التلاتلي (1288 - 1370 هـ) (1871 - 1950 م)

الصادق بن محمد التلاتلي⁽¹⁾ رجل التربية والتعليم ذو الثقافة الواسعة، ورجل السياسة. ولد بنابل، وبها زاول تعلّمه الابتدائي، وتابع الدراسة الثانوية بالعاصمة في المدرسة العلوية، ومدرسة ترشيح المعلمين، ومن المعهد الأول أحرز على شهادة البروفي، ومن الثاني على الدبلوم العالي للعربية، ثم تابع دروس الحقوق في كلية مدينة (إيكس) في بروفانس بفرنسا وأحرز على الإجازة، وانقطع عن الدراسة.

وفي سنة 1892/1309 اشتغل معلماً ثم أستاذاً للعربية في ليسي كارنو وأستاذاً للفرنسية بمدرسة ترشيح المعلمين، وأستدعاه صديقه الأستاذ البشير صفر لتعليم الرياضيات والجغرافيا باللغة العربية في المدرسة الخلدونية التي كان أحد مؤسسيها.

وفي سنة 1908 كلفه مدير التعليم الابتدائي شارلتي (Charlety) بمهمة إنشاء وتنظيم التعليم العربي الابتدائي بوصفة متفقداً للتعليم العربي، وأبدى نشاطاً لإنجاز هذه المهمة التاريخية، وأستعان بمنابع ثقافية الواسعة العربية والفرنسية، وعمل على نشر الأصول الدينية والثقافية العربية، ورغم الحواجز والعوائق عمل على نشرهما في شبكة واسعة من المدارس إلى أن أحيل على التقاعد سنة 1929، وكان قصده من كل ذلك إيقاظ الضمير الوطني، وحفظ الذاتية التونسية من الإدماج بواسطة تعليم عصري للغة العربية والدين الإسلامي.

وفي سنة 1921 سلّم سرياً تقريراً عن التعليم إلى أصدقائه الدستوريين، وكلفه الشيخ عبد العزيز الثعالبي ليحرّر فصلاً عن التعليم في كتابه «تونس الشهيدة».

وعند إحالته على التقاعد كان تعليم اللغة العربية على أحدث المناهج البيداغوجية منتشرأ في كامل البلاد في مئات من المدارس الفرنسية العربية، وأنشأ امتحانات ونظّمها، وهذا كله من غير اصطدام أو إثارة شكوك للمتفوقين من طواغيت الاستعمار الأعداء الألداء لكل ثقافة تونسية. وعمله الإنشائي والتنظيمي للتعليم كان مقترناً بخطة التفقد، وهو المتفقد الوحيد لكامل القطر التونسي مدة تقرب من ربع قرن والإنسان يقدر له عمله المثمر الممتاز.

كان من سنة 1931 إلى سنة 1945 مقررأ لميزانية التعليم بالمجلس الكبير، وعضواً بالمجلس الأعلى للتعليم، وعضواً في المجلس الأعلى بتونس، أو عضواً في مجلس إصلاحات تعليم جامع الزيتونة، وفي كل هذه المسؤوليات في المؤسسات المذكورة واصل بدون كآل وبشجاعة الدفاع عن المبدل الذي خصّص له حياته، وهو نشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية.

(1) نسبة إلى حومة (حارة) التلات بجزيرة قرب قلالة، ويظهر أن حرف اللام زيد قبل ياء النسب في العصر التركي، وأسرة التلاتلي بجزيرة إياضية وهبية، نبغ منها أفراد، وهاجر فرع منها إلى نابل وانسلخ عن المذهب الإباضي.

وفي غداة الحرب العالمية الثانية طالب بالاستقلال الداخلي لتونس في أثناء خطاب له بالمجلس الكبير بصفته قيوم المجلس .

توفي في 9 نوفمبر 1950.

له كتاب الطريقة العصرية (2 جزءان) الأول لتعليم العربية في المرحلة الأولى والثاني لتعليمها في المرحلة الأخيرة من التعليم الابتدائي (ط. / تونس) .

المرجع :

- وجوه تونسية، الأخلاف، للصادق الزمرلي (بالفرنسية) ص 111-118.

* * *

83 - التلاتلي (من رجال القرن 12 هـ 18 م)

عمر التلاتلي الجربي الإباضي .

من شيوخه عمر البلار اليسوتوي النفوسي .

رحل إلى مصر واستقر بوكالة الجاموس بحجّ طولون بالقاهرة إلى وفاته وهاته الوكالة من أحباس أسرتي النجار والجملي من أجيم جربة ، وفيها مكتبة لطلاب العلم .

له نزهة الأديب وريحانة اللبيب، مخطوط في مكتبة الشيخ سالم بن يعقوب بحربة .

المرجع :

- نظام العزابة 258-259، 337 (تعليق 16) 345.

* * *

84 - التليلي (1266 - 1358 هـ) (1850 - 1939 م)

يونس بن عبد الرحيم التليلي أصلاً التوزري مولداً ومنشأً الفقيه المشارك في عدة علوم، الصوفي .

كان يجيد اللغة العبرانية ويطلع في كتبها .

مؤلفاته :

- 1 - له كتابات كثيرة في الحديث والفقه والنحو والفلك والحساب والتصوف .
- 2 - بيتان كمل بهما البحر المتدارك في «الخرزجية» في علم العروض حيث تركه صاحب الخرزجية ، وشرحها شرحاً كافياً وأجاد في ذلك بإجادة بينة .

المرجع :

الجديد في أدب الجريد لأحمد البخري ، ص 185.

* * *

85 - التمجاري (471هـ) (1078 م)

سليمان بن علي بن بخلف التمجاري النفطي ، الإباضي ، أبو الربيع .
أصل أسرته من تمجار وسط جبل نفوسة ، وعندما هاجرت من نفوسة استقرت أولاً بكنؤمة .
من قرى تقيوس (دقاش) إلى أن أخرج النكار الوهية منها ، فخرج المترجم له منها ، وعند خروجه طعنه أحد النكار يريد قتله فنجا⁽¹⁾ منه ، ونزل بربض من أرباض مدينة نفطة قال في حقه حفيده أبو العباس الدرجيني « كان فرضياً متقناً لمسائل الفروع في المذهب ، ناظماً للقريض إلا أن بضاعته في النحو مزجاة وإن اتسع في اللغة ولذلك يوجد في شعره ما لا يجيزه أهل الصناعة . . . »
وتعلم الأصول مع أبي عبد الله محمد بن بكر ، وتعلم الفقه مع مشايخ بني بهراسن أبي محمد ويسلان وأبي زكرياء ويونس وأبي بكر بن يحيى إلى أن صار عالماً فقيهاً حتى قعد للحلقة وكثرت تلاميذه .

وكان شاعراً مطبوعاً يجيد باللغة الدارجة كما يجيد الشعر باللغة البربرية إلا أن شعره باللغة الفصحى لا يتسامى إلى شعر ولده سعيد أو حفيده أبي العباس أحمد الدرجيني ، وذلك أن دراسته للغة العربية لم تطل فقد انقطع للعلوم الشرعية وتخصص فيها فكانت لا تشذ عليه مسألة من مسائل الأصول والفروع في المذهب الإباضي .

وكان تلاميذه من أهل وادي سوف ووارجلان والزاب بالجزائر وقسطلية (توزر بالجزيرة) .
وكان يحلدر من كثرة مجالسه المخالفين والميل إليهم وكثرة مطالعة تأليفهم ، وكان يفتي بإخفاء المكاسب إذا كانت الدولة جائرة تفرض الضرائب المحجفة .

مؤلفاته :

- 1 - كتاب في علم الكلام ، مجلدان .

(1) طبقات المشايخ للدرجيني 6202، السير للشماخي، ص 458.

المصادر والمراجع :

- طبقات المشائخ للدرجيني 6202.
الجواهر المتقاة للبرادي ، ص 218.
الإباضية بالمجريد لصالح باجية (ط ، تونس 1976/1396) ص 202-203.
السير للشماخي ، ص 458.

* * *

86 - ابن تميم (نحو 287 - 349 هـ) (900 - 960 م)

دونس ، ويدعى عند اليهود ادونيم ابن تميم الإسرائيلي ، أبو سهل القيرواني الطبيب . قدم أوائله من العراق إلى إفريقية في غرض التجارة على عهد الدولة الأغلبية .

ولد بالقيروان ، واشتغل بطلب العلم ، فقرأ على كبار أطباء وقته كاسحاق بن سليمان الإسرائيلي ، وتخرج عليه في الطب والفلسفة والحساب والنجوم ، حتى برع في جميعها وأتقن العربية إتقاناً جيداً وكذلك اللغة العبرية ، وتفقه في الشريعة الموسوية حتى عد من كبار أبحارها ، وصارت الفتوى تأتيه من الأقطار القصية من يهود الأندلس ومصر والعراق ، وصارت بينه وبين اليهود بالأندلس مراسلات في مسائل عويصة من شريعتهم ، وفي حساب مواقيت أعيادهم ، ومعرفة سني تاريخهم وكان القول والفصل في النهاية له .

ومن وجوه المخاطبين له في الأندلس الحكيم حسداي بن إسحاق الإسرائيلي طبيب الأمير الحكم الثاني بقرطبة .

واتصل بخدمة الملوك العميديين فخدم إسماعيل المنصور وابنه المعز لدين الله قبل انتقاله إلى مصر . ووضع كثيراً من التأليف في الطب والحساب والنجوم وقدم جانباً منها إلى مخدميه المنصور وابنه المعز .

مؤلفاته :

- 1 - كتاب التلخيص في الأدوية المفردة ينقل عنه ابن البيطار في وصف بعض النباتات . وفي آخر هذا التأليف بيان الأوزان والمكاييل المستعملة في الطب في زمانه .
- 2 - كتاب في الحساب الهندي المعروف بحساب الغبار .
- 3 - كتاب في الفلك وحركة الكواكب ، كتبه إلى صديقه أبي يوسف حسداي وفيه تعديل السنين الشمسية بحساب الشهور القمرية .

4 - شرح على سفر يصيراً أي سفر التكوين أو سفر الخليفة ، الفه في سنة 955/344 وضعه بالعربية ثم حوله بعض اليهود بعد ذلك إلى الحروف العبرية ، وهذا النقل موجود في عدد من مكنبات أوروبا والأصل العربي مفقود وما وصل إلينا من الترجمة العبرية يدل على ثقافة موسوعية في الفلسفة وبالخصوص معرفة متينة بقواعد النحو العربي وهو يستمد من الشرح الذي كتبه سعديا بن يوسف الفيومي ، ويرد عليه في كثير من المواضع . وذكر في مقدمته أن سعديا قبل أن يبارح الفيوم إلى بغداد كانت له علاقات مراسلة مع أستاذه إسحاق بن سليمان بالرغم من أنه لم يتجاوز إذ ذاك العشرين سنة .

5 - مصنف كبير في علم الفلك قدمه إلى مخدمه المنصور العبيدي .

6 - المقارنة بين اللغتين العربية والعبرية نقل عنه الطبيب الغرناطي موسى بن عرة الإسرائيلي في كتابه «المحاضرة والمذاكرة» .

وله رسائل كثيرة محفوظة في المكتبة البودليانة باكسفورد ، وكلها حولت إلى الحروف العبرية وبقيت لغتها المكتوبة بها هي العربية وها هي ذي أسماؤها :

أ) كتاب المستلحق .

ب) رسالة التنبيه .

ج) رسالة التنويه .

د) رسالة التقريب والتسهيل .

هـ) رسالة الأصول .

و) رسالة اللمع .

المراجع :

- ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية 300-297/1 .

- بلاد البربر الشرقية في عهد الزيريين (بالفرنسية) 903-802/2 .

* * *

87 - التميمي (1164 - 1248 هـ) (1751 - 1832 م)

إسماعيل بن محمد التميمي ، ونسبته إلى بلدة منزل تميم ، وأصل سلفه من هنشير الصقالبة ، وهي قرية قرب منزل تميم . من كبار الفقهاء المحققين ، أدرك الاجتهاد المذهبي وهو

الترجيح كما أخبر عن نفسه ولم ينكره معاصروه عليه ، وله باع طويل في التاريخ إذا تكلم في دولة وكأنه من رجالها . ولد ببلدة منزل تميم ، وفيها أخذ عن الصوفي أحمد سليمان الذي أمره بالرحلة إلى تونس لطلب العلم فامثل أمره وقدم إلى تونس ، وأخذ عن أعلامها كالشيخ صالح الكواش ، وانتفع به وأجازته ، والشيخ عمر المحجوب وأجازته بما في فهرس الشيخ محمد الغرياني ، كما أخذ عن الشيخ محمد الشحمي ، وغيرهم .

وأخذ عنه الشيخ إبراهيم الرياحي ، ومحمد البحري بن عبد الستار ، وصالح الغنوشي السوسي ، وشيخ الإسلام محمد بن أحمد بن الخوجة ، وأحمد بن أبي الضياف ، وآخرون . درس بجامع الزيتونة ، واحترف صناعة التوثيق ، وكان الوزير الكاتب حمودة بن عبد العزيز يأتي إلى المحل الذي يباشر فيه التوثيق ولعاً بمحاضرتة .

وتقلب بين خطتي القضاء والفتوى ، فتقلد خطة القضاء في صفر 1221/1806 على عهد حمودة باشا ، ثم قدمه محمود باشا لخطة الفتوى في 2 ربيع الثاني 1230/1815 ، ثم أعاده لخطة القضاء ثم أعاده لخطة الفتوى يوم عيد النحر سنة 1243/1828 ، ثم تولى مشيخة المدرسة الأندلسية سيدي العجم سنة 1238 .

وفي يوم الأحد 21 ذي القعدة 1235/20 أوت 1820 - وهو إذ ذاك قاضي المالكية - نفاه محمد باي إلى ماطر لأن بعض الوشاة نقل عنه أنه استخرج من جفّر قرب زوال دولة هذا الباي ، وأنه يطعن في تصرفات الدولة غير الموافقة للشرع ، وأمر بسجن بعض أتباعه وهم أفضل الناس ، وأطلق سراحهم بعد ثلاثة أيام ، ثم إن محمود باي ندم على ما بدر منه فأمر بإرجاعه من منفاه في 18 ذي الحجة 26 سبتمبر من نفس السنة ، فرجع إلى تونس وأقبل محبّوه وتلاميذه على الأخذ عنه بمنزله ، وفي رجب 1239 مارس 1824 أرجعه محمود باي لخطة الفتوى . توفي في 15 جمادى الأولى /10 أكتوبر .

مؤلفاته :

- 1 - تقييد فيمن تولى الامامة والخطابة بجامع الزيتونة من عهد الإمام ابن عرفة إلى عصره على ترتيب الوجود مع بيان تاريخ وفاة من علم وفاته ، أورده ابن أبي الضياف في تاريخه لإتحاف أهل الزمان في ج 7 من ص 61 إلى ص 67 .
- 2 - رسالة في الخلو عند المصريين والمغاربة ، والمقدمة في الخلو ، ويقع على ثلاثة أوجه تكلم فيها على معنى الخلو في عرف التونسيين والمصريين ، ومسألة المفتاح ، ولم يتمها ، توجد ضمن مجموعة رسائل في المكتبة الوطنية بتونس .
- 3 - فتاوى .

4 - المنح الإلهية في طمس الضلالة الوهابية ألفه بأمر من حموده باشا عندما بعث الشيخ محمد بن عبد الوهاب برسالة إلى الباشا الباي المذكور، وضح فيها مذهبه من منع التوسل والبناء على القبور وزيارتها وتطهير الإسلام من هذه البدع والخرافات التي أخذت صبغة القداسة مع تطاول الزمن وأصبحت من العقائد التي ينافح عنها العلماء الذين لم تكن عقولهم هاضمة لتفكير محمد بن عبد الوهاب وكانوا أكثر ميلاً إلى القبوريين والخرافات الشركية والبدعية مثل إخوانهم في بقية العالم الإسلامي في هذا العصر المظلم الذي التبس فيه الباطل بالحق فتسابقوا للرد تأييداً للبدع ومقاومة للتوحيد الخالص، وأتم تأليفها في شوال سنة 1225هـ. ط. تونس.

المصادر والمراجع:

- إتحاف أهل الزمان 63/3، 132، 133، 146، 185، 14-11/8.
- برنامج المكتبة الصادقية 365-364/4.
- شجرة النور الزكية 370-371.
- الفكر الساطي في تاريخ الفقه الإسلامي 31/4.
- معجم المؤلفين 26/2، اليواقيت الثمينة 110-112.
- بروكلمان، الملحق 878/2.

* * *

88 - التميمي (201 - 287 هـ) (816 - 901⁽¹⁾ م)

حبيب بن نصر بن سهل التميمي، أبو نصر.

أصله من أبناء الجند القادمين إلى إفريقية، سمع من سحنون وعنه عامة رواياته، ومن عون بن يحيى بن عبد العزيز المدني، وغيرهما.

كان فقيهاً ثقة، حسن الكتاب والتقييد جيد النظر. ولآه الإمام سحنون قاضي القيروان المظالم (النظر في الأسواق) سنة 1236 أو 851/237 أو 852. وسحنون هو أول قاض بإفريقية أحدث خطوة صاحب المظالم، وأذن له أن يحكم في عشرين ديناراً.

واستمر المترجم له على ولايته للمظالم بعد وفاة سحنون⁽²⁾ بسنتين. وجرت له محنة على يد قاضي القيروان سليمان بن عمران الحنفي المذهب فحبسه وضربه وسليمان بن عمران أول قاض حنفي شن حملة عدائية ضد المالكية.

(1) وفيات سنة 286، وقيل سنة 284.

(2) توفي سحنون سنة 855/240 فيكون صاحب الترجمة بقي في الخطة إلى سنة 857/242.

توفي في رمضان ، وصلى عليه حمديس القطان ودفن بباب سلم أحد أبواب القيروان .
له تأليف في الفقه لم يُعرف من أسمائها إلا كتاب الأفضية . وهو كتاب في مسائله لسحنون .

المصادر :

- ترتيب المدارك 247-246/3 ، الديباج المذهب 106 .
- طبقات علماء أفريقية للخشني - (ط مصر) 192 .
- معالم الإيمان 132/2 .

* * *

89 - التميمي (... - 363 هـ) (... - 974 م)

النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حَيّون ، أبو حنيفة ، ويقال له القاضي النعمان ، وهو كبير فقهاء الشيعة الإسماعيلية ، وله مواهب تاريخية وأدبية .

وربما كان إسماعلياً منذ نشأته لأنه لما زالت الدولة الأغلبية ، وحلت محلها الدولة الفاطمية وجد طريقه إلى الوظائف العالية بسهولة من صاحب الخبر إلى أمين المكتبة إلى قاضي القضاة ، خدام المهدي والقائم ، والمنصور ، والمعز لدين الله ، وقدم معه إلى مصر ، وهو كبير قضاته ، وتوفي بها في آخر جمادى الثانية أو أول رجب سنة 27/363 مارس 974 .

استقضاه المنصور ثالث الخلفاء العبديين بطرابلس الغرب ، وبعد إخماد ثورة أبي يزيد الخارجي استقدمه المنصور من طرابلس بعد فراغه من تأسيس عاصمته الجديدة المنصورية ، وأمره أن يقيم صلاة الجمعة والخطبة بجامع القيروان ، وعهد له بقضاء المنصورية والقيروان وسائر مدن إفريقية وأعمالها .

وفي أيام المعز كانت شخصية النعمان تأخذ غير الأبعاد الرسمية ، فلم يعد مجرد قاضي القضاة الموظف بل أصبح يُسهم في تركيز الدعوة وفي بسط قضيتها ، وتدوين فقهاها ، ويسجل أمجادها وأحداثها مما جعل منه دعامة متينة للفقه الشيعي والفكر الإسماعيلي ، فقد أعد المعز مجلساً في قصره يلتمس إثر صلاة الجمعة يقرأ فيه القاضي النعمان كتباً في علم الباطن (مقدمة كتاب المجالس والمسائرات ص 10) .

مؤلفاته :

1 - دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام ، وهو أهم مصنف في الفقه ، جزءان (القاهرة سنة

1952 سنة 1962) بتحقيق آصف فيضي . وكان الظاهر الفاطمي قد أمر الدعاة بحضّ الناس على حفظه وجعل لمن يحفظه مكافأة .

2 - تأويل دعائم الإسلام ، وعنوانه الأصلي تربية المؤمنين بالتوقيف على حدود باطن علم الدين ، نشر منه محمد حسن الأعظمي بالقاهرة (1969) ويقول الناشر إن القاضي النعمان توفي قبل أن يفرغ من تصنيفه ، فيكون هذا الكتاب آخر مؤلفاته .

3 - كتاب الاقتصار ، وهو شبيه في مادته بكتاب الدعائم ، نشره وحيد ميرزا ، دمشق 1957 .

4 - أساس التأويل ، نشره عارف تامر الإسماعيلي اللبناني ، بيروت 1960 ، في طبعة رديئة مليئة بالأخطاء .

5 - كتاب الهمة في آداب أتباع الأئمة نشره محمد كامل حسين سنة 1947 في سلسلة مخطوطات الفاطميين .

6 - افتتاح الدعوة في ذكر أمراء الدعوة بالمغرب إلى المهدي وابتدائها فيها ، نشر في 1970 ببيروت بتحقيق الدكتورة وداد القاضي ، وبتونس سنة 1975 بتحقيق الدكتور فرحات الدشراوي مع دراسة مفصلة للكتاب .

7 - المجلس والمساربات وهو آخر ما صدر له حتى الآن ، قيد فيه ما سمعه من الخلفية المعز في مواضيع شتى ، من تاريخ وعقيدة واحتجاج على الخصوم وبحوث لغوية ، حققه الأساتذة ، الحبيب الفقي ، إبراهيم شتيوح ، محمد اليعلاوي (المط ، الرسمية للجمهورية التونسية 1978) وهو سفر ضخم .

8 - الأرجوزة المختارة ، نشرها إسماعيل قران بوناولا ، مونريال بكندا سنة 1970 ، ألفها في عهد القائم للاحتجاج للأئمة ، وهي غير الأرجوزة المنتخبة التي ذكرها في مقدمة كتابه الاقتصار .

وله مؤلفات أخرى كثيرة ، بعضها موجود وبعضها مفقود .

المصادر والمراجع :

- الأعلام 42-41/8 (ط5) ، إيضاح المكنون 8/1-48-92-472-32/2-176-755 ، شذرات الذهب 47/3 ، العبر 331/2 ، كشف الظنون 135 ، مقدمة المجالس والمساربات لمحققي الكتاب ، ذكروا في هامش ص 6 المصادر والمراجع التي ترجمت له ، مرآة الجنان 2/379-380 ، معجم المؤلفين 13/106-107 ، النجوم الزاهرة 4/116 ، هدية العارفين 2/495 ، وفيات الأعيان 5/48-56 (القاهرة 1949) .
- وينظر : تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار للداعي إدريس عماد الدين

المتوفي سنة 1488/872 تحقيق محمد اليعلاوي ، (دار الغرب الإسلامي في بيروت 1985) ص -569-735
55-557-556-524-495-490.

* * *

90 - التميمي التونسي (... - 1286 هـ⁽¹⁾) (... - 1869 م)

محمد بن علي التميمي التونسي . قَدِمَ مصر، وجعل ناظراً لمسجد أبي الذهب وأوقفه
واتصل بإبراهيم باشا، فكان يعلم أولاده العربية، وكان عالماً ذكياً، ودرّس بالأزهر فحسنت
حالته، وكانت فيه حدة، ولما توفي إبراهيم باشا نفاه الخديوي عباس، فذهب إلى الحجاز، ثم
رحل إلى القسطنطينية فتوفي بها .

من آثاره :

- 1 - تعديل المرقاة وجلاء المرأة لملأ خسرو .
- 2 - حاشية على مرآة الأصول .

المراجع :

- الأعلام 299/6 (ط/5)، إيضاح المكنون 295/1، معجم المؤلفين 312/10.

* * *

91 - التميمي (274 - 336 هـ) (887 - 949 م)

يوسف بن عبد الله التميمي القفصي، من أعلام مدينة قفصة في عصره . كان محدثاً
فقيهاً لغوياً شاعراً . وكان أهل بلده مجمعين على فضله وعلمه . مات بقفصة .
له كتاب في غريب الحديث نصر فيه أبا عبيد القاسم بن سلام على ابن قتيبة .

المصادر :

- ترتيب المدارك 356/3، وركات 172/2-173.

* * *

(1) وقيل سنة 1287/1870.

92 - التنبكتي (... - كان حياً سنة 1248 هـ) (... - 1832 م)

أحمد ابن القاضي أبي بكر التنبكتي السوداني ، نزيل تونس ، الفقيه ، والمعلومات عن حياته قليلة ، جاهد بجانب السودانيين في الحرب بين تونس والبندقية الواقعة في عهد حمودة باشا الحسيني . أدى فريضة الحج ، ومّر بمصر في طريقه إلى الحجاز .

له هتك الستر فيما عليه سودان تونس من المكر ، تكلم في هذا الكتاب عن انتشار الجند السوداني وعائلاتهم بالعاصمة ، وفيه معلومات عن إصلاحات حمودة باشا ، وتحقير للحرب بين البندقية وتونس ، وهو عبارة عن رسالة في نحو عشرين ورقة .

المراجع :

- إيضاح المكنون 717/2 (ذكر اسم الكتاب فقط) .

- سياسة حمودة باشا تونس 1782-1814 للدكتور رشاد الإمام (تونس 1980) ص 17-19 ، 242-242.

* * *

93 - التنوخى (... - 737 هـ) (1237 م)

عبد الله بن محمد ابن الشيخ القاضي أبي القاسم بن علي ابن البراء ، ويقال ابن عبد البر ، التنوخى المهدي السلف التونسي ، أبو محمد .

كان محدثاً فقيهاً مسنداً راوية مؤرخاً ، وهو من بيت علم وجده أبو القاسم كان محدثاً رحالة . أخذ عن جماعة منهم جده أبو القاسم ، وعنه جماعة منهم خالد البلوي الأندلسي قرأ عليه بجامع الزيتونة تصانيف وأجزاء وجزءاً من برنامج شيوخه ، وأجازه بما رواه عن جده بسنده وغيره إجازة عامة ، وأطال خالد البلوي الثناء عليه في «رحلته» ووصفه بالعلم والفظانة والمهارة في الكتابة .

كان يجلس لرواية مقامات الحريري بدويرة جامع الزيتونة وهي الدويرة التي يخرج منها الخطيب ، وهي يازاء المحراب من جهة اليسار ، واحتج ابن عرفة في «مختصره الفقهي» بصنيعه في ذلك ، مع ما في «المقامات» من المثالب ، وقول ابن عرفة أبده تلميذه الأبي في شرحه على صحيح مسلم⁽¹⁾ (إكمال الإكمال) إذ ليس للدويرة حكم الجامع .

توفي في 27 جمادي الثانية .

(1) إكمال الإكمال 67/2 ، 262-263.

مؤلفاته :

- 1 - اختصار ذيل تاريخ بغداد لأبي سعد عبد الكريم السمعاني .
- 2 - برنامج جمع فيه أشياخه وأسانيده .
- 3 - تاريخ على طريقة الطبري مرتب على السنين من سنة البعثة المحمدية إلى زمنه في ستة أسفار .
- 4 - مختصر المشرق في علماء المغرب والمشرق لأحمد بن محمد الغرناطي نزيل تونس (المتوفي سنة 1293/692) .

المصادر والمراجع :

- تاريخ الدولتين 61.
- الحلل السنديية 1 ق 3/605-610، 644.
- شجرة النور الزكية 208.
- مسامرات الظريف بحسن التعريف لمحمد بن عثمان السنوسي 102.
- نزهة الأنظار لمحمود مقديش 227/1.
- نيل الابتهاج 145.

* * *

94 - التّواتي (... - 1311 هـ) (1892 م)

محمد البشير بن محمد الطاهر بن محمد السعيد الشريف ، البجائي الأصل ، التونسي ، والشهير بالتواتي ، لم تكن له علاقة بتوات ، وإنما نسب إلى رجل صالح من أهلها اتصل به وأخذ عنه .

كان شيخ القراءات في عصره ، وأخذها عن الشيخ محمد إدريس ، عن الشيخ المشاط الأندلسي التونسي المتوفى سنة 1830/1245 عن الشيخ حمودة بن محمد إدريس الحسني التونسي ، عن الشيخ محمد الخرقافي (بكسر الحاء المهملة وسكون الراء والقاف المفتوحة المعقدة) بسنده إلى الشيخ علي النوري . وأخذ عن الشيخ صالح النيفر ومدحه بقصيدة عند ختمه للشرح المختصر للسعد النفتازاني على التلخيص في البلاغة طالعها [طويل]:
أبدر تمام حل في طالع السعد أم البرق لاح من نواحي بني سعد

وبعد تخرجه من جامع الزيتونة تولى تدريس القراءات به والتصحيح بالمطبعة الرسمية ، وتخرج عليه غالب علماء القراءات بتونس وكان مقرئاً مجوداً له مشاركة حسنة في العلوم .

مؤلفاته :

- 1 - ثبت اشتمل على أسانيده في القراءات .
 - 2 - مجموع الإفادة في علم الشهادة ، وهو تأليف في التوثيق ، فرغ منه في 15 شعبان 1292/6 أوت 1875 طبعة ثانية بتصحيح المؤلف بالمطبعة الرسمية بتونس سنة 1293/ 1876 في 147 ص + 9 فهرس وذكر محمد بن الخوجة في «المجلة الزيتونة» م 4 فيفري 1941 رقم 47 في التعليق انه لا يعرف تاريخ الطبعة الأولى ، وحسب رأيه ترجع إلى عشر التسعين من القرن الماضي .
- والكتاب ترجمه إلى الفرنسية وعلق عليه ج ابريا J.Abribat وطبعه في تونس سنة 1896 Borrel في 280 ص وسماه Recueil de notions de droit musulman et d'actes notariés وقد جمع المؤلف في هذا الكتاب أساليب من كتب الرسوم (الوثائق) والحجج العادلة مع بيان أحكام كل باب في طالعته .

المصادر والمراجع :

- الإعلام 277-276/6.
- إيضاح المكنون 437/2.
- برنامج المكتبة الصادقية 276/4.
- شجرة النور الزكية 415.
- فهرس الفهارس 165/1.
- فهرس المؤلفين والعناوين للكتب الموجودة بالمكتبة العامة للحماية لأحمد محمد المكتاسي 233.
- معجم المطبوعات 646 ويستفاد منه أن مجموع الإفادة ط في تونس 1282، 1314 في 162 ص .
- معجم المؤلفين 103-102/9 هدية العارفين 393/2.
- J. Quemeneur, Publications de l'Imprimerie Officielle tunisienne (Matboa Rasmiya) de sa fondation 1276 h/ 1860 à 1300 h/ 1882 in revue Ibla, 1962, no 98, p. 161.

* * *

95 - التواتي (. . . 1115 هـ) (1704 م)

محمد بن عبد القادر شهر التواتي التوزري ، لم تثبت نسبته إلى توات ، ولعل في انتساب

أسرته لإيها سبباً لم يتضح أمره .
كان فقيهاً نحويّاً مشاركاً في عدة علوم .
توفي ببلده توزر .

مؤلفاته :

- 1 - شرح على كتاب سيبويه .
- 2 - شرح على المدوّنة .
- 3 - الهادي الرشيد وحل المقفل الشديد ، من مسائل كلام التوحيد ، وهو تعليق على شرح أم البراهين (العقيدة الصغرى للسنوسي) .

المرجع :

- الجديد في أدب الجريد 82.

* * *

96 - التوزري (حوالي 1300 - 1358 هـ) (1883 - 1939 م)

إبراهيم بن سالم التوزري ، الشاعر المجيد .
تعلم بتوزر ، وباشر خطة كاتب إدارة عمل (ولاية) توزر ، ثم نقل إلى مثلها بالقيروان .

مؤلفاته :

- 1 - التوزريات ، ديوان شعر خصصه للقصائد التي نظمها بتوزر .
- 2 - القيروانيات ، ديوان شعر خصصه للقصائد التي نظمها بالقيروان .
ونشرت له الصحف الصادرة في وقته مجموعة صالحة من شعره .

المرجع :

- الجديد في أدب الجريد 198-209.

* * *

97 - التوزري (كان حياً قبل سنة 1168 هـ) (1755 م)

أحمد بن محمد المنصور التوزري ، الفقيه .

عاش في عصر الباشا علي بن محمد بن علي التركي الذي كان يخاطبه بشيخنا . درس وأفتى .

له شرح على مختصر خليل ، في الفقه المالكي ، استكمل منه عشرين جزءاً ولم يكمله .

المرجع :

- محمد بن عثمان السنوسي ، حياته وآثاره للشيخ محمد الصادق بسيس ، (ط تونس 1978/1398) ص 194-195 .

* * *

98 - التوزري (كان حياً بعد 260 هـ) (873 م)

ابن سلام بن عمر التوزري الإباضي .

عاصر نقات بن نصر النفوسي الذي كان صاحب اجتهاد ، وحاول الانشقاق على أئمة الدولة الرسمية ، كما عاصر أبا صالح النفوسي .

سكن توزر .

له تاريخ . وهو أقدم وثيقة إباضية لتاريخ المغرب الإسلامي ، وقد اعتمده الشماخي في كتاب «السير» وضعه بعد سنة 260هـ ، وتحدث فيه عن أحداث تلك السنة والمصادر ضمنية في الحديث عنه . وهذا التأليف مفقود .

المصادر والمراجع :

- السير للشماخي 142 .

- الإباضية بالجرید 206 .

* * *

99 - التوزري (630 - 713 هـ) (1233 - 1313 م)

عثمان بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن محمد بن داود التوزري ، نزيل مكة ،

فخر الدين، المقرئ، المحدث، له مشايخ يزيدون على الألف.

قرأ البخاري علي أزيد من ثلاثين رجلاً من أصحاب البوصيري، وقرأ على جعفر الهمداني بإجازته من أبي الوقت عبد الأول السجزي، وسمع ابن الجمّيزي وعبد الرحمان بن مكّي سبط الحافظ السلفي، وروى بمكة عن محمد بن يوسف بن مهدي الأندلسي مسلسلات القاضي أبي بكر بن العربي.

وسمع منه خلق من الوافدين على مكة كمحمد بن جابر الوادي آشي، وأبي القاسم التجيبي وكان قارئ الطلبة بمصر، وهو أقرأ الكتب المطولة وحصل الأصول وتلا بالسبع على ابن وثيق، والكمال ابن شجاع.

توفي بمكة في 11 ربيع الآخر.

له مولد⁽¹⁾.

المصادر والمراجع:

- البداية والنهاية 169/14 (محرراً إلى التوزي).
- برنامج الوادي آشي 155.
- تذكرة الحفاظ 285/4.
- الدرر الكامنة (ط مصر) 64/3.
- درة الحجال 209/3.
- ذيل العبر للذهبي 74.
- شذرات الذهب 32/6.
- غاية النهاية 510/1.
- مرآة الجنان لليافعي 253/4.
- استفاد الرحلة والأغتراب لأبي القاسم بن يوسف التجيبي السبتي، تحقيق عبد الحفيظ منصور (ط تونس 1975/1395)، 432-415.
- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار للحافظ الذهبي، تحقيق محمد سيد جاد الحق (ط القاهرة 1969) 585/2.
- العقد الثمين لتقي الدين الفاسي 47-46/6، ويستفاد من أنه مصري المولد والتحصيل.
- أواخر تذكرة الحفاظ 3052/4 (دار إحياء التراث العربي، بيروت) عند ذكر مشايخه الذين سمع منهم.

* * *

(1) ذكره السخاوي في مقدمة «الجواهر والدرر» في علم التاريخ عند المسلمين لروزنتال، ترجمة الدكتور صالح العلي، ص 729.

عثمان بن المكي الزبيدي (نسبة إلى عرش الزبدة بتوزر) التوزري، من أعلام جامع الزيتونة، عمر وتخرّج به الكثيرون.

خدم الجندية قبل عصر الاحتلال، وكان يثني عليها في دروسه بأنها تعلّم النشاط والاعتماد على النفس. وبعد تخرّجه من جامع الزيتونة تولى القضاء ببلدة توزر قبل أن يصير مدرّساً بجامع الزيتونة، وبعد الاحتلال الفرنسي بمدة قليلة بينما كان ذات يوم بالمحكمة أتوه بضابط فرنسي شاب يشتكون منه بأنه زنى، ويطلبون تنفيذ الحكم الشرعي عليه، فأذن بإقامة الحد عليه جلدأ في ساحة المحكمة، وبعد التنفيذ أدرك خطورة الموقف فبارح المحكمة متوجهاً إلى داره وتزوّد وامطى صهوة جواده وعزم على السفر إلى العاصمة تونس وبعد هنيهة امتلأت ساحة المحكمة بالضباط الفرنسيين سائلين عن القاضي فأجيبوا بأنه خرج ولا يدرون أين ذهب ولما وصل إلى تونس قصد منزل شيخه ورئيسه قاضي الجماعة الشيخ محمد الطاهر النيفر الذي رحّب به وسأله عن سبب قدمه فحكى له الواقعة، وطلب منه بذل الجهد لإنقاذه من هذه الورطة فوعده خيراً وبأنه في أول مقابلة له مع الباي يسوّي المشكلة بحول الله، وبّر الشيخ بوعده وقال للباي: لي قضية أرجو من مكارمكم التفضل بفضّها فأجابه الباي: إن كان ذلك في مقدوره لا أبخل وهات ما عندك. فقال له: قضية قاضي توزر.

فأجابه بأن الفرنسيين جادون في البحث عنه وعلى كل حال أبذل ما في الوسلنجاته، وسوّيت القضية وتونسيت وفي أول فرصة أعلم الباي قاضي الجماعة بما تمّ، فطلب منه التفكير في ضمان مورد رزقه فأجابه مستفسراً وكيف ذلك؟ فقال له بتوليته مدرّساً بجامع الزيتونة، فوافق الباي على هذا الاقتراح، وصار المترجم له مدرّساً. وكان يقرئ بنصح وبأسلوب يدني الصعب إلى الإفهام، ولكنه كان صريحاً طويل اللسان، يتعرّض في دروسه لدعاوى بعضهم وتصدّره وتحكك بأمصال هؤلاء في بعض تأليفه.

يحكى أن شيخ الإسلام الحنفي أحمد بيرم دخل مرة إلى جامع الزيتونة والمترجم له بصدد إقراء درس، والتفت الطلبة هامسين: شيخ الإسلام! فزجرهم قائلاً بصوت عالٍ: اعتنوا بدرسكم، هل دخل ثور حتى يثير انتباهكم ويشغلكم؟ وسمع الكلمة شيخ الإسلام، وحده بنظرة منكرة، ومرّ في سبيله غاضباً حانقاً، وشيخ الإسلام الحنفي إذ ذاك هو رئيس لجنة امتحان شهادة التطويع ورئيس لجنة مناظرات التدريس، ورئيس النظارة العلمية (إدارة الجامع). ولم يكن هذا الموقف وأمثاله في صالح الشيخ المترجم له بحيث أن بعض تلامذته ممن قرأوا عليه المراحل الأولى من التعليم شاركوه في مناظرة التدريس من الطبقة الأولى فنجحوا وأخفق، وتكرّر هذا مرات كثيرة مدى سنين متطاولة حتى أيقن أنه لن ينجح في هاته المناظرة، ولأجل هذا صار يختم الدرس (من مواد المناظرة) بمحل شاهد لا يخلو من نيز وتعرّض بأعضاء لجنة المناظرة، قال مرة في ختام الدرس أن أهل البادية كرام، وقد جربت ذلك منهم إذ نزلت مرة ضيفاً على بيت منهم، فبادر أهله إلى طبخ الكسكسي

باللحم ، ولما أرادت المرأة أن تجعل فيه الفلفل الأكل (الأسود) لم تجد آلة لدقه وتهريسه فوضعتة في خرقفة لتطحنه بأسنانها ، وعندما أحست بلذع في لسانها أخرجت الخرقفة من فمها وقالت : تف تف ، وأدار رأسه مشيراً إلى أعضاء اللجنة الأربعة .

ولم يتول التدريس من الطبقة الأولى إلا في المرحلة الأخيرة من حياته ، فقد قابل مرة محمد الحبيب باي الذي سأله عن رتبته في التدريس ، فأجابته بأنه في الطبقة الصغرى ، وسأله عن سبب عدم ارتقائه للرتبة الأولى فتشكى له من حيف لجنة المناظرة ، فوعده بأنه في المناظرة المقبلة لا ينجح أحد قبله ، وجاء موعد المناظرة وشارك فيها الشيخ موقناً بالنجاح ، وختم الدرس كعادته بنكته فقال : يقال في العربية دب يدب فهو داب فهذا داب . وكثر اللفظتين الأخيرتين أربع مرات مشيراً إلى أعضاء اللجنة الأربعة . توفي بتونس ورثاه إبراهيم بن سالم التوزري بقصيدة. جاء فيها [طويل]:

مضى في سبيل الله علامة القطر قفا نبك كالحسناء دوماً على صخر
لفقد عزيز كان في البر آية وفي العلى والعرف حدث عن البحر
منار الهدى من توزر كان نوره إلى تونس منه ككوكب دزي
مضى المرتضى فخر الجريد فأصبحت كعوب المعالي بعد فقدانه تجري

مؤلفاته :

- 1 - توضيح الأحكام في تحفة الحكام - وهو شرح على تحفة الحكام لابن عاصم في الفقه المالكي في القضاء وتوابعه ، ط بالمطبعة التونسية بتونس سنة 1339هـ في أربعة أجزاء وهو أكبر مؤلفاته .
- 2 - شرح السمرقندية في الاستعارات ، ط بتونس .
3. القلائد العنبرية في شرح البيقونية في مصطلح الحديث ، ط بتونس .
- 4 - المسكة الفائحة في الأعمال الصالحة ، ط بتونس .
- 5 - معالم الاهتداء في شرح شواهد قطر الندى ، ط بتونس .
- 6 - المرأة لإظهار الضلالات (تونس 1344هـ) 24ص في مقاومة البدع والمنكرات ، مجموعة من الأحاديث النبوية (تونس) .
- 7 - النبراس لرفع الالتباس على من كان من أشباه الناس في نازلة نكاح التياس ، رسالة ألفها سنة 1328هـ منها مخطوطة في مكتبة الأخ الأستاذ السيد محمد الطيب بسيس (وهو الذي كاتبني بهذه الإفادات مشكوراً) .

المراجع :

- الجديد في أدب الجريد 150-154.
- مذكراتي الخاصة .
- الأعلام 212/4 (ط/5) .

* * *

101 - التوزري (. . . - 1380 هـ) (1960 م)

أبو القاسم بن علي بن سليمان التوزري ، الفقيه المنطقي ، الشاعر .
رحل إلى تونس لطلب العلم بجامع الزيتونة إلى أن تخرّج منه محرراً على شهادة التطويح
عام 1918/1336 وبهذه المناسبة هتأه شاعر توزر بقصيدة هذه أبيات منها [بسيط]:

كل الهنا ولوغ القصد والأمل	في العالمين بنيل العلم والعمل
وليس في الدهر حي غير من سبحو	في أبحر التفصيل والجمل
كمثل قوم تساموا في العلا شرفا	منهم (أبو القاسم) العلامة (ابن علي)
من حاز بالجد فخراً لم ينله سوى	من بات يجني ثمار العلم في شغل
وصار في كعبة الإقبال منتظما	في عقد در ثمين عز من مثل
وأصبح اليوم يرعى غصن (توزر) من	(زيتونة) النور لا زيتونة البصل

باشر خطة العدالة (التوثيق) والتدريس ببلده توزر إلى أن أدركه أجله .

مؤلفاته :

- 1 - كتاب في المنطق ، كبير الحجم .
- 2 - كتاب في حياة الشيخ المولدي الشريف .

المراجع :

- الجديد في أدب الجريد 241-246.

* * *

102 - التونسي (443 هـ) (1051 م)

إبراهيم بن حسن بن إسحاق القيرواني التونسي ، أبو إسحاق ، الفقيه ، الأصولي المحدث .
تفقه بأبي بكر بن عبد الرحمان ، وأبي عمران الفاسي ، وقرأ أصول الدين على الحسين بن
عبد الله بن حاتم الأذري نزيل القيروان ، وقرأ على غيرهم ، وتفقه به جماعة منهم
عبد الحميد بن سعدون ، وعبد الحميد الصائغ دفين سوسة .

وفي سنة 1047/418 امتحن بسبب فتواه عن سؤال ورد إليه من مدينة باغاية في تقسيم
الشيعة إلى قسمين : أحدهما من يفضل عليا على غيره من الصحابة من غير سب لغيره فليس
بكافر ، ومن يفضل غيره ويسب غيره فهو بمنزلة الكافر لا تحل مناكحته . والملاحظ أن الشيعة في
ذلك التاريخ بالغرب والمشرق بسائر فرقهم ، عدا الزيدية ، يستنون الصحابة ويكفرونهم عدا
سنة منهم .

وقد أنكر عليه هاته الفتوى العامة وفقهاء إفريقية ، وأرسلوا إليه أن يعاود النظر ويرجع عن
هاته الفتوى ، ونسبوا إليه ما نسبوا ، وأمر الأمير المعز بن باديس بسجل في القضية من التبريئ
في فتواه وأمر بقراءته على المنبر يوم الجمعة قبل الصلاة ، ثم أمر بإحضاره في مقصورة الجامع
مع أبي القاسم الليبي ، والقاضي أبي بكر أحمد بن أبي عمر بن أبي زيد ، وحكم الليبي في
المسألة بأن يرجع ويقر بالتوبة على المنبر في مشهد حافل ويقول كنت ضالاً فرجعت .
فاستعظم ذلك وقال «ها أنا ذا أقول هذا بينكم . فقتعوا منه بذلك ، وخرج صبيحة يوم السبت
للمنستير تسكيناً للفتنة .

وفي هذا الظرف كان المعز بن باديس يُعدّ العدة ويهيئ الأذهان لإزالة المذهب
الإسماعيلي وقطع العلاقات مع الدولة الفاطمية في مصر .

قال القاضي عياض «ولا امتراء عند كل منصف أن الحق ما قاله أبو إسحاق ، وأنه جرى
في فتواه علي العلم وطريق الحكم . ومع هذا فما نقصه هذا عند أهل التحقيق ، ولاحظ من
منصبه عند أهل التوفيق ، وأن رأي الجماعة في النازلة كان أسد وأولى» .

ثم رجع المترجم له إلى القيروان ، وفيها توفي في بداية الفتنة بين المالكية وبقايا أتباع
المذهب الباطني الإسماعيلي مذهب الدولة الفاطمية ، ورثاه ابن رشيق بقصيدة
منها [كامل]:

يا للرزية في أبي إسحاق ذهب الزمان بأنفس الأعلاق
ذهب الحمام يخاشع متبتّل تبكي العيون عليه باستحقاق
له شروح حسنة وتعاليق متنافس فيها على كتاب ابن المؤاز والمدونة .

المصادر والمراجع :

- ترتيب المدارك 769-766/4.
- الدباج 88، 89.
- شجرة النور 108، 109.
- معالم الإيمان 233-219/3.
- هدية العارفين 18/1.
- نزهة الأنظار 130-129/1.
- الوفيات لابن قنفذ 37.
- بلاد البربر الشرقية في عهد الزيريين (بالفرنسية) 728/2.

* * *

103 - التونسي (كان حياً سنة 967 هـ) (1559 م)

حاجي بن أحمد التونسي، يبدو من نسبه أنه تونسي الأصل، قرأ بفاس، واهتم منذ صباه بالجغرافية خاصة، أسره بعض المسيحيين، واشتره رجل فاضل من أهل البندقية، وسمح له بالاستمرار في دراسته، فتعمق في فهم الجغرافيين الأوروبيين، وفحص خرائطهم بدقة، ومن ثم واثته فكرة وضع خريطة للعالم المعروف - آنذاك - يجمع فيها ما وصل إليه أبو الفداء الأيوبي وقواعد المساقط الكارتوغرافية (Projection) للرياضي والكوزمغرافي أرنتيوس فينايوس Orentius Finacus (1555/1494) التي طبقها في وضع خريطة للعالم عام 1536، ونزولا عند رغبة مولاه فقد سجل الأسماء الجغرافية باللغة التركية التي لم تكن لغته الأصلية، غير أن عدداً من الألفاظ العربية وجدت طريقها إليها، وتم عمله في عام 966-1558/967 في عصر السلطان سليمان القانوني، وكان هذا العمل مهيباً للطبع في عام 1568، ولكن لظروف معينة لم يتم طبعه، ويوجد بمكتبة القديس مرقس بالبندقية كليشية لهذا الرسم محفور على ست لوحات من خشب التفاح، وفي 1795 استخرجت منه أربع وعشرون نسخة مع رسالة توضيحية موجزة للعالم اللبناني الماروني الشهير السمعاني (1821/1752) الأستاذ بجامعة بادوا بإيطاليا Padua. ونظرة عاجلة إلى المصور تبين أن التونسي قد استعار من فينايوس طريقة المساقط والشكل الأصلي للخريطة علي هيئة قلب، وكذلك خط الزوال الأساسي الذي يمر بجزر الكناري، كما استعار الجزء الأكبر من تخطيط لساحل القارات والجزر، وعدد المصطلحات الجغرافية لديه أغنى بكثير من نقل عنه، وأجرى عدداً من التصحيحات على سلفه بعضها هام للغاية، مثل ذلك تصحيحه لسواحل أميركا خاصة الأجزاء الشمالية منها وهكذا يقف التونسي في محيط الكارتوغرافيا العربية نسيج وحده له سلف ولا خلف له، ويكمن عيبه الأساسي في استعماله الأصل الذي اعتمد عليه بصورة آلية تغلب عليها الشكلية.

المرجع :

- كراتشكوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، دار الغرب الإسلامي، 1987 ص 499.

* * *

104 - التونسي (كان حياً 889 هـ) (1493 م)

عبد القاهر بن محمد بن عبد الرحمن التونسي، طبيب.
من آثاره كتاب الطب في تدير المسافرين ومرض الطاعون

المرجع :

- معجم المؤلفين 311/5 نقلاً عن بروكلمان بالملحق 367/2.

* * *

105 - التونسي (كان حياً سنة - 1190 هـ) (. . . - 1776م)

علي بن عبد الله التونسي المالكي، نزيل مصر (علاء الدين، أبو الحسن)، عالم أديب،
ولي مشيخة رواق المغاربة بالجامع الأزهر.

من آثاره :

شرح على رسالة راغب باشا الوزير في العروض، وله تحريرات كثيرة.

المصادر والمراجع :

- سلك الدرر للمرادي 259/3.

- معجم المؤلفين 50/7.

- هدية العارفين 769/1.

* * *

106 - التونسي (888 هـ) (1484م)

محمد بن عبد الله بن يوسف بن عبد الحق التونسي .

رحل إلى مصر فنزل البرلس عند عالمه الشهاب بن الأقطيع، وحفظ القرآن، والرسالة، والمختصر وألفية بن مالك في النحو وتلخيص المفتاح للخطيب القزويني في البلاغة ولم يكمله، والمصباح للبيضاوي، ولازمه في الفقه، والأصليين، والفرائض، والعربية والحساب، والمعاني والبيان، وغيرها. وتميز، ثم قدم القاهرة فقرأ على السنهوري الفقه، والأصول، والعربية، وأخذ عن ابن قاسم العربية وغيرها، وتردد على الجوجري، والأبناسي، وغيرهما، وقرأ على السخاوي الكثير من ألفية العراقي في مصطلح الحديث وغيرها، وسمع منه وعليه أشياء كثيرة، وأكثر من حضور الأمالي، ثم حج وأستقر أشهراً وزار بيت المقدس، ثم رجع إلى مصر فأقام بالإسكندرية يسيراً، وتزوج من تروجة، وصار يتردد بينهما مع احترام الخياطة، وربما أقرأ بعض الطلبة، قال السخاوي في نعتة: وكان عاقلاً ساكناً دينا قانعا عفيفاً ريضاً مشاركاً في الفضائل. مات بالإسكندرية في أواخر شعبان أو أوائل رمضان عن أزيد من أربعين سنة . . .

شرح قطعة من مختصر ابن عرفة في الفرائض .

المصدر:

- الضراء اللامع 117/8.

* * *

107 - التونسي (1204 - 1274 هـ) (1790 - 1857م)

محمد بن عمر بن سليمان التونسي، نزيل القاهرة، اللغوي، المشارك في بعض العلوم، الرحالة. كان والده مجاوراً في الأزهر، فتزوج بمصر، ولد ابنه المترجم له في تونس وعكف على تحصيل العلم ونبع فيه حتى تمكن أن يكون واعظاً في خدمة إبراهيم باشا في حملته إلى المورة وقبل ذلك سافر إلى بلاد السودان ورأى فيها من العجائب ما أدهشه .

ولما عاد من تلك الحملة كان قد أنشئت مدرسة أبي زعبل، وأخذوا في نقل كتب الطب وغيرها، فتعين مصححاً للكتب فيها. وأخذت مواهبه تظهر في التحرير والتصحيح، وامتاز عن سائر أقرانه المصححين بمعرفة المصطلحات العلمية باللغة العربية، فكانوا يرجعون إليه في تحقيقها ويسمونه «مصحح كتب الطب ومحزرها» فكانوا إذا نقلوا كتاباً في أوائل إنشاء المدرسة الطبية يرون مشقة في إيجاد الألفاظ الوضعية العربية الملائمة للألفاظ الإفرنجية الموجودة في الكتاب

المرجم، فليرجعون إليه في تحرير الكتب المهمة. وكان ماهراً في صياغة الألفاظ والمعاني في قالب عربي، فيعولون عليه في ذلك كما فعلوا في تنقيح كتاب «الدرر الغوالي في علم أمراض الأطفال» تأليف الدكتور كلوت بك، وكتاب «كنوز الصحة» للدكتور كلوت بك «والجواهر السنية» في الكيمياء لبيرون بك. وقد تعب في تحرير مصطلحات هذا العلم على الخصوص، ودرس عليه الحكيم بيرون Perron الفرنسي أستاذ الكيمياء بمدرسة أبي زعل كتاب كليلة ودمنة باللغة العربية، وهو الذي حمل على تدوين ما عاينه في أسفاره من العجائب.

مؤلفاته :

- 1 - تشحيد الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، وهو رحلة وصف فيها سفره إلى السودان، وذكر ما شاهده في طريقه من واحات مصر إلى دارفور ووداي، وفي الخطط التوفيقية لعلي مبارك قطعة منها في وصف الواحات ج 17 ص 32. ط على الحجر باعتناء الدكتور بيرون، باريس 1851، ص 311 وعلق عليها سدييو Sédillot بمقالة في المجلة الآسيوية. وطبعت ترجمة الكتاب على حدة بعناية الدكتور المذكور سنة 1850 وبها خرائط ورسوم وسمى الكتاب Voyage au Darfour، في مجلدين. وقد حققه وكتب حواشيه د/ خليل محمود عساكر د/ مصطفى محمد مسعد، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، الدار المصرية للتأليف والترجمة سنة 1969، 578 ص مع خرائط وجداول.
- كما ترجم له الدكتور بيرون المذكور Dr Perron الرحلة إلى وداي Voyage au Wadday وطبع بها وضاعت نسخته العربية وطبع كتاب تشحيد الأذهان منذ أكثر من عقد ونصف من السنين في القاهرة في سفر واحد في سلسلة «تراثنا».
- 2 - الدرر اللوامع في النباتات وما فيها من المنافع (طب) فرغ منه سنة 1256 (مطبوع)، إيضاح المكنون 468/1.
- 3 - الشذور الذهبية في الألفاظ الطبية، وهو معجم للمصطلحات العلمية على اختلاف موضوعاتها. وهو كتاب في نحو 600 ص متوسطة الحجم، وقد حمل إلى باريس وفي دار الكتب نسخة منقولة بالتصوير من نسخة باريس وهو معجم مرتب على الحروف لم يطبع.

المراجع :

- الأعلام 209/7.

- إيضاح المكتون 408/1.
- تاريخ آداب اللغة العربية 187-185/4.
- معجم المطبوعات 1683-1688/2.
- معجم المؤلفين 83-82/11.

* * *

108 - التونسي (كان حياً سنة 1140 هـ) (1738م)

مصطفى بن أحمد الحنفي التونسي ، عالم بالقراءات .

له منحة المنان في قراءة حفص بن سليمان ، أوله «الحمد لله الذي أنزل الكتاب المبين» فرغ من تأليفه سنة 1140 ، يوجد ضمن مجموع بالمكتبة الوطنية التونسية في 70 ورقة من القطع المتوسط .

المراجع :

- برنامج المكتبة العبدلية 156/1.
- معجم المؤلفين 128/12 نقلاً عن بروكلمان ، الملحق 699/2.

* * *

109 - التيفاشي (580 - 655⁽¹⁾ هـ) (1184 - 1257 م)

أحمد بن يوسف بن أحمد بن أبي بكر بن حمدون بن حجاج القيسي التيفاشي⁽²⁾ القفصي ، شرف الدين ، أبو الفضل ، الأديب ، الشاعر المعتمى بعلوم الفلسفة . يتحدر من بيت علم ومجد ، فجدّه أحمد كان كاتباً لأمير قفصة المعتز بن الوند ، ووالده كان قضاياً .

سمع بقفصة من أبي العباس أحمد بن أبي بكر بن جعفر المقدسي ، ثم رحل إلى تونس

(1) في مصادر ترجمته أنه توفي سنة 651 وذكر ابن منظور في «نثر الأزهار» أن والده توفي سنة 654 وتوفي التيفاشي بعده بمده وهذه المدة يمكن أن تكون بضعة أشهر أو سنة لذلك نرجح أنه توفي حوالي سنة 655 .

(2) نسبة إلى تيفاش الكائنة شمالي عمالة قسنطينة من القطر الجزائري ، ورد أسلافه منها ، وقيل إنها من قرى قفصة وهو غير صحيح ، وفي الروض المطار في خبر الأقطار لمحمد بن عبد المنعم الحميري ، تحقيق الدكتور إحسان عباس (ط دار القلم للطباعة ، بيروت 1975) ص 146 «بينها وبين الأربس مرحلة ، وهي بقرب ملاق» ومعنى هذا أنها بمقربة من مدينة الكاف في الشمال الغربي من القطر التونسي ، وهو تحديد غير دقيق . وفي رايات المرزبن لابن سعيد «من بلاد إفريقية التي بقيت آثارها شاهدة على عظمتها وإنما هي الآن خالية رأيتها وأنا في عسكر ملك إفريقية» .

وقرأ بجامع الزيتونة ، واشتغل بالأدب والعلوم الرياضية وبرع في ذلك كله ، ثم رحل إلى مصر فقرأ بها وتفنن على العلامة موفق الدين عبد اللطيف البغدادي ، ثم سافر إلى دمشق واشتغل بها على العلامة تاج الدين أبي اليمن زيد بن الحسن الكندي .

ثم رجع إلى بلده قفصة فولاه الأمير أبو زكرياء الأول الحفصي قضاء قفصة . ولأسباب غير معروفة تخلّى عن القضاء بعد فترة وتوجّه إلى المشرق عن طريق البحر وصحبته أولاده الثلاثة ومال فغرق الأولاد والمال ونجا هو على لوح مسلوب المال والولد ونجّول في أقطار الشرق فدخل العراق ، وبلاد فارس ، والشام ، ثم عاد إلى مصر واستقرّ نهائياً بالقاهرة في حدود سنة 1233/630 ، وفيها تعرّف واختلط بالرؤساء والعلماء والأدباء منهم محي الدين بن ندى القرشي الذي قدّم له بعض تأليفه ، ومنهم علي بن موسى بن سعيد الغرناطي المؤرخ والأديب الأندلسي ، قال المقرّي في «نفع الطيب» «وجدت بخط ابن سعيد - رحمه الله - في آخر جزء من كتاب «المغرب في محاسن أهل المغرب» ما نصه : أجزت الشيخ الفاضل الأجل أحمد بن الشيخ القاضي ابن يعقوب يوسف التيفاشي أن يروي عني مصنفي هذا وهو مصنفة علي بن موسى بن سعيد في تاريخ الفراخ من هذا السفر⁽¹⁾ .

ومن أصدقائه بمصر جلال الدين بن مكرم بن منظور الإفريقي والد مؤلف «لسان العرب» وقد عرف هذا الأخير بالتيفاشي فقال في كتابه «نثار الأزهار» «وقد كنت في أيام الوالد - رحمه الله - أرى تردد الفضلاء إليه . . . ورأيت الشيخ شرف الدين أحمد بن يوسف التيفاشي في جملتهم وأنا في سن الطفولة لا أدري ما يقولونه غير أنني سمعته يذكر للوالد كتاباً صنّفه أفنى فيه عمره واستغرق دهره ، وأنه لم يجمع ما جمعه فيه كتاب وتوفي الوالد - رحمه الله - في سنة 456 وتوفي شرف الدين بعده بمدة» .

وكتب عن الحافظ ابن حديد ، وابن الصابوني ، وابن مسدي ، وغيرهم . وتوفي بالقاهرة ودفن بمقبرة باب النصر .

مؤلفاته :

1 - أزهار الأفكار في جواهر الأحجار ، ط مع ترجمة إيطالية في فلورنسا سنة 1818 في 155 ص ، وهذه الطبعة ناقصة عن النسخ الخطية الموجودة من هذا الكتاب في مكتبات أوروبا .

(1) علّق محقق كتاب رايات المبرزين على إجازة ابن سعيد للتيفاشي التي نقلها المقرّي بقوله : « . . . وإذن فقد كان التيفاشي أحد القضاة في دولة أبي زكريا بن أبي حفص ، وعاش حتى رجع ابن سعيد إلى تونس حوالي سنة 660 وروى عنه كتابه» . ويلاحظ أن أبا زكريا الحفصي لم يبق إلى سنة 660 وفي هذا التاريخ كان المتولي للملك هو ابنه ووّليّ عهده المستنصر وإذن من الدقة أن يقال أحد القضاة في دولة أبي زكريا وابنه المستنصر ثم أن التيفاشي مات قبل هذا التاريخ . والصحيح أنه التقى بابن سعيد في القاهرة لا في تونس ، ولعل له به سابقة معرفة .

حقّقه وعلّق عليه د. محمد يوسف حسن و د. محمود بسيوني خفاجي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1977، ص 327 .

2 - كتاب في البديع ، قال عنه ابن أبي الأصبغ المصري (1256/654) في مقدمة كتابه «بديع القرآن»: جمع فيه ما لم يجمع غيره ولولا مواضع نقلها كما وجدها ولم ينعم النظر فيها فانتقد عليه ما انتقد على غيره ، وبعض الأبواب التي تداخلت عليه⁽¹⁾.

وتحدّث ابن أبي الأصبغ في مقدمة كتابه «تحرير التحرير» أنه قابل التيفاشي وناقشه في البديع وأعجب به⁽²⁾.

3 - الدرّة الفائقة في محاسن الأفارقة ، مفقود .

4 - درة التالي في عيون الأخبار ومستحسن الأشعار .

5 - الديباج الخسرواني في شعر ابن هاني ، وهو شرح لديوان محمد بن هاني .

6 - سجع الهديل في أخبار النيل ، وهو من جملة المصادر التي اعتمدها السيوطي في كتابه «حسن المحاضرة» .

7 - فصل الخطاب في مدارك الحواس الخمس لأولي الأبواب ، تناول فيه مختلف العلوم والآداب ، قدّمه في القاهرة إلى الصاحب محيي الدين بن ندى الجزري القرشي ، وقد قسّم هذا الكتاب إلى أكثر من أربعين كتاباً كل واحد منها يبحث عن علم خاص أو فن مستقل ، وسمّى كل كتاب باسم خاص ، وصنّره بمقدمة مناسبة لموضوع البحث ، ولا يقل كل جزء عن المائتي صفحة في القالب الرباعي ، وفي هذا الكتاب الواسع تناول ما في العالم العلوي كالسما والنجوم والبروج والقمر والشمس ، والليل والنهار والظلمة ، ثم العالم الحيواني ، وكذا علم الأحجار والمعادن ، وخصص للطب كتاباً بعنوانه «الشفاء» وللموسيقى والرقص عند الشعوب المعروفة في وقته كتاب اسمه «متعة الأسماع في علم السماع» يوجد بخطه في خزانة العلامة محمد الطاهر بن عاشور في تونس .

ومن أشهر أجزاء هذا الكتاب الكبير «أزهار الأفكار في جواهر الأحجار» يوجد مخطوطاً في كثير من المكتبات وقد أتمه في سنة 1242/600 ، قال في مقدمته «ومعظم الخواص المذكورة في هذا الكتاب مما جربته بنفسي ووثقت بصحة النقل عنه من غيري من المعترين فأحلت عليه مسنداً ذلك إليه» .

وقد اختصر الجزء الأول من فصل الخطاب جمال الدين بن منظور الأفريقي صاحب

(1) تحرير التحرير (مطبعة الرسالة مصر 1957/1377) تحقيق الاستاذ حفني شرف، ص 13..

(2) ص 7 من مقدمة المحقق للمصدر السالف الذكر .

«لسان العرب»، وقد ذكر في مقدمة اختصاره المسمى «نثار الأزهار» شغفه بهذا الكتاب والظروف التي اختصره فيها فقال: «فلما تذكرت هذا الكتاب بعد سنين، وقد تجاوزت الستين، طلبته من كل جهة فلم أجد من يدلني عليه... إلى أن ظفرت به عند شخص من أصحابه فلم يسمح لي - مع فقره - ببيع ولا عارية... إلى أن قدر الله تملكه في سنة 1291/690 فرأيته مجرد مسودات وجزازات، وظهور وتخريجات، وقد جعله من تجربته أربعين جزءاً لم أجد منها سوى ستة وثلاثين ربطة وهي في غاية الاختلال لسوء الخط فضممت ما وجدت منه بعضه إلى بعض... واستخرت الله في تعليق ما نختاره منه ورغبت في إبرازه إلى الوجود... فإنه روضة المطالع ونزهة القلوب يسرّ به خاطر ويقرّ به الناظر وسميت هذا الكتاب «نثار الأزهار في الليل والنهار»... واختصره ابن منظور اختصاراً مجحفاً فغيّر بعض أسماء أجزائه وحذف منه أقساماً مهمة جداً.

8 - قادمة الجناح في آداب النكاح .

9 - مشكاة أنوار الخلفاء وعيون أخبار الظرفاء، قال الحميري في «الروض المعطار»: «وهو كتاب مطوّل حسن ممتع ضاهى به عقد ابن عبد ربه فأبدع». إلا أنه نسبة لعمد التيفاشي ولم أجد تعريفاً بعمر هذا، والمعروف بكثرة التصانيف وجودتها إنما هو أحمد التيفاشي، ثم نسب الحميري للتيفاشي المذكور «قادمة الجناح» وقد مرّ أنه من مؤلفات المترجم له فيكون هذا دليلاً على وَهْم الحميري .

10 - نزهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب، في المحاضرة والحكايات . (مخطوط في خزنة الرباط، 333 كتابي) .

11 - الوافي في الطب الشافي، جمعه كتاب أبي نعيم الأصفهاني الشفا المسند عن المصطفى فيما ورد من السند من غير تغيير في تبويبه (باختصار من كشف الظنون 1055) .

المصادر والمراجع :

- الأعلام 35/10, 259/1.
- إيضاح المكنون 549/1.
- الديباج المنقّب 75/4.
- رايات المبرزين وغايات المميزين لابن سعيد الأندلسي، تحقيق الدكتور النعمان عبد المتعال القاضي (القاهرة 1973/1393) ص 145-146.
- شجرة النور الزكية 170.
- كشف الظنون 72، 233، 260، 742، 979، 1055، 1260، 1305.
- معجم المطبوعات 652-651.

- معجم المؤلفين 08/2.
- ورقات عن الحضارة 635/1، 460-448/2.
- الأعلام 273/1 (ط/5).
- اكتفاء القنوع بما هو مطبوع 226-225.
- كشف الظنون 742، 979، 990، 1260.
- هدية العارفين 94/1.

* * *

110 - ابن التين (611 هـ) (1214م)

عبد الواحد بن عمر بن عبد الواحد بن ثابت المعروف بابن التين الصفاقسي، أبو عمرو، وأبو محمد، المحدث، الفقيه.

توفي بصفاقس وعلى قبره قبة صغيرة مستطيلة ذات شكل خاص على مقربة من ضريح الفرياني، وأدخل حديثاً في الجامع الجديد البناء الذي نسبوه إلى الإمام اللخمي.

له شرح على صحيح البخاري سَمَّاه الخَيْر الفصيح الجامع لفوائد مسند البخاري الصحيح، يوجد الجزء الرابع منه في المكتبة الوطنية بتونس (مكتبة حسن حسني عبد الوهاب) وتوجد منه نسخة في مطماطة. ينقل في شرحه عن أبي جعفر أحمد بن نصر الداودي⁽¹⁾، وعن هذا الشرح ينقل الحافظ ابن حجر في فتح «الباري» مناقشاً له غالباً، ونقل عنه الزركشي في «التنقيح» وكان الحافظ الرحالة محمد بن زُشَيْد الفهري السبتي يعتمد في شرح كلام البخاري على شرح ابن التين لأجل حضور البربر في مجلسه ومعتمدهم المدوّنة، وأبو عمرو في الكتاب ينقل المدوّنة وكلام شراحها عليها⁽²⁾، كما اعتمده في شرحه للبخاري الذي سَمَّاه إفادة النصيح في شرح البخاري الصحيح.

المصادر والمراجع:

- شجرة النور الزكية 168.
- نزهة الأنظار لمقديش 2 133.024.
- نيل الابتهاج 188.

(1) هو طرابلسي توفي بتامسان سنة 1050/440 له النصيحة في شرح البخاري، راجع الديباج 35، شرح الزرقاني علي المواهب اللدنية 378/1، نفحات النسرهن والريحان فيمن كان بطرابلس الغرب من الأعيان لأحمد النائب الأنصاري، ص 71-70.

(2) أزهار الرياض للمقري 350/2 في ترجمة ابن رشيد.

- هدية العارفين 635./1.
- الأعلام 274-273/1 (ط/5).
- كشف الظنون 546.
- مقدمة ابن خلدون ص 443 (مط / مصطفى محمد، القاهرة، بلا تاريخ).

* * *

حرف الثاء

111 - ثامر (1326 - 1367 هـ) (1909 - 1949 م)

الحبيب ثامر، الطبيب، والزعيم السياسي المناضل.

ولد بتونس وزاول تعلمه الثانوي بالمدرسة الصادقية إلى أن أحرز على دبلومها، ثم سافر إلى باريس والتحق بكلية الطب وتخرج منها محرزاً على شهادة الدكتوراه في الطب.

وفي مدة إقامته بباريس انتخبه طلبة المغرب العربي رئيساً لجمعية «طلبة شمال أفريقيا» وهي جمعية ثقافية سياسية، وعاد إلى تونس في موفى عام 1938 على إثر حوادث 9 أبريل التي القت فيها السلطة الاستعمارية القبض على زعماء الحركة الوطنية وخيم على البلاد جو ثقيل من الإرهاب والكبت وامتألت السجون بالتونسيين. في هذا الظرف الدقيق سعى المترجم له إلى تنظيم حركة الكفاح السري ضد عدوان الاستعمار، والشعب لم يقابل هذا الطغيان بالاستسلام بل قاومه بعنف فقد استمرت المظاهرات وتعددت أعمال التحريب. وظل المترجم له يقود الحركة الوطنية سرياً في إطار محدود المدى إلى أن إنهزمت فرنسا في الحرب العالمية الثانية سنة 1940 فرأى أن يوسع نطاق عمل الحركة الوطنية ويجعلها شاملة لعدة ميادين، فظهرت كثير من الصحف الوطنية، وأسس المدارس لتعليم اللغة العربية، وفكر في إنشاء النقابات والمنظمات المهنية وتمكن من بعث الوعي بالتضامن واستمرار مقاومة الاستعمار عن طريق الاجتماعات المستمرة التي طالب فيها الوطنيون بإطلاق سراح الزعماء بالحاح.

في هذا الظرف الحرج المتأزم تولى المترجم له قيادة مظاهرة كبرى إلى قصر الباي بحمام الأنف، وحاولت السلطة الاستعمارية تشتيت هذه المظاهرة لكنه تمكن من الاتصال بالباي وقدم له عريضة تتضمن وجوب الإسراع بإعلان سقوط الحماية، والسعي في إطلاق سراح القادة السياسيين والمساجين، وائر خروجه من قصر الباي القت السلطة الاستعمارية عليه القبض وأودعته السجن لمدة أربعين يوماً، ولم تكن هذه الحادثة لغفل من عزيمته الصلبة القوية فاستأنف الكفاح من جديد فدعم الحركة الوطنية السرية، ولما رأى صولة الاستعمار وعسفه وتفانيه في خنق الحركة الوطنية سعى في الهجرة إلى المشرق العربي خفية في جانفي 1942 فوصل إلى الحدود الليبية ومنها ألقى عليه القبض وسبق إلى السجن، وحاكمته المحكمة الفرنسية بتونس في 18 فيفري 1942 بتهمة التأمر على أمن الدولة وصدر عليه حكم يقضي

بسجنه عشرين عاماً والنفي مثل هذه المدة، ولم يلبث في السجن الا بضعة أشهر لتبدل الظروف وتغير الأحوال، فقد تولى الملك محمد المنصف باي، ونزلت جيوش المحور بتونس فأفرج عنه في ديسمبر 1942، وهذا المناضل العنيد لا يرهبه السجن والمضايقات الاستعمارية فبمجرد خروجه من السجن استأنف النضال فنظم شؤون الحزب الحر الدستوري الجديد وتجديد تشكيلاته، وأصدر جريدة «إفريقيا الفتاة» الناطقة بلسان الحزب والتي خدمت القضية الوطنية بحماس وجد، وساهم في تحريرها شبان وطنيون كرشيد إدريس. وعاد الزعماء المساجين إلى البلاد في 9 أبريل 1943 وظل مواصلاً للعمل بنشاط إلى 6 ماي من تلك السنة [وهو تاريخ دخول الحلفاء الى تونس] فغادر البلاد خشية الوقوع في قبضة الفرنسيين الناقمين عليه فالتحق أولاً بإيطاليا ثم برلين وأخيراً بباريس. وحاول الالتحاق بإسبانيا مراراً عديدة لكنه وجد صعوبات وممانعة من الألمان، وحاول ذات مرة الوصول إلى إسبانيا بواسطة قارب صغير وغرق هذا القارب في وسط البحر فقطع بقية المسافة سباحة حتى وصل الشواطئ الإسبانية، والقت عليه السلطة الإسبانية القبض لاشتباهاها في أمره، ولم تطلق سراحه الا بعد أيام من البحث والتحري، وبقي بإسبانيا بضع سنوات برفقة جمع من إخوانه المناضلين ووجهت له دعوة في الالتحاق بمصر فنزل بالقاهرة يوم 10 جوان 1946، وبذل نشاطاً كبيراً في الصحافة المصرية وفي مكتب المغرب العربي للتعريف بالقضية التونسية كما عُرِف بقضايا المغرب العربي. وفي مدة إقامته بالشرق كان كتلة من النشاط الدائب خدمة لوطنه فقد قام برحلات كثيرة وألقى المحاضرات العديدة في نوادي الأحزاب السياسية ونوادي الطلبة معرفاً بقضية وطنه تونس وبقضايا المغرب العربي.

وفي 23 نوفمبر 1948 عينه الحزب للمشاركة في المؤتمر الإسلامي الاقتصادي المنعقد بباكستان وعرف فيه بالقضية التونسية وشهر بسياسة القمع الاستعماري فيها، وبعد انتهاء المؤتمر قبل دعوة حكومة باكستان فزار عدة مدن باكستانية وألقى فيها المحاضرات عن تونس وعن كفاح المغرب العربي في سبيل التحرر.

وكانت نهاية المطاف في هذه الجولة وفاة هذا البطل المناضل في ظرف عصيب كان وطنه ما زال في حاجة إلى كفاحه فقد لقي حتفه في اصطدام الطائرة التي كان راكباً فيها في جهة بثاورلاهور في يوم 13 ديسمبر. وهكذا طويت صفحة هذا المناضل الكبير ذي الحركة والنشاط والشجاعة والعزيمة.

ترك تالياً وحيداً هو «هذه تونس» المطبوع في القاهرة سنة 1948، وهو كتاب تاريخ للبلاد لا سيما في العصور الحديثة ولسير الحضارة فيها إلى أن انتهت بالاحتلال الفرنسي وتتبع فيه أطوار الكفاح ضد الاستعمار، وبسنت بأطناب أحوال تونس السياسة والاجتماعية والاقتصادية في عهده، وفضح طرق وأساليب الاستعمار في الاعتداء على الحريات وإصدار القوانين الجائرة التي تخدم غاياته وأغراضه ومحاولة هذا الاستعمار إدماج الشعب وتتبع خطر

سرطان الاستعمار في مختلف الميادين كالتعليم والقضاء والصحة والإدارة .

المرجع :

الحبيب ثامر (سلسلة عظماء بلادي) لرشيد الدواوي ط تونس سنة 1977.

* * *

112 - الثعالبي (1291 - 1363 هـ) (1879 - 1944 م)

عبد العزيز بن إبراهيم بن عبد الرحمان الثعالبي ، الزعيم السياسي ، والخطيب الساحر والكااتب المفكر ، والمصلح الإسلامي ، والمؤرخ . أصله من أسرة جزائرية هاجرت إلى تونس بعد الاحتلال . ولد بتونس ونشأ في كنف جده الذي شارك في المعارك ضد الاحتلال الفرنسي وكان جسمه لا يخلو من أثر الجراح .

ودخل المترجم له الكتاب فحفظ القرآن ، وأتم الدراسة الأولية في البيت على مدرس خاص ، فقرأ النحو والعقائد وشيئاً قليلاً من الأدب ، ثم دخل مدرسة باب سويقة الابتدائية ثم التحق بجامع الزيتونة ، ومن أشهر شيوخه العلامة الشيخ سالم بوحاجب ، كما تابع دروس المدرسة الخلدونية ومن أبرز أساتذته فيها أبو النهضة البشير صفر ، وبارح جامع الزيتونة قبل إتمام الدراسة والإحراز على شهادة التطويع .

وفي سنة 1907 عمل في حزب الزعيم علي باش حانة (الشباب التونسي) وكتب في جريدتي «المبشر» و«المنتظر» فعطلتهما الحكومة ، ثم أصدر جريدة «سبل الرشاد» التي عطلتها الحكومة بعد سنة من صدورها ، وأصدرت قانوناً قيدت به الصحافة ، وبعد تعطيلها سافر إلى مصر سنة 1901 ، وهناك التقى بالشيخ محمد عبده والشيخ محمد رشيد رضا وجلس في حلقتيهما ، وتأثر بدعوتيهما في الإصلاح الديني والاجتماعي . قال العلامة المرحوم الشيخ محمد الفاضل بن عاشور : «وبلغ السيل الزبي سنة 1901/1320 لما ظهر بمدينة تونس شاب كان من طلبة جامع الزيتونة والخلدونية المنقطعين للشيخ سالم بوحاجب والأستاذ البشير صفر . أصدر جريدة سماها «سبل الرشاد» ولم يلبث أن عطلها وسافر إلى الأستانة ومصر ، وعاد منها غريب الشكل والنزعة والمنطق والقلم ، يتكلم بأفكار جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ، ويعجب بالكواكبي وحسن حسني الطوبراني وعلي يوسف ، ويدعو إلى التطور والحرية وفهم أسرار الدين وأسرار الوجود ، ويفري بمقالات الحكماء والطبيعيين ، ذلك هو الشيخ عبد العزيز الثعالبي الذي لم يكذب يرجع من مصر حتى أحاطت به هالة من أهل العلم والأدب وأصبحت الزم له من ظله ، فكان ينتقل بهم في مجامع العاصمة نادياً سياراً مأخوذتين بحلاوة

تعبيره وفصاحة منطقته وقوة عارضته ومقدرته على تحليل المواضيع استرسالاً بلا ملل ولا فتور، وبدأ الناس يلتقطون من كلامه سقطات في مسائل الخلاف بين الصحابة والأولياء والكرامات، ويشيعونها على وجهها أو على غير وجهها حتى بلغت اسماع كبار الشيوخ الناقمين على التطور فأثارهم ثورة أدمجت الخلدونية و[مجلة] المنار والثعالبي، وتقدمت دعوة إلى النيابة العمومية، وجرت المرافعات، والرعاع يترصدون الثعالبي في ذهابه إلى المحكمة ورجوعه يهاجمونه بالسب والأذى، ثم حكم عليه بالسجن، فكان أول مظهر لتمييز الحركة الجديدة وإقامة الفوارق بين مناهج التفكير السابقة وكان ذلك عاملاً على تكوين عطف الكثيرين عليه وتقوت الحركة الإصلاحية به وبنكته».

وفي سنة 1910/1328 أسس جمعية تمثيلية اسمها جمعية الآداب، ثم أسس جمعية أخرى «جمعية الشهامة العربية». في سنة 1903، زار الجزائر والمغرب ورجع إلى تونس سنة 1904، ولم يتردد في مهاجمة الأولياء في الأماكن العامة، وهذا الموقف حاكمته من أجله محكمة الدرية بشهر سجنًا، وبعد خروجه من السجن التحق بحزب الشباب التونسي الذي كان في حالة تكوين، ولم يلبث أن أصبح من أعضائه الأكثر نشاطاً.

وعند رجوعه من المشرق كان الجو السائد في البلاد لدى القادة والصحفيين هو التنويه بمهمة فرنسا التمدينية في البلاد، وتقديم المطالب إلى السلطة الاستعمارية في استحياء وتذلل، فبدل المترجم له اللهجة فكان طالب حق قوي اللهجة لا تملق فيها ولا استخذاء، ولتعلم أسلوب القادة إذ ذاك - في مخاطبة الاستعمار ليرجع إلى ما قاله الأستاذ البشير صفر في سنة 1906 في الاحتفال بمناسبة تدشين التكية بمحضر المقيم العام، فقد أشاد بعمل فرنسا التمديني، ولمح في استحياء إلى ضرورة إجراء الإصلاحات الكفيلة بتخفيف بؤس الشعب التونسي مع أن الشعب بلغ في تلك الفترة حداً كبيراً من البؤس والفاقة، وقد اعتبر هذا الخطاب ضرباً من الجراءة فلقى تأييداً من المهتمين بالسياسة كما هاجمته هجوماً عنيفاً جريدة «تونس الفرنسية» لسان حال المعمرين دعاة التفرنس والإدماج.

والإشادة بعمل فرنسا التمديني لم يسلم منها المرموقون من زعماء تلك الفترة مثل علي باش حانية الذي أصدر سنة 1907 جريدة «التونسي» وهي فرنسية اللسان، فقد كتب في افتتاحيتها الأولى ما يلي «لقد بدأ عمل فرنسا التمديني يأتي أكله في تونس، فهنالک جيل جديد تتقّف باللغة الفرنسية، وأنطبع بأفكارها الكريمة بدأ اليوم يأخذ مكانه في التجديد القائم، وهو إيماناً بهذا المبدأ ينشئ جريدة التونسي. يلي ذلك عرض للمطالب التونسية وهو إعادة لما نادى به البشير صفر في خطابه ونصفه مدائح لفرنسا «نرجو أن تعمد فرنسا انسجاماً مع تقاليدنا ومثلها العليا الديمقراطية أن تمنح التعليم المجاني الابتدائي» وبالخلاص من صاحب الترجمة صدرت نشرة عربية عن جريدة «التونسي» سميت «الاتحاد الإسلامي» تولى تحريرها بنفسه.

ونشأ نوع من التجمع الشعبي حول جامع الزيتونة والمدرسة الصادقية ونادى طلابهما بضرورة إصلاح مواد ومناهج التعليم وخاصة بجامع الزيتونة ، وذلك قبل تنفيذ الشيخ محمد عبده الإصلاح في الأزهر . وفي 10 أبريل 1910 قدم الطلاب عريضة مطالبهم إلى وزير القلم بعد أن قاموا بمظاهرة امتدت على مقربة من جامع الزيتونة إلى القصبة ، فقبضت الشرطة على اثنين منهم ، فتدخل جماعة جريدة التونسي (حزب الشباب) وخطب علي باش حانية في الطلاب مهدثاً ، ونجحت في النهاية وساطته بينهم وبين الحكومة .

وكان المترجم له يكتب المقالات الطويلة دفاعاً عن قضية الطلاب حتى أنهم اعتبروا جريدة «الإتحاد الإسلامي» جريدتهم ، وخصص لهم قسماً من الجريدة يحررونها بأنفسهم لعرض قضيتهم .

ونجح الطلاب في الحصول على بعض مطالبهم ، وخرج من سجن منهم وعددهم ثمانية ، ونظموا مظاهرة كبرى حملوا فيها رفاقهم على الاكتاف ، وخطب فيهم جماعة حزب الشباب ومنهم المترجم له .

ويوم أعلنت إيطاليا الحرب على تركيا في 29 سبتمبر 1911 ونزلت بجيوشها في ليبيا برز المترجم له قائداً شعبياً تلتف حوله الجماهير فقد سخر طاقاته من قلم ولسان للدفاع ضد الغزو الاستعماري ، وشد أزر المقاومة وتعاون مع القادة الأتراك في تنظيم بديع وتوزيع محكم للمسؤوليات ، فقد كانت مثلاً صفاقس مركز اتصال بليبيا عن طريق القرية البحرية نَقْطَه الواقعة غربيها والبعيدة عن أعين الرقباء والجواسيس وكل الفضوليين ، حتى الضباط الأتراك كانوا ينزلون في صفاقس ومن هناك يوجهونهم خفية إلى نَقْطَه فيركبون البحر في طريقهم إلى ليبيا . وإثر حوادث الزلازل ومن غير أن يكون مسؤولاً عن هذه الحوادث مباشرة فقد ساهم بفضوله في خلق حالة فكرية تؤيد هذه الاضطرابات ، وامتزج بأحداث الترمفاي ، فنفي من تونس في شهر مارس 1912 ، فسافر إلى فرنسا مع علي باش حانية ، ومحمد نعمان ، ومنها إلى إستانبول ، ثم عاد إلى فرنسا ، وفي مدة إقامته بفرنسا إتصل هو وعلي باش حانية بالأوساط السياسية والفكرية ، فتألفت لجنة لدراسة المسائل الوطنية في البرلمان برئاسة الوزير السابق «جورج لبيج» . ثم رجع إلى تونس بعد طرح قرار النفي .

وقامت أكاديمية أستريه بدراسة واسعة عن مستقبل العلاقات بين فرنسا والمستعمرات ، وتألفت جمعية «أصدقاء المعمرين والأهليين» في البلدان المحمية ، «وجمعية الإتحاد الفرنسي الأهلي» وبدأت بعض الأصوات الفرنسية ترتفع ضد الحكم في المستعمرات .

وعاد إلى تونس والحرب العالمية قائمة ، ولما انتهت الحرب ارتأت نخبة من رفاق علي باش حانية البدء بعمل سياسي منظم . وعقد أول اجتماع في أبريل سنة 1919 حضرة ثلاثون مندوباً من المسلمين وثلاثون من اليهود وظهرت في المناقشات خلافات في الآراء والمترجم له يقود

المتشددین المطالبین بدستور وحکم ديمقراطي والقائلین باستعمال كل الوسائل الدعائية لبلوغ الهدف ، والأعضاء اليهود وبعض المسلمين يقتنعون بالحصول على إصلاحات تدريجية ، ولعدم حصول الإتفاق عقد إجتماع ثان تخلف عنه اليهود وانبثق عن هذا الاجتماع ميلاد الحزب الحر التونسي في سنة 1919 بقيادة المترجم له وأحمد الصافي وحسن قلاتي (بالقاف المعقدة) . وأوفد الحزب الأستاذ أحمد السقا إلى باريس لعرض المطالب التونسية ورئيس الولايات المتحدة ويلسن في باريس حاضراً في مؤتمر الصلح ومعه بنوده الأربعة عشر ، ولم ينجح الأستاذ السقا في مهمته فنقرر إرسال المترجم له في أوت 1919 ولما وصل إلى باريس عرف بالقضية التونسية لدى الأوساط السياسية ، واستخدم التونسيين المقيمين في باريس والعرب عامة الذين بهرتهم شخصيته وبلاغته ونجح في مهمته ، واتصل بالزعماء الاشتراكيين وربط معهم أواصر الصداقة ، ونظم الاجتماعات وكتب في الصحف ، وظهرت مواهبه الخطابية وهيمنته على مستمعيه وقدرته على إقناعهم .

وكون صداقات عديدة خاصة مع الزعيم الاشتراكي مارسال قاشان (M.Cachin) الذي مكثه من عرض القضية على مجلس النواب . واجتمع بلجنة حقوق الإنسان التي وعدت بالإهتمام بالقضية التونسية ، وانتسب إلى عدة جمعيات منها «اللجنة الفرنسية الشرقية» و «اللجنة الفرنسية الإسلامية» وأسس «جمعية الطلاب التونسيين» كما أسس بالاشتراك مع شارل جيد «الجمعية الفرنسية التونسية» .

وفي هذا الفترة أصدر كتابه «تونس الشهيدة» غفلا من التوقيع ، وعمل على نشره فأرسله بالبريد إلى كل المسؤولين في فرنسا ، وأرسله إلى تونس بوسائله الخاصة ، وعلقت عليه الصحف الفرنسية ، ونشرت الصحافة الحرة بعض المقاطع منه ، وأثار الكتاب ضجة ودويًا فألقى القبض على صاحبه في باريس في 28 جويلية 1920 وحيء به في عنبر باخرة مخفورا إلى تونس بتهمة التآمر على أمن الدولة التونسية .

وفي 20 فيفري 1920 إجتمع أعضاء الحزب التونسي لوضع حد للخلافات القائمة بينهم ، فاقترح الأستاذ حسن قلاتي أن تنحصر مطالب التونسيين في المطالبة بإصلاحات لتحسين أجهزة الإدارة دون مساس بنظام الحماية فأجابه الشيخ محمد الرياحي : بأنه يعارض أي تعاون مع الاستعمار ، وأن الشعب التونسي يرفض الاحتلال الفرنسي وإعطاء أي حق لفرنسا على تونس . وتكررت الاجتماعات السرية إلى أن توصل الفريقان المختلفان إلى الإتفاق على برنامج عمل غايته الوصول إلى بعث دستور لتونس ، واتفقا على إرسال لجنة لتعاون الثعالي في مهمته بباريس وأطلقوا على حركتهم أسم «الحزب الدستوري» .

وقامت الإضرابات من أجل قضايا الأحباس في 10 أفريل سنة 1920 وسافر وفد برئاسة الأستاذ أحمد الصافي (الأمين العام للحزب) لعرض الموضوع على المسؤولين الفرنسيين فمكثه المترجم له بما له من علاقات واسعة من مقابلة العديد من المسؤولين في مختلف المنظمات .

ويبدو أن الأستاذ حسن قلاتي لم يكن راضياً عن سيطرة الثعالبي على الوفد لأن الغاية من إرسال الوفد هي إقصاء الثعالبي عن المواجهة وقال «إن الوفد التونسي الحقيقي الأول هو الذي سافر إلى باريس سنة 1920 برئاسة الصافي، ولكننا لم نحسب حساب قلة خبرته وقدرة الثعالبي الطاغية على الإغراء فقد هيمن هذا الساحر في لحظة على الوفد الذي خضع بعد تردد ومحاولات لا تقع فيها البلاغة وإقناع مؤلف تونس الشهيدة» .

ولما خرج المترجم له من السجن بعد أن صدر من المحكمة قرار يمنع محاكمته في ماي 1921 أخذ اتجاهه يقوي ويشدد في تونس، وتضاءل أثر منافسيه، ولقي من العطف والتأييد ما لا سابقة له في تونس، ولم يغفر له ذلك خصومه وانقسمت الحركة الدستورية قسمين: قسم إصلاححي تدريجي، وقسم الرفض الذي يقوده الثعالبي ويمثل أكثرية الشعب .

وانفصل حسن قلاتي وأسس مع رفاقه حزب الإصلاح الذي يرضى بما يلقي إليه الإستعمار من فتات الإصلاحات وقاوم بمختلف الأساليب الحزب وزعيمه .

وتألم المترجم له من حملة جريدة «المضحك» الساخرة، فقد جعلت منه ومن كتابه «تونس الشهيدة» موضوع سخرية، وأغرقت السلطة الاستعمارية حسن قلاتي بالثعالبي فأخذ يكيل الهجوم جزافاً، وثقل الجوع على المترجم له وأحس للمرة الأولى باليأس . يضاف إلى هذا أن المقيم العام لوسيان سان أفهمه أن البلاد لا تتسع لوجوده فيها وأن يارحها إلى حيث شاء وإلا يضطره إلى سلوك سبيل لا يرضاه من سجنه واضطهاده فبارح تونس مجبوراً في قالب مختار في 26 أوت 1923 متجهاً إلى الشرق وقد تكون مفارقتة إلى تونس في ذلك الظرف الحرج من غلطاته التي يؤاخذ عليها، ومر بإيطاليا وأدلى بتصريح حمل فيه فرنسا التآمر على مقتل محمد الناصر باي وتحويل بأقطار الشرق فأقام فترة بفلسطين، واحتفت به مدينة القدس وعمل فيها كما كان يعمل في مسقط رأسه لا فرق بين تونس والقدس . قال الأستاذ سامي الجندي «بل ربما أولى هذه ما لم يوله تلك لأنه يعلم أنها مهددة بخطر أفدح من الخطر المحيط بتلك ولأنها ثاني القبليتين تتراح روحه للصلاة في أقصاها» ، وأثناء إقامته بالقدس كلفه الشيخ الحاج محمد أمين الحسيني بتحضير المؤتمر الإسلامي الذي انعقد سنة 1932 فوضع نظامه، وكان أينما حل في أقطار الشرق العربي محل تقدير وأكبار وحفاوة، فأقام بالقاهرة فترة، ثم توجه إلى الحجاز، ثم توجه إلى الهند، ثم توجه إلى مسقط والبحرين والكويت . وفي كل قطر زاره يلقي الخطب البليغة في الدعوة إلى استنهاض الشعوب الإسلامية وإصلاحها على وفق ما كان يدعو إليه الشيخ جمال الدين الأفغاني .

وكانت أخبار تحركاته وتنقلاته تنشر في الصحف العراقية وبالنظر لما يعرفه العراقيون من نضاله وجهاده في سبيل العروبة والإسلام فقد قررت حكومة العراق وكانت إذ ذاك برئاسة ياسين الهاشمي توجيه دعوة له بزيارة العراق، فتقبل منها هذه الدعوة الكريمة بالشكر والامتنان . ويبدو أن هذه الدعوة كانت بإيعاز من الملك فيصل الذي تعرف به في إستانبول

كما تعرف به هناك جميل صدقي الزهاوي ، ومعروف الرصافي ، وغيرهم من رجال العرا
وصل إلى بغداد في 14 جويلية 1925، وما ان سمع قادة الفكر والأدب والسياسة
بوصوله حتى سارعوا للسلام عليه والترحيب به لا سيما أولئك الذين كانت لهم معه م
سابقة في إستانبول .

وأقام له أدياء بغداد حفلة تكريمية تقديراً منهم لجهاده ، ونضاله ولم يمض على إق
أسبوعان ، وتقرر إقامة الحفلة مساء يوم 14 أوت 1925.

وفي هذه الحفلة ألقى الزهاوي قصيدة ، وبعده ألقى الرصافي قصيدة ، وقصيدة الزها
مطلعها [طويل]:

وقفت نحيفاً بالعزير أرحب فأنشد للتكريم شعراً فأطرب
ومنها:

أحييك يا عبد العزيز تحية
أحييك من ضيف له بغداد نافست
أحييك من حبر رسا طود علمه
لقد لحت في الزوراء تومض للهدى
حللت بها والروض ليس بمخصب
رأيت رياح العلم في الروض باقياً
إلى الأدب العصري للعرب حاجة
وكم لك في الأيام من وطنية
وكم لك من قول جدير بأنه
ولم تغترر بالدهر قد سالم الحجى
إلى أن قال:

وما أنت إلا عالم ذو صراحة
كذلك نور الشمس إتما تكشفت

وقصيدة الرصافي عنوانها: بين
أتونس إن في بغداداً قوماً
ويجمعهم وإياك انتساب
ودين أوضحت للناس قبلا
فنحن على الحقيقة أهل قزبي
تونس وبغداد وهذا نصها [وافر]:
توفّ قلوبهم لك بالوداد
إلى من حُصّ منطقتهم بضاد
نواصيغ آيه سُئِلَ الرشاد
وان قضت السياسة بالبعاد

وما ضرب العباد إذا تَدَانَتْ
 وإن المسلمين على التآخي
 أتونس إن يحدك ذو انتماء
 لنا (بشعالبك) خير ملق
 وأكبر حامل بيد اعترام
 وأسمى من سما أدبا وعلما
 دع القول المريب وقائله
 تجذّه خطيبها من كل خطب
 فتى صلحت عزائمها وجلت
 تغرب ضارباً في الأرض يبغي
 فأوغل في المفاوز والموامي
 وكان طوافه شرقاً وغرباً
 ولكن ساح لأستهاض قوم
 يغار على العروبة ان يراها
 فأنى سار كان له هديرو
 وكم قد قام في نادٍ خطيباً
 تنير بكهربائي المعاني
 تجلّ من القلوب إذا دعتهما
 إلى أن جاء حاضرة نماها
 فكان نزوله في ساكنيها
 فيا عبد العزيز أقيم عزيزاً
 يحييك العراق برافديه

أواصِرُ من لسانٍ واعتقادٍ
 وإن أغرى الأجانِبُ بالتعادي
 إلى غلباً نزارٍ أو إبادٍ
 على أشتاتنا حبل اتحاد
 لحب بلاده علّم التفادي
 وأفصح من تكلم عن سداد
 وسَلَّ عنه المنايِرُ والنوادي
 ويذّرها لدى كل احتشاد
 عن الروغان في طلب المراد
 مدى من دونه خرط القتاد
 وطوّف في الحواضر والبوادي
 لغير تكسب وسوى إرتفاد
 حكوا بجمودهم صفة الجماد
 مهتدة المصالح بالفساد
 يهزّ دَوّيه أقصى البلاد
 بِحُكْمَةِ المقاصد والمبادي
 أموراً كن كالظلم الداد
 محلّ الحب من شَعَفِ الفؤاد
 أبو الإثماء ذو الشرف التّلاذ
 نزول الماء في المَهج الصّوادي
 بحيث الأرض طيبة المراد
 تحبة مُخلص لك في الوداد

وكان المترجم له على معرفة سابقة بالملك فيصل ورستم حيدر رئيس الديوان الملكي في إستانبول وباريس، لذلك لم يكذب يصل إلى بغداد حتى سارع بالسلام على الملك وشكره على تفضل حكومته بدعوته لزيارة العراق. واقترح عليه الملك فيصل أن يكون أستاذاً في (جامعة آل البيت) التي تم تأسيسها منذ سنة 1926، وشكره الثعالي هذا اللطف وأيد ما أبداه وقال: أنا بانتظار جلالتك، وغادر البلاط الملكي وهو مسرور بهذا اللقاء.

وبعد إجراءات باشر عمله الجامعي في مطلع سنة 1926، ودّرس بها مادة (الفلسفة الإسلامية) في الصف الثاني منها ومادة (حكمة التشريع) في الصف الثالث، ودرس هاتين المادتين خلال الخمس سنوات التي قضاها أستاذاً في هذه الجامعة إلى أن أصدر أمرٌ بإلغائها سنة 1930.

ونشرت له مجلة الجامعة محاضرة في الفلسفة الإسلامية في عديد من نشرات له محاضرة في حكمة التشريع . وقد خصص صباح كل يوم جمعة ندوة يستقبل فيها أصدقاءه ومعارفه من الشخصيات السياسية والأدبية ، وكان في مقدمة هؤلاء جعفر العسكري ، وياسين الهاشمي وطه الهاشمي ، وفهمي المدرس ، وعبد اللطيف الفلاح ، ومنير القاضي ، ويوسف العطار ، وغيرهم .

وكانت اجتماعات هذه الندوة السياسية والأدبية تحفل بشتى الأحداث التاريخية والسياسية والأدبية التي تتناول شؤون الساعة في الوطن العربي مشرقة ومغربة وما يجد من أحداث وتطورات في شتى مجالات الحياة العامة . وعندما انتدبت الحكومة العراقية الأستاذ أحمد حسن الزيات لتدريس آداب اللغة العربية في مدرسة دار المعلمين العليا ببغداد في نهاية سنة 1929 كان في مقدمة الذين سعى إلى التعرف بهم الشيخ الثعالبي فكان يحضر ندوته الأسبوعية ويشارك في أحاديثها الأدبية وغيرها ، ومن رواد هذه الندوة محمد بهجت الأثري ، ومعروف الرصافي قبل انفصام رابطة الصداقة بينهما .

في نهاية السنة الدراسية في مطلع سنة 1930 أقرت الحكومة إلغاء جامعة آل البيت والاستعاضة من ذلك بإرسال البعثات إلى مصر على حساب وزارة الأوقاف ، وتوقف صرف راتب الثعالبي الأمر الذي جعل البلاط الملكي يتدخل في ذلك وطالب أن تسدد رواتبه لغاية السنة الدراسية بما فيها أشهر العطلة .

وتقرر تعيينه مراقباً لبعثة الأوقاف في مصر .

وبعد أن تقاضى رواتب العطلة الصيفية غادر بغداد في سبتمبر 1930 بعد أن أقام بها مدة خمس سنوات كان له في أوساطها السياسية والثقافية والأدبية والاجتماعية ذكريات طيبة كانت وما تزال حديث المجالس والمنتديات .

ورجع إلى تونس في صيف 1937 ونظم له الحزب الحر الدستوري الجديد احتفالاً رائعاً بساحة قابطبا وألقى فيها خطاباً رائعاً ، وبعد مدة حدث الخلاف بينه وبين الحزب الجديد الذي يتزعمه المجاهد الأكبر الرئيس الحبيب بورقيبة ، وكأنه لم يدر أن الأحوال تغيرت أثناء أربع عشرة سنة من غيابه في المشرق ، وأصبحت قيادة الجماهير بيد بورقيبة قائد وزعيم الحزب الدستوري الجديد ، فرأى أن الجماهير ليست معه ، وألقى عليه الظل فأنزل عن المجتمع ولزم داره ولولا بعض الفصول التي كان ينشرها بين الحين والآخر في جريدة «الارادة» لسان حال الدستور القديم ما شعر الشعب بوجوده ، وفي هذه الفترة كان منزله منتدي يحضره المنتمون للحزب القديم وأعضاء هذا الحزب ، وتدور الأحاديث المختلفة ويلقي أحياناً محاضرات في التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، وحضره مرات مدرس بجامع الزيتونة وشاعر أيضاً ما زال يقيد الحياة للتجسس ونقل الأخبار إلى السفارة الفرنسية عن طريق الهاتف بالبريد ،

واستوثق من صحة الخبر بإرسال السيد محيي الدين القليبي لإدارة البريد صحبة السيد محمد بن عبد القادر للاستماع إلى ما يقوله الشيخ عن طريق الهاتف ، ولما تبين صحة هذا الخبر طرد هذا الشيخ من منزله شر طرد في الجلسة الموالية .

رحمه الله وغفر له ، وأنا لا أعتبره معصوماً فهو كسائر البشر يخطيء ويصيب وإن كان أخطأ فعن سلامة نية وحسن قصد ، وقد خدم بلاده وقضايا العروبة والإسلام خدمات جُلّى ولم يدخر وسعاً في سبيل العمل النافع المفيد ، وقد كان على جانتي عظيم من الثقافة وسعة الاطلاع ، وكانت له آراء سديدة في الشؤون السياسية والاجتماعية ، والدينية والفلسفية ، وهو من الذين جاهدوا في سبيل الوحدة الإسلامية أولاً ثم في سبيل الوحدة العربية .

وكان من المشتغلين بالعلم والأدب والبحث والتأليف وكان من أقدر الخطباء في عصره حتى قال الرصافي «لم أر أخطب من عبد العزيز التونسي» .

توفي في شوال / أكتوبر .

مؤلفاته :

- 1 - تونس الشهيدة ، نقله إلى العربية الأستاذ حمادي الساحلي (دار الغرب الإسلامي 1984) ويقول العارفون بأنه أدق من ترجمة الأستاذ سامي الجندي .
- 2 - رحلة دوّن فيها انطباعاته ومشاهداته عن البلدان التي رحل إليها وجال فيها في أربعة أجزاء ، ضاع منها في السنوات الأخيرة جزءان لأن أحدهم (ويقال أنه الشيخ عبد الرحمان البعلاوي) استعارها ولم يرجع الجزءين إذ أعارهما لشخص آخر لم يتورع عن عدم الإرجاع .
- 3 - تاريخ شمال افريقيا في 8 أجزاء ، ذكر ذلك في مجلة المعرفة المصرية لصاحبها السيد عبد العزيز الإسلامبولي أطلعني عليها زميل في الدراسة السيد علي بن المكّي المرزوقي عضو مجلس الأمة وفاتني إن اخذ مذكرة منها .
- 4 - معجز محمد في السيرة مطبعة الإرادة تونس 1938/1357 الجزء الثاني والأول لم يطبع .
- 5 - روح القرآن الحرة ، ألفه بالاشتراك مع الهادي السبعي وسيزار بن عطار (تونس 1905) .
- 6 - له محاضرة عنوانها : ابن خلدون ، حياته وكتبه القاها في تونس سنة 1911 ، لخصّها الصادق الزمرلي في المجلة التونسية (الفرنسية اللسان) ج 18 (1911) ص 532-536 (مؤلفات ابن خلدون د . عبد الرحمن بدوي ص 366) .

المراجع :

- الأعلام 136/4، 126/10.
- الأعلام الشرقية لزكي مجاهد 148/1، 149.
- معجم المؤلفين 240/5.
- مقدمة تونس الشهيدة المترجمة سامي الجندي ص 5-24.
- أركان النهضة الأدبية 55، 56.
- الحركة الفكرية والأدبية بتونس 57، 58، 113، 114، 119، 123.
- عبد الرزاق الهلالي مجلة المورد م 18 العدد 3 خريف 1979 ص 463، 478.
- الأدب العربي الحديث في معركة المقاومة والتجمع من المحيط إلى الخليج لأنور الجندي (مط. الرسالة، القاهرة 1969) ص 126-128.
- المحافظة والتجديد في النشر العربي المعاصر في مائة عام لأنور الجندي ص 421-424.
- عبد العزيز الثعالبي رائد الحركة والنهضة الإسلامية لأنور الجندي، دار الغرب الإسلامي، بيروت (1984) عن حياته ونضاله السياسي والعلمي والثقافي ورحلاته الواسعة ومساعيه في العالم الإسلامي على مدى أربعين عاماً قضاها كلها مغترباً مناضلاً عن قضايا العرب والمسلمين.
- التعريف بالأدب التونسي لرضوان إبراهيم ص 63-64.
- النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1962 لمحمد صالح الجابري (الدار العربية للكتاب 1981) ص 265، 266، 273، 274، 275.
- أصول الحركة الوطنية في تونس 1904-1934 منشورات الجامعة التونسية كلية الآداب 1962 (بالفرنسية) لعللي المحجوبي 128، 135، 138، 188، 201، وصفحات أخرى كثيرة ينظر في فهرس الأعلام في آخر الكتاب.

* * *

فهرس الجزء الأول

رقم	صفحة
	أ
	أرباش = الأندلسي
1 -	آغة (1296 - 1365 هـ) (1876 - 1946 م) 9
2 -	ابن الأبار (658 هـ / 1280 م) 12
3 -	الأبياني (252 - 352 هـ) (865 - 964 م) 35
4 -	الأبي (827 أو 828 هـ) (1425 أو 1424 م) 37
5 -	الأجدابي (412 هـ) (1040 م) 41
6 -	إدرس (كان حياً بعد سنة 1177 هـ) (1764 م) 42
7 -	الأذري (423 هـ) (1032 م) 42
8 -	الأسدي (481 هـ) (1088 م) 47
9 -	الإسراييلي ... نحو 320 هـ) (933 م) 47
10 -	ابن أبي الأسود (.... - حوالي 256 هـ) (.... - 870 م) 50
11 -	الأصرم (.... - حوالي 1172 هـ) (.... - 1756 م) 51
12 -	الأصولي (كان حياً سنة 693 هـ) (1293 م) 51
13 -	أعين بن أعين (.... 385 هـ) (.... 995 م) 52
14 -	ابن الأغلب (.... 283 هـ) (.... 896 م) 53
	الإمام الزغواني = برتقيز يوسف بن محمد 54

- 15 - الإمام المنزلي (. . . 1248 هـ) (. . . 1832 م) 54
- 16 - ابن اندراس (674 هـ) (1275 م) 56
- 17 - الأندلسي (كان حياً سنة 1047 هـ) (1637 م) 57
- 18 - الأندلسي (960 هـ) (1610 م) 58
- 19 - الأوسي (662 هـ) (1264 م) 59
- 20 - الأومي (1036 هـ) (1646 م) 60

ب

- 21 - الأومي (1204 هـ) (1789 م) 61
- 22 - الباجي (. . . 1024 هـ) (. . . 1605 م) 70
- 23 - الباجي (حوالي 1105 - حوالي 1184 هـ) (1693 - 1771 م) 70
- 24 - ابن باديس (398 - 454 هـ) (1008 - 1062 م) 71
- 25 - البارودي (نحو 1199 هـ) (1784 م) 72
- 26 - البارودي (1304 هـ) (1887 م) 73
- 27 - البارودي (. . . - 1216 هـ) (. . . - 1801 م) 74
- 28 - الباروني (من رجال القرن العاشر هـ) (16 م) 74
- 29 - البجائي (. . . نحو 689 هـ) (1282 - 1291 م) 75
- 30 - البجائي (كان حياً حوالي 848 هـ) (1442 م) 75
- 31 - البجائي (كان حياً سنة 1025 هـ) (1616 م) 76
- 81 - ابن البراء = التنوخي 81
- 32 - البرازعي (. . . نحو 400 هـ) (1010 م) 77
- 33 - البرادي (كان حياً حوالي 810 هـ) (1407 م) 80
- 34 - البختری (- 1317 هـ) (1903 م) 83
- 35 - برتقیز (1682/1092 - كان حياً سنة 1748/1147) 84

86	البرجيني (... 662 هـ) (1264 م)	- 36
87	البرزولي (740 - هـ) (1339 - 1440 م)	- 37
90	البرشكي (... 780 هـ) (1378 م)	- 38
90	البرشكي (... 839 هـ) (... 1437 م)	- 39
92	برناز (1074 - 1138 هـ) (1664 - 1726 م)	- 40
95	ابن بزيمة (616 - 662 هـ) (1229 - 1263 م)	- 41
98	بشيس (1332 - 1398 هـ) (1914 - 1978 م)	- 42
103	البيسلي (830 هـ) (1427 م)	- 43
105	البشروش (1329 - 1363 هـ) (1911 - 1944 م)	- 44
107	ابن بشرون (كان حياً سنة 561 هـ) (1166 م)	- 45
108	ابن بشير (كان حياً سنة 562 هـ) (1132 م)	- 46
109	البطنزي (703 هـ) (1308 م)	- 47
110	أبو بكر (1317 - 1367 هـ) (1899 - 1948 م)	- 48
114	البكري (نحو 380 هـ) (990 م)	- 49
116	البكري (كان حياً سنة 1037 هـ) (1628 م)	- 50
118	البلهوان (1326 - 1377 هـ) (1909 - 1958 م)	- 51
122	البليش (1252 هـ) (1837 م)	- 52
123	البليش (1317 - 1384 هـ) (1899 - 1964 م)	- 53
125	ابن بليمة (427 أو 28 - 514 هـ) (1036 أو 37 - 1120 م)	- 54
126	البتا (1283 هـ) (1866 م)	- 55
126	البتاني (... 1198 هـ) (... 1784 م)	- 56
127	البياسي (573 - 653 هـ) (1177 - 1255 م)	- 57
130	بيرم الأول (1130 - 1214 هـ) (1718 - 1800 م)	- 58
132	بيرم الثاني (1162 - 1247 هـ) (1749 - 1831 م)	- 59

- 60 - بيرم الثالث (1201 - 1259 هـ) (1786 - 1843 م) 136
- 61 - بيرم الرابع (1220 - 1278 هـ) (1805 - 1861 م) 137
- 62 - بيرم الخامس (1255 - 1307 هـ) (1840 - 1889 م) 143
- 63 - بيرم (كان حياً سنة 1321 هـ) (1902 م) 148

ت

- 64 - تاج (نحو 1270 - 1338 هـ) (1854 - 1920 م) 149
- 65 - التادلي (من رجال القرن الثامن هـ) (14 م) 149
- 66 - ابن التبان (314 - 371 هـ) (928 - 981 م) 150
- 67 - التجاني (في حدود 660 هـ) (1262 م) 152
- 68 - التجاني (802 - 865 هـ) (1400 - 1464 م) 153
- 69 - التجاني (ما بين 670-675 كان حياً 718 هـ) 153
- 70 - التجاني (635 - 714 هـ) (1238 - 1314 م) 154
- 71 - التجاني (... 718 هـ) (1318 م) 161
- 72 - التجيبي (كان حياً سنة 449 هـ) (1068 م) 162
- 73 - التجيبي (127 هـ) (740 م) 165
- 74 - التجيبي (422 هـ) (1031 م) 166
- 75 - الترجمان (نحو 758 - 832 هـ) (1357 - 1430 م) 167
- 76 - التركي (1328 - 1397 هـ) (1910 - 1977 م) 173
- 77 - التُّرَيْكِي (829 - 894 هـ) (1417 - 1489 م) 174
- 78 - ابن تعاريت (1289 هـ) (1872 م) 175
- 79 - ابن تعاريت (1255... هـ) (1355 - 1936 م) 176
- 80 - ابن تعاريت (من رجال القرن 10 هـ) (16 م) 176
- 81 - التلاتلي (967 هـ) (1560 م) 177

- 82 - التلاتلي (1288 - 1370 هـ) (1871 - 1950 م) 181
- 83 - التلاتلي (من رجال القرن 12 هـ 18 م) 182
- 84 - التليلي (1266 - 1358 هـ) (1850 - 1939 م) 182
- 85 - التمجاري (471 هـ) (1078 م) 183
- 86 - ابن تميم (نحو 287 - 349 هـ) (900 - 960 م) 184
- 87 - التميمي (1164 - 1248 هـ) (1751 - 1832 م) 185
- 88 - التميمي (201 - 287 هـ) (816 - 901 م) 187
- 89 - التميمي (... - 363 هـ) (... - 974 م) 188
- 90 - التميمي التونسي (... - 1286 هـ) (... - 1869 م) 190
- 91 - التميمي (274 - 336 هـ) (887 - 949 م) 190
- 92 - التنبكتي (... - كان حياً سنة 1248 هـ) 190
- 191 (... - 1832 م) 191
- 93 - التبوخي (... - 737 هـ) (1237 م) 191
- 94 - التواتي (... - 1311 هـ) (1892 م) 192
- 95 - التواتي (... - 1115 هـ) (1704 م) 193
- 96 - التوزري (حوالي 1300 - 1358 هـ) (1883 - 1939 م) 194
- 97 - التوزري (كان حياً قبل سنة 1168 هـ) (1755 م) 195
- 98 - التوزري (كان حياً بعد 260 هـ) (873 م) 195
- 99 - التوزري (630 - 713 هـ) (1233 - 1313 م) 195
- 100 - التوزري (... - 1485 هـ) (... - 1930 م) 197
- 101 - التوزري (... - 1380 هـ) (1960 م) 199
- 102 - التونسي (1443 هـ) (1051 م) 200
- 103 - التونسي (كان حياً سنة 967 هـ) (1559 م) 201
- 104 - التونسي (كان حياً 889 هـ) (1493 م) 202

- 105 - التونسي (كان حياً سنة - 1190 هـ) (.... - 1776 م) 202
- 106 - التونسي (888 هـ) (1484 م) 203
- 107 - التونسي (1204 - 1274 هـ) (1790 - 1857 م) 203
- 108 - التونسي (كان حياً سنة 1140 هـ) (1738م) 205
- 109 - التيفاشي (580 - 655 هـ) (1184 - 1257 م) 205
- 110 - ابن التين (611 هـ) (1214 م) 209

ث

- 111 - ثامر (1326 - 1367 هـ) (1909 - 1949 م) 211
- 112 - الثعالبي (1291 - 1363 هـ) (1879 - 1944 م) 213



دار الغرب الإسلامي

بيروت - لبنان

أصاحفها الحبيب اللطيف

شارع الصوراتي (المعماري) - الحمراء ، بناية الأسود

تلفون البناية : 340131/2 تلفون مباشر : 350331 ص. ب. 113-5787 بيروت ، لبنان

DAR AL-GHARB AL-ISLAMI B.P.:113-5787 Beyrouth, LIBAN

الرقم : 14 - 1000 - 1994

الطباعة : دار صادر - بيروت

BIOGRAPHIES DES AUTEURS TUNISIENS

par

Mohamed MAHFOUDH

Vol. 1



DAR AL-GHARB AL-ISLAMI